التشبيه الملحمي في الشعر الجاهلي

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٢٠٠١م

إعداد

ناصر سلامة كريم المساعفة

المشرف

الدكتور محمد علي أبو حمدة

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدّراسات العليا
الجامعة الاردنية

أيّار / ٢٠٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ ١٠/ تموز / ٢٠٠١

اعضاء لجنة المناقشة التوقيع

الدكتور محمد علي سعيد أبو حمدة ، رئيساً
استاذ مساعد

الاستاذ الدكتور هاشم عبدالوهاب ياغي ، عضواً
استاذ

الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري ، عضواً
استاذ مساعد

الاستاذ الدكتور بسام موسى قطوس ، عضواً
استاذ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــــــــــــداء

إلى والدي العزيز ، ووالدتي العزيزة

وإلى شريكة العمر ، وإخوتي الأحبَّاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر

" رحـــم الله الاســـتاذ الدكـــتور نصرت عبد الرحمن رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جـــنانه وهـــو الذي عزز في نفسي كتابة هذا البحث ولم يبخل علي في التوجيه والنصـــح ممـــا كـــان له الأثر الفعال في تأسيس هذا البحث الذي كان فكرة من أفكاره " .

أتقـــدم بالشـــكر الجـــزيل مـــن الدكتور محمد علي أبو حمدة الذي تكرم بالإشـــراف عـــلى هذه الرسالة ومنحني من وقته وجهده وعلمه الغزير الشيء الكبير ، مما كان له الأثر الكبير في ظهور هذا العمل .

وأتقـــدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ الدكتور عبد القادر الربّاعي على ما منحني من وقت وجهد وعلم كان له الأثر الكبير في إتمام هذا البحث فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر من الإستاذ الدكتور هاشم ياغي – بارك الله في عمره – الـــذي تكرم بالموافقة على مناقشة الرسالة ، كما أتقدم بالشكر والتقدير للدكتور بســـام قطوس في الموافقة على مناقشة الرسالة ، كما أتقدم بالشكر من الدكتور عبد الكريم الحياري على تفضله بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة .

كمـــا أتقـــدم بالشكر من الخطيبة الغالية سمية وشقيقتي اعتدال والأخت سامية الزوغة على ما قدمنه من جهود مضنية .

كمـــا أتقـــدم بالشكر والتقدير من أشقائي : أحمد سلامة وجلال سلامة ، وجمـــال سلامة ومن الاصدقاء عدنان توفيق المساعفة وصلاح على المساعفة وهشـــام رضوان المساعفة ، وأيوب سالم المشاعلة ، وحمزة فواز المساعفة ، كما أنني أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى كل من ساهم في إنجاز هذا لبحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع الصفحة

قرار لجنة المناقشة ..... ب
الإهداء ..... ج
الشكر ..... د
قائمة المحتويات ..... هـ
الملخص باللغة العربية ..... ح
المقدمة ١
تمهيد ٤

الباب الأول : الإنسان والتشبيه الملحمي ١٠

الفصل الأول : الرجل والتشبيه الملحمي ١٠
أولا : تشبيه المرء بالمرء ١٠
ثانياً : تشبيه المرء بشارب الخمر ١٣
ثالثاً : تشبيه المرء بالرّاهب ١٧
رابعـاً : تشـبيه بعض صفات المرء ببعض الصفات الشجاعة عند المرأة ١٨
خامسـاً : تشبيه حزن المرء بحزن المرأة الثاكل ٢٠
سادساً : تشبيه دموع المرء بالدّلاء ٢٣
سابعاً : تشبيه المرء بالنهر ٢٨
ثامناً : تشبيه المرء بالأسد ٣١
تاسعاً : تشبيه المرء بالذئب ٣٣
عاشراً : تشبيه المرء بثور الوحش ٣٧
حادي عشر : تشبيه المرء بحمار الوحش ٣٩
ثاني عشر : تشبيه المرء بالحوت ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني : المرأة والتشبيه الملحمي ٤٤
أولاً : تشبيه المرأة بالدرّة ٤٤
ثانياً : تشبيه المرأة بالغزال ٤٩
ثالثاً : تشبيه المرأة بالبقرة الوحشية ٥٤
رابعاً : تشبيه نشر المرأة بريح الروضة ٥٦
خامساً : تشبيه ريق المرأة بالماء وبالخمر وبالعسل ٥٩
سادساً : الظعائن ٧١
- تشبيه الظعائن بالسفن ٧١
- تشبيه الظعائن بالنخيل ٧٣

الباب الثاني : الناقة والتشبيه الملحمي ٧٧

الفصل الأول : تشبيه الناقة بثور الوحش ٧٧

الفصل الثاني : تشبيه الناقة ببقرة الوحش ١٢٦

الباب الثالث : حيوانات أخرى ١٣٩

الفصل الأول : تشبيه الناقة بحمار الوحش ١٣٩

الفصل الثاني : تشبيه الناقة بالظليم والنعامة ١٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : الفرس والتشبيه الملحمي	١٨٧
أولاً : تشبيه الفرس بالعُقاب	١٨٨
ثانياً : تشبيه الفرس بالقطاة	١٩٣
ثالثاً : تشبيه الفرس بالظبي	١٩٩
الباب الرابع : التشبيه الملحمي والحواس	٢٠١
أولاً : البصر	٢٠١
ثانياً : السمع	٢١٧
ثالثاً : الذوق	٢٢٦
رابعاً : الشّم	٢٢٨
خامساً : اللمس	٢٣٠
خاتمة	٢٣٦
المصادر والمراجع	٢٣٩
الملخص باللغة الانجليزية	٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُلَخَّص

التشبيه الملحمي في الشعر الجاهلي

إعداد

ناصر سلامة كريم المساعفة

إشراف

الدكتور محمد علي أبو حمدة

تتناول الرسالة ظاهرة بارزة في الشعر الجاهلي ، وهي ظاهرة التشبيه الملحمي الممتدّ . فقد كان الشاعر يعقد التشبيه ، فيترك المشبّه ويطلب المشبّه به ، فيفصّل في صورته تفصيلاً واضحاً حتى يغدو قصّة لها أبعاد مهمة .

وقد جاءت الرسالة في أربعة أبواب ، حيث تناول الباب الأول موضوع الإنسان والتشبيه الملحمي في فصلين . الفصل الأوّل : هو الرجل ، والتشبيه الملحمي . وتناول العديد من الصور التشبيهية المتنوّعة من حيث المشبّهُ به . أمّا الفصل الثاني فيتحدث عن المرأة والتشبيه الملحمي .

تناول الباب الثاني موضوع الحيوان والتشبيه الملحمي في فصلين . الفصل الأول : يتحدّث عن تشبيه الناقة بالثور الوحشي ، ويتحدث الفصل الثاني عن تشبيه الناقة ببقرة الوحش .

تناول الباب الثالث الحيوان والتشبيه الملحمي ، وحيوانات أُخرى وذلك من خلال ثلاثة فصول . تحدّث الفصل الأول عن تشبيه الناقة بحمار الوحش ، وتحدّث الفصل الثاني عن تشبيه الناقة بالظليم والنعامة ، وتناول الفصل الثالث تشبيهات الفرس الملحميّة . وظهرت فيه صور العقاب والصقر والقطاة .

تناول الباب الرابع التشبيه الملحمي والحواس من خلال حاسّة البَصَر وحاسّة السمع ، والذوق ، والشمّ ، واللّمس ؛في محاولة لدراسة مدى استخدام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر لتلك الحواس في التشبيهات ، ومدى اعتمادها على الحواس .

وقد توصل الباحث إلى أن هذه الظاهرة أخذت مساحة كبيرة في الشعر الجاهلي ، وتشكّل ظاهرة تستحقّ الدراسة والبحث المتعمق ، وقد كانت ظاهرة متكررة عند الشعراء حتى أصبحت نمطاً ينسج الشعراء عليه أشعارهم . وقد حاول الباحث تفسير نماذج كثيرة عَرَضت في الشعر ، ووضّح الكثير من صورها ، وأبعادها البيانية والجمالية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدّمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

صـــوّر الشّاعر الجاهليُّ الكثير مما يحيط به تصويرا بديعاً وجميلا ، وكان يسعى دائمـــا إلى الإبداع الفنيّ في شتّى صوره ، تبعا لما تمليه تصوّراته ، وما يداخل نفسه من مشـــاعر ؛ فحـــاول بـــثّ همّه ، وقلقه، وحزنه ، وفرحه ، في أبياته الشعريّة التي طالما عبّرت عمّا يعتمل في ذاته ووجدانه من هواجس وتطلعات .

وكـــان غالبا يتلمّس الوضوح والدقّة في تصوير الأشياء من حوله ، وكان – كما يـــبدو في الشعر الجاهلي – يفضّل كثيراً التعبير بطريقة غير مباشرة ، لأنّه كان يريد أن تصـــل الفكرة إلى المتلقّي بوضوح تام يخلو من الغموض الذي قد يعتري بعض مفاهيمه للأشـــياء ، فكـــان يتحسّـــس التشابه بينها ممّا يحيط به ، فلم يخرج عن ذلك كثيراً ، فقد وظّـــف كلّ ما رآه في التأليف بين الأشياء التي تبدو متباعدة فيما بينها ، بوساطة التشبيه ، الـــذي كـــان سلاحاً فعّالاً من أسلحة الشاعر في التصوير ، حتى إنّه قد يعطي القصيدة الجاهليّة نوعاً من الوحدة الموضوعيّة التي تشدُّ أجزاءها المتنوّعة .

كـــان الشـــاعر الجاهـــلي يضع صورة مقابلة للشيء الذي يريد وصفه من خلال اســـتخدام تقـــنيّة التشـــبيه بوصـــفها الأداة التي تقرّب بين الأشياء وتؤلف بينها ، مبرزة الصـــفات المشـــتركة بين المشبّه والمشبّه به . ونظرة عارضة في الشعر الجاهلي تري القارئ مدى اتّكاء الشاعر على التشبيه باعتباره أساساً في عمليّة التصوير والتجسيد .

وليـــس كـــلُّ التشـــبيهات تدخل في صفحات هذه الدراسة ، بل إنَّ ما يهمُّ الباحث – مـــنها – هي تلك التشبيهات التي كان يعقدها الشاعر الجاهلي بين المشبّه والمشبّه به ، فيـــترك المشبّه ، ويطلب المشبّه به ، فيمتدُّ فيه ، ويفصّل في صورته ، ويطيل في سرد قصـــته حـــتى يـــأخذ ذلك منه أبياتاً كثيرة من مساحة القصيدة الجاهليّة ، فيظهر الشاعر كأنّـــه كان يريد المشبّه به في الأساس وما عقدهُ التشبيه إلاّ وسيلة من وسائله للانتقال إلى مواضيع اخرى .

٥٤٥٤٣٧

وتنـــبع أهمية هذا الموضوع في كونه بكراً لم يُدرس ، حيث سيضع الباحث أمام الدارســـين صـــورة شـــاملة – إن أمكن ذلك – عن هذه التشبيهات ومقدار انتشارها بين الشـــعراء فـــي قصائدهم ، وأهميتها ، ومحاولة تفسيرها وفق رؤية موضوعية في تثبيت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحكـــام وإصـــدارها ، ومبينا الفروق بينها ومحاولة مقارنتها والخروج بتصوّر منطقي عـــنها وعـــن أســـباب الـــلجوء إليها ، ودورها في التعبير عن الشاعر وتطلعاته ، وقد استقصـــى الـــباحث مـــا وســـعه الجهد وتناهى إليه علمه من دواوين الجاهليين والشعر الجاهلي من شعر بعض الشعراء المخضرمين .

أمـــا الدراسات السابقة التي مسّت الموضوع أو تناولته ، فكثيرة ، ولكنّ الاشارات إلى هـــذا التشـــبيه كانت قليلة محدودة ، فقد اشار إليه نصرت عبد الرحمن إشارة عابرة فـــي كتابه (الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي) ، وأسماه التشبيه الهومري كما ورد في مؤلّفـــات الغـــربيين ، كمـــا أشار إليه عبد القادر الربّاعي في فصل له بعنوان (التشبيه الدائـــري) ضـــمن كـــتابه (الطيـــر في الشعر الجاهلي) في ترجمته لبعض النصوص الغربية التي وصفته بأنه تشبيه مديد أو طويل وفيه أظهر مزايا التشبيه الدائري .

ووصـــف المستشرق Lyalle (ليال) التشبيهات الجاهليّة التي درس بعضها بأنّها تشـــبه إلى حـــدّ كبير تلك التشبيهات الواردة عند (هوميروس) ، وتناول جانباً من هذا الموضـــوع أنـــور أبو سويلم في كتابه (المطر في الشعر الجاهلي) في فصل عن الثور الوحشي .

وتحـــدّث عن بعض التشبيهات التي تخصُّ الناقة وهب روميّه في كتابه (الرحلة فـــي القصـــيدة الجاهلية) ، وتبرز أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول أغلب التشبيهات مهمـــا تنوّعت وتشعّبت موضوعاتها ، مع الاستشهاد على كلّ نوع من التشبيهات بشواهد شعرية .

وقـــد جاءت هذه الدراسة في أربعة أبواب ؛ تناول الباب الأول موضوع الإنسان والتشـــبيه المـــلحمي ، وذلـــك في فصلين ؛ الفصل الأوّل هو الرجل والتشبيه الملحمي ، والفصل الثاني الذي يتحدث عن المرأة والتشبيه الملحمي .

أمـــا الباب الثاني ، فقد تناول موضوع الناقة والتشبيه الملحمي ، وذلك من خلال فصـــلين ، الفصـــل الأوّل يتحدّث عن تشبيه الناقة بثور الوحش ، والفصل الثاني يتحدّث عن تشبيه النّاقة ببقرة الوحش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّـا البـاب الـثالث فقد تناول موضوع حيوانات أخرى ، وذلك من خلال ثلاثة فصـول يـتحدّث الفصـل الأوّل عن تشبيه الناقة بحمار الوحش ، وتحدّث الفصل الثاني عـن تشبيه الناقة بالظليم والنعامة . وتناول الفصل الثالث تشبيهات الفرس الملحميّة التي ظهرت فيها صورة العقاب والقطاة والصقر والظبي .

وتـناول الباب الرابع التشبيه الملحمي والحواس ، من خلال حاسّة البصر وحاسّة السـمع ، وحاسّة الذوق ، وحاسّة الشم ، وحاسّة اللمس ، في محاولة قياس مدى استخدام الشاعر الجاهلي لتلك الحواس في تشبيهاته ، ومقدار الاعتماد عليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

ذكر ابن منظور (ت ٧١١ هـ) :أن (الشبه والشَبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء : ماثله ، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليّ ، وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كلُ واحد منهما صاحبه ، وشبهه إياه ، وشبهه به مثله ، والتشبيه : التمثيل) [١] ، متابعا الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في ذلك حين قال : (مالـه شبه وشبه وشبيه ، وفيه شبه منه ، وقد أشبه أباه وشابهه ، وما أشبهه بأبيه ، وفي الحديث اللين يشبه عليه... وشبه عليه الأمر : لَبّس عليه) [٢].

يلحظ في هذين التعريفين : أن مادة (شبه) تتفق مع مادة (مثل) في أنَّ كلاً منهما قد تنوب مناب الأخرى ، مؤدية الغرض نفسه ، وهما تعنيان تقارباً بين شيئين أو أمرين في وجه من الوجوه أو أكثر ، حيث قد تستوي كل واحدة منهما بديلة عن الأخرى ، فيحدث اللبس والاختلاط أحياناً .

أما التشبيه في اصطلاح البلاغيين ، فلم يبتعد كثيراً في دلالته عن مدلولات الكلمة اللغوية ، وهذا جليٌ في تعريفاتهم .

فيقول المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) : (واعلم أنّ للتشبيه حداً ، لأن الأشياء تتشابه من وجود ، وتتباين من وجود ، فإنما يُنظر إلى التشبيه من أين وقع) [٣]، وفسّر أمثلة على ذلك .

ويؤكد هذا المعنى قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بقوله : (إن الشيء لا يشَبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ... فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما ويوصفان بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن

---

[١] ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) – لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢م ، مادة (شبه) .

[٢] الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد بن أحمد (ت ٥٣٨ هـ) – أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢ ، مادة (شبه) .

[٣] المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) – الكامل في اللغة والنحو والتصريف ، تحقيق زكي مبارك ، القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٥هـ – ١٩٦٣م ، ج١ ، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صـــاحبه بصـــفتها ، وإذا كـــان الأمـــر كذلك . فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشـــتراكهما فـــي الصـــفات أكـــثر مـــن انفـــرادهما فيهـــا ، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد) [١] .

ويعـــرّفه ابـــن رشيق (ت ٤٥٦) بأنه (صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحـــدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إيّاه) [٢]، وهـــو عند السكّاكي (ت ٦٢٦ هـــ) : (وصف المشبّه بمشاركته المشبّه به في أمر ...) [٣]، ويـــتفق الخطيـــب القزويـــني (ت ٧٣١ هـــــ) معه بقوله : إنّه : (الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى) [٤].

ويُـــرى فـــي هـــذه الـــتعريفات ، أنّها تـــير في اتجاه واحد ، وهو اتفاق المشبّه والمشـــبّه به في وصف يجمعهما ، مع أن هذه التعريفات قد لا تبدو دقيقة ، إذ ليست كل مشـــاركة في أمر هي من التشبيه كالعطف مثلاً [٥]، وهو ما تنبه له السيد أحمد الهاشمي بقولـــه حيـــن عرّف التشبيه : (والتشبيه ـ اصطلاحاً ـ عقد مماثلة بين أمرين ، أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر بأداة : لغرض يقصده المتكلم) [٦].

---

[١] قدامـــة بـــن جعفـــر (ت ٣٣٧ هـــــ) – نقـــد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـــ – ١٩٦٢م ، ص١٠٩.

[٢] ابـــن رشـــيق ، أبـــو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـــ) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط٢ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٥م ج١ ، ص٢٨٦ .

[٣] الســـكاكي ، أبـــو يعقـــوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت ٦٢٦ هـــ) – مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص١٧٧ .

[٤] الخطيـــب القزويـــني ، أبو المعالي جلال الدين محمد بن سعد الدين عبد الرحمن (ت ٧٣٩) – الايضاح فـــي عـــلوم البلاغة ، ط ٦ ، تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، وعبد العزيز شرف ، دار الكتاب المصري القاهرة – دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص ٣٤٧ .

[٥] علي الجندي – فن التشبيه ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـــ – ١٩٦٦ م ، ج١ ، ص٣٥.

[٦] أحمد الهاشمي – جواهر البلاغة ، ط١٠ ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـــ – ١٩٦٠م ، ص٢٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللتشبيه أربعة أركان هي : المشبّه والمشبّه به ، ووجه الشبه وأداة التشبيه [١]، المشبّه والمشبّه به يسميّان طرفي التشبيه ، ولا يصحّ التشبيه إلاّ بهما ، وحذف أحدهما يخرج التشبيه إلى موضوع الاستعارة ، فالمشبّه هو موضوع الحديث ، وهو ما يراد ابرازه وتقويته وتجليته ، والمشبّه به هو الصورة المقابلة للمشبّه ، ويضيف قوة إلى المشبّه ، ويبرز صفة معينة في المشبّه به هي ما يسمى " وجه الشبه " ، وهو في المشبّه به يكون عادة أظهر منه في المشبّه وأقوى ، ويتم هذا الربط بين المشبّه والمشبّه به في سبيل التوصل إلى وجه الشبه " بأداة التشبيه " التي تحذف من التشبيه ، كما يحذف وجه الشبه ، أو يحذفان معا ، فتتعدد وتكثر أسماء التشبيهات تبعاً لحذف الأداة أو وجه الشبه ، أو ذكرهما معاً ، أو حذفهما أو تعدد وجه الشبه [٢] .

لعلّ أشدّ ما يؤثر في التشبيه ، تنوّع الأهواء ، واختلاف الأمكنة والبيئات ، وتباين المواقف من كلّ ذلك وفقاً لتطوّر مخيّلة الإنسان [٣] من غرابة أو تعقيد أو وضوح في النظر إلى الأمور المتعدّدة ، ويكون التمايز في طريقة التأليف بين المشبّه والمشبّه به . وعملية التأليف والربط تتحكّم فيها القدرة الفنيّة المنبثقة في كثير من المواقف من الخبرة التي أخذها الشاعر جراء معايشته لطرفي التشبيه ، كما يتحكم فيها الموقف الذي يأخذه في النظر إلى الأشياء صادراً في ذلك عن حالة نفسية معيّنة (حزينة أو مفرحة) . (فالتشبيه مبني على ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها . ولذلك يقول أحد علماء النفس : إن الأساس النفسي الذي يقوم عليه التشبيه ، وغيره من الأساليب البيانية من تأليفها وإدراكها

---

[١] عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٧ هـ) – أسرار البلاغة ، تحقيق ريتر ، استانبول ١٩٥٤م ، ص٢١٤.

[٢] ينظر مثلاً : – القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ص٣٥٣ وما بعدها ، وحفني محمد شرف – التصوير البياني ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

[٣] أحمد مطلوب و كامل حسن البصير – البلاغة والتطبيق ، ط١ ، العراق ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقديـــرها ، وهـــو في الواقع عملية أساسية في التفكير ، تلك هي ما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وعلاقات)[١].

إنّ مـــا يعنيـــنا هنا في هذا البحث ، تلك التشبيهات التي تنتشر في الشعر الجاهلي انتشـــارا واســـعا ومكثّفا ، فكانت بعض هذه التشبيهات قصيرة ، كما كان بعضها الآخر أكـــثر طولا وامتدادا وتوسّعا . وما يعنينا هنا أيضا تلك التشبيهات التي يمتد فيها التشبيه أبياتا شعرية كثيرة ، ويكون التركيز على صورة المشبّه به فتمتدّ وتطول .

فمـــنهم من أسماه بالإطناب أو وصفه به ، كالجاحظ (ت ٢٥٥ هـــ) حين تحدث عـــن وصـــف علقمة لناقته ، فقال : (ثم أطنب في تشبيه إيّاها بالظليم) [٢]، ويشير إبن طباطـــبا العـــلوي (ت ٣٢٢ هـــ) بأنه من التخلص ، وهو مذهب الأوائل عند وصف الرحـــلة ، أو فـــي اســـتئناف الكـــلام بعد انقضاء التشبيب في الوصف [٣] ، فهو بذلك " التشـــبيه " وسيلة انتقال مستحبة من موضوع إلى آخر عند كثير من الشعراء [٤]، وكثير مـــن الـــبلاغيين أشـــاروا إليـــه فـــي بـــاب الاستطراد [٥]، وتابعهم في ذلك الكثير من المحدثيـــن [٦]، وهو (أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء ، وهو إنما يريد غيره ، فإن

---

[١] علي الجندي – فن التشبيه ، ج١ ، ص٥٠ .

[٢] الجـــاحظ ، ابـــو عـــثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـــ) – الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٩هـــ – ١٩٤٠ م ، ج٤ ، ص٣٦٦.

[٣] ابـــن طباطـــبا ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـــ) – عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦، ص١١١ ، وص١١٣ .

[٤] غوســـتاف فون غرنباوم – دراسات في الأدب العربي ، ترجمة إحسان عبّاس وآخرين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص١٦٣ .

[٥] يـــنظر مثلاً : ابن رشيق – العمدة ، ج٢ ، ص٣٩ ، والمظفر بن فضل العلوي (ت ٦٥٦ هـــ) – نضرة الاغـــريض فـــي نصـــرة القـــريض ، ط٢ ، تحقيق نهى عارف الحسن ، دار صادر ، بيروت ، ص١٠٧ – ١٠٨ .

[٦] يـــنظر مـــثلاً : شـــوقي ضيف – العصر الجاهلي ، ط١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢١٥ ، ومحمـــد الـــنويهي – الشـــعر الجاهـــلي مـــنهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهـــرة ، ١٩٦٠ ، ص٣٤٥ ، وكامل سلامة الدقس – وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، دار الكتب الثقافية ، الكويـــت ، ١٣٩٥ هـــ ، ١٩٧٥ م ، ص٤٣٣ ، وعبد العزيز نبوي – دراسات في الأدب الجاهلي ، ط٢ ، الناشـــر الصـــدر لخدمـــات الطـــباعة (سيسكو) ١٩٨٩م ، ص١٥٠ ، وسعدي ضناوي – أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ١٩٩٣م ، ص٣٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطـــع أو رجـــع إلى ما كان فيه فذلك استطراد) [١]، وقيل (خروج الشاعر من ذمّ إلى مدح أو من مدح إلى ذم) [٢].

ومهمـــا يكـــن مـــن شيء ، فإن النقّاد القدامى من أدباء وبلاغيين – لم يعنوا بهذا التشـــبيه عنايـــتهم بالأمور الأخرى ، ولم يفردوا له بابا في كتبهم ، فقد عدّوه كأيّ تشبيه آخـــر ، وإن كـــان هناك إشارات إلى هذا التشبيه في معرض دراستهم لتشبيهات القرآن الكـــريم ؛ يقـــول القزويـــني (ت ٧٣١) : (كـــلما كان التركيب من أمور أكثر ، كان التشـــبيه أبعـــد وأبـــلغ) [٣]، وقـــال : بأن الشبه منتزع من مجموع تلك الجمل في الآية الكـــريمة [٤] ، وهو ما ينطبق على الشعر الجاهلي ، وهو التفصيل في صورة المشبّه به حتى يغدو جملاً كثيرة ، ننتزع منها وجه الشبه .

والشـــاعر الجاهلي – كغيره من شعراء الأمم الأخرى – اتخذ التشبيه وسيلة فعّالة مـــن وســـائل شعره المتعددة ، فاستخدمه ، وأبدع فيه إبداعات مميزة ، وما أكثر ما يلجأ الشـــاعر الجاهـــلي إلى التشبيه في تناوله لأي موضوع يريد التحدث عنه ، فيأتي التشبيه قصـــيراً ، فـــي ذكـــر المشـــبّه والمشبّه به ووجه الشبه فقط ، وهو كثير جداً في الشعر الجاهـــلي ، ويأتي التشبيه طويلاً يذكر فيه المشبّه ، ويتجه إلى المشبّه به ، فينسى المشبّه نســـياناً تامـــاً ، موجهاً كل تفكيره وتعبيره في صورة المشبّه به ، فيستقصيه ويمتد فيه ، ويفـــرغ فيـــه طاقات تعبيرية كبيرة ، يعود في النهاية إلى التذكير بالمشبّه ، ولا نستطيع الجـــزم بمغـــزى الشـــاعر من وراء ذلك ، هل المشبّه به ما يريد ؟ أم أنه يريد المشبّه ؟ وهـــل يفضّـــل الجاهلي التعبير غير المباشر عن الأشياء وبالتالي اللجوء إلى التشبيه ؟ أم أن خـــبرته مـــع المشبّه به أعمق وأوسع ، وهو بالتأكيد غير ذلك إذ أن خبرته مع الناقة مـــثلاً وتعايشـــه معها أعمق من تعايشه مع ثور الوحش ؟ أم أنّها عملية اسقاطات يسعى

---

[١] ابن رشيق ، العمدة ، ج٢ ، ص ٣٩ .

[٢] المظفر بن فضل العلوي – نضرة الاغريض ، ص١٠٧-١٠٨ .

[٣] القزويني ، الايضاح ، ج٢ ، ص٣٩٧ .

[٤] المصدر ذاته ، ج٢ ، ص٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــتحقيقها مـــن وراء عمـــلية التشـــبيه ؟ أم هل أصبح التشبيه بعد ذلك تقليداً يسير عليه الشعراء باعتباره ضرورة فنية ملحّة ؟

ســـار الشعر الجاهلي ، على نوع من النمطية في بعض موضوعاته ، فكان معظم الشـــعراء الجاهـــليين يشبهون الناقة – مثلاً – بثور الوحش ، أو حمار الوحش ، أو بقرة الوحـــش ، أو الـــنعامة والظليم ، وقلما تجد لها مشبها به غير ذلك في التشبيهات الطويلة المـــلحمية ، وأخذهـــا لصـــفة النمطية هذه جاء نتيجة لتكرر هذه التشبيهات عند كثير من الشـــعراء الجاهليين ، أو تكرارها عند الشاعر نفسه ، ولم يحاول الشعراء التعبير إلا في إطـــار هذه الحيوانات المذكورة ، وما انطبق على الناقة ينسحب على المرأة ، وتشبيهها بأشـــياء محـــددة ، كالدّرة ، وريقها بالعسل والخمر ، والغزال ... وكذلك الرجل حين شبه بالأســـد في الشجاعة ، والنهر في الكرم ، وشبه نفسه وحاله بقصص تاريخية عاش فيها الأشـــخاص ظـــروفاً مشابهة ، كما شبه الفرس بالعقاب ، والقطا والذئب ، وغير ذلك ، وهذه التشبيهات هي مهاد البحث .

والتشـــبيه المـــلحمي ؛ هي التسمية التي أطلقها الباحث على هذا النوع من التشبيه وهـــي تســـمية جاءت بسبب انتشارها في الملاحم القديمة ، حتى أصبح هذا التشبيه سمة مـــن ســـماتها ، ولمـــا تمثله من نَفَس ملحمي طويل في تناول الأشياء ، وقد أطلقت عليه أســـماء كـــثيرة في بداية الحديث ، كالإستطرادي ، والطويل ، أو المديد لذا وقع الاختيار على تسميته بالتشبيه الملحمي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

الانسان والتشبيه الملحمي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : الرَّجُل والتشبيه الملحمي

أولا : تشبيه المرء بالمرء

ثانياً : تشبيه المرء بشارب الخمر

ثالثاً : تشبيه المرء بالراهب

رابعـــاً : تشـــبيه بعض صفات المرء ببعض الصفات الشجاعة عند المرأة

خامســـاً : تشـــبيه حزن المرء بحزن المرأة الثاكل

سادساً : تشبيه دموع المرء بالدِّلاء

سابعاً : تشبيه المرء بالنهر

ثامناً : تشبيه المرء بالأسد

تاسعاً : تشبيه المرء بالذئب

عاشراً : تشبيه المرء بثور الوحش

حادي عشر : تشبيه المرء بحمار الوحش

ثاني عشر : تشبيه المرء بالحوت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : الرَّجل والتشبيه الملحمي

أولاً : تشبيه المرء بالمرء :

يرد تشبيه الرجل بالرجل عند كثير من الشعراء الجاهليين ، على اختلاف مواضيع قصائدهم ، وهي تشبيهات تأتي في اغلب الأحيان ، حين يتحدث الشاعر عن نفسه او غيره ممن يصفهم ، فيشبّه نفسه او غيره بشخصية معروفه لدى الجميع بحدث مميّز أو صفة مميزه ، حتى تغدو قصة مألوفة عند أكثرهم ، وهي قصص في – معظمها– عادة ما تكون قد ذهبت و جرت مجرى الأمثال في ذلك الزمن ،لما تميزت به من غرابة وندرة في الحصول ، حتى إن بعضها اشتمل على بعض المبالغات الاسطوريّة ، لتأثيرها العميق في نفوس الآخرين ، فكانت مجالا خصبا للإبداع الفني عند الشعراء ، يدل على سعة اطلاعهم على التاريخ وعلى ثقافة عصرهم ،فجاء كل ذلك في روعة " توظيفهم " لهذه الشخصيات في النص الشعري .

فقد شبة النابغة الذبياني النعمان بن المنذر بالنبي سليمان الذي يقيم العدل ويأمر الجن ببناء تدمر [١] ، وشبه حاله بحال الملدوغ [٢] ، وقرن طرفه بن العبد حبه لسلمى بحب المرقّش لأسماء [٣] ، وأراد الأعشى من شريح بن حصن ان يكون وفياً كجده السموأل [٤] ، في تشبيه أورد فيه القصة كاملة [٥] والمتلمس الضبعي أراد أن يكون قومه كقبيلة بكر آو سامة في القتال لا كقبيلة عبد القيس[٦]، كما شبه نفسه بقاطع كفه[٧]

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص(٢٠-٢١) .

[٢] المصدر ذاته ، ص٣٣-٣٤ .

[٣] ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري (٤١٠ هـ – ٤٧٦ هـ) ، تحقيق : درية الخطيب ؛ لطفي الصقال ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، ص (١٢٢-١٢٤).

[٤] ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح وتعليق ، محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر ، ص(١٧٩ – ١٨١) .

[٥] ينظر الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦) – الأغاني ، تحقيق عبد الستار فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج٢٢ ، ص٣٥٠ – ص٣٥٢ ، تفصيلات القصّة .

[٦] ديوان شعر المتلمس الضبعي رواية الأثرم وابي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي معهد المخطوطات العربيّة ، جامعة الدول العربيّة، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، ص ٢٠٣ –ص٢١٣ .

[٧] المصدر ذاته ، ص٣٢ – ص٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. ويطـــلب عـــديُّ بن زيد من النُعمان ان لا يكون كآسي عظمه [١] ويشبه لقيط بن يعمر الإيـــادي ممدوحـــه بمـــالك بـــن قنان وصاحبه زيد القنا فيقص قصتيهما [٢]، وأبو ذؤيب الهذلي يشبه ما حمّل به خالد بن زهير بما حُمل به البختي [٣].

والشـــعراء يـــتفاوتون فـــي تناولهم لتلك القصص المذكورة مما تأتي في معرض التشبيه . فمنهم من يقص القصة كاملة ، مفصلا فيها بعض التفصيل . كطرفه والأعشى والمتـــلمس فـــي حض قومه على القتال ، ومنهم من يختصرها في ابيات قليلة لا تتجاوز الخمســـة ، كالنابغة والمتلمس في تشبيه نفسه بقاطع كفه ، وعدي بن زيد ، ولقيط ، وابي ذؤيب .

ويـــبدو ان ارتـــباط الشاعر مع المشبّه في اغلب التشبيهات اقوى من ارتباطه مع المشـــبّه به ، لأنّ المشبّه هو مراد الشاعر في هذه التشبيهات ، وما ذكر هذه الشخصيات إلاّ فـــي سبيل تأييد الصفة ، أو الشيء الذي أراد تأكيده ، في مقارنة تظهر أنهما يتقاربان فـــي الصفات ، وربما كانت صفات المشبّه – على رأي الشاعر – أكثر وضوحا وعظمة مـــن المشبّه به الذي يعد الأساس الذي يقاس عليه ، حتى أصبح مثلا أعلى في الاقتداء به ، او تجنـــبه ، وهـــو ما يختلف – ارتباط الشاعر مع المشبّه – عمّا سنراه في التشبيهات المـــلحمية التي تخص الحيوان ، والشاعر في هذا الموضوع يأتي بالمشبّه به للمبالغة في المدح أو الذم ، كما حدث مع النابغة الذبياني حين قال : [٤]

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا احاشي من الأقوام من أحـــد
إلا سليمـــان إذ قـــال الإلـــه له قم في البرية واحددها عن الفنـــد
وخيس الجن أني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفـــاح والعمـــد

---

[١] ديـــوان عـــدي بـــن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار العبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، سلسلة كتب التراث ، بغداد ، ١٩٦٥م ، ص ٦١ .

[٢] ديوان لقيط بن يعمر الايادي ، ص(٤٨ – ٥٠) .

[٣] شـــرح اشـــعار الهذليين ، صنعة السكرّي ، تحقيق عبد الستّار فرّاج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ج١ ، ص(٢٠٧ – ٢٠٨) .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص(٢٠ – ٢١) ، الفَنَد : الكذب ، مختار الصحاح ، مادة (ف ن د) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والـــذابغة هنا لا يرى أحدا يشبه النعمان إلا سليمان وهو أحد الأنبياء الذين حكموا الجـــن ، والمـــبالغة واضـــحة في هذا التشبيه الذي نفذ من خلاله النابغة الى المبالغة في المـــدح ، وتعظيـــم أمـــر النعمان وحكمه الواسع ، ففصل قليلا لكنّه لم يغب طويلا عن المشـــبّه حتى عاد الى الثناء على الممدوح . ولعل قوله حين وصف قلقه وسهره لغضب الـــنعمان عـــليه ، وتشبيه حاله بحال الملدوغ ، يدل على تمكنه من تصوير مشاعره تلك بدقة شديدة [١] :

فبت كأني ســـاورتني ضئيـــلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

يســـهد من ليـــل التمام سليمها ... لحلي النساء في يديـــه قعاقـــع

تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقـــه طوراً وطوراً تراجـــع

فـــلقد أطـــال الشاعر في تبيان تلك الحية ؛ فهي ضئيلة الجسم ، مرقّطة ، لا ينام مـــن تـــلدغه ويـــنذر الـــناس بعضهم بعضاً بسمها القاتل ، والاستمرار في التفصيل في صـــورة المشـــبّه بـــه يصب في جلاء صورة المشبّه ،فهو كلديغ الحية ، هذه الحية هي القـــلق والسهر والهم الذي أراد أن يجسّد صورته في ذهن النعمان وقلبه ، معتذراً إليه ، مســـتعطفا قلـــبه الرحمة ، فكانت مهمة هذا التشبيه هي تصوير ما يصيب النابغة جراء غضب النعمان عليه ، وحينما ينظر في تشبيه طرفه بن العبد الذي يقول فيه [٢] :

وقد ذهبت سلمى بعقلـــك كلـــه ... فهل غير صيد أحرزتـــه حبائلـــه

كما أحرزت أسماء قلب مرقّش ... بحب كلمـــع البرق لاحت مخايلـــه

وأنكح أسماء المرادي يبتغـــي ... بـــذلك عوف أن تصاب مقاتلـــه

فلمـــا رأى أن لا قـــرار يقـــره ... وأن هـــوى أسمـــاء لابـــدّ قاتلـــه

---

[١] المصـــدر الســـابق ، ص٣٣ – ٣٤ ، (الرقّش : فيها نقط سواد وبياض) مختار الصحاح : (رقاش) ، ونـــاقع : بـــالغ وقيل ثابت ، مختار الصحاح : (ن ق ع) ، والقعاقع : حكاية صوت السلاح ونحوه : مختار الصحاح : (ق ع ع) .

[٢] ديـــوان طـــرفة بن العبد ، ص (١٢٢ – ١٢٤) ، وفي شرح الديوان : أسماء بنت عوف بن مالك بن سعد بـــن ضـــبيعة ، ومـــرقّش ابـــن عمهـــا وهـــو نرقّش الأكبر ابن سعد بن ضبيعة ، مخايله : شواهده ودلائله ، المرادي : رجل من مراد واسمه عمرو بن العزيل ، البث : الحزن ، والخبال : فساد العقل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترحل من أرض العراق مرقش على طرب تهوى سراعا رواحله
الى السرو أرض سدّقه نحوها الهوى ولم يدرِ أن الموت بالسرو غائلـــه
فغودر بالفرديـــن أرض نطيـــّة مســـيرة شهر دائـــب لايواكلـــه
فيالك من ذي حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤٌ هو نائلـــه
لعمري لموت لا عقوبـــة بعده لذي البث أسفى من هوى لايزايله
فوجدي بسلمى مثل وجد مرقش بأسمـــاء إذ لا تستفيق عواذلـــــه
قضى نحبه وجداً عليها مرقش وعلقت من سلمى حبالاً أماطلـــه

يُـــرى أن طـــرفه ، أراد أن يصـــوّر حبه لسلمى ،ذلك الحب الذي تحول دون تحقيقـــه واســـتمراره أمور عديدة ،فلم يجد أفضل من قصة حب مرقش لأسماء – وهي قصـــة مأســـاوية – شيئا يجسد ما كان من أمره مع سلمى من بعد وفراق و عوائق فما إن أراد الحديـــث عن نفسه وعن محبوبته حتى أختصر الامر كله و انتقل بالتشبيه الى قصـــة أخرى ،تلقي بكل ظلالها و تفاصيلها التي حصلت ، ويعرفها الناس ، عن قصته مـــع ســـلمى ، فبيّن من خلال التشبيه تلك القصّة و فصّل فيها ؛ فقد تكلم عن إحرازها لقلـــبه وتـــزويج أبيهـــا لهـــا من المرادي ورحيلها معه ، وترحل المرقش نحو مسكنها الجديـــد ، لرؤيتها ، وموته في تلك الديار(السرو بالفردين أرض نطية) ،عاد بعد ذلك طرفه فأكد التشبيه أن وجده بسلمى كوجد المرقش بأسماء .

المـــرقّش يمـــثل طرفه وموقفه في هذه القصة ، وأسماء تمثل سلمى ، لذا كانت هـــذه القصه – وهي متواترة بين الناس – تختصر قول طرفه في ذلك الحب ، فما أن يسمع السامع – في ذلك الوقت – بقول طرفه حتى يشعر بمقدار حبه لسلمى .

ثانياً : تشبيه المرء بشارب الخمر

يـــرد ذكـــر الخمـــر فـــي الشعر الجاهلي كثيراً ، حيث صوّر الشعراء مذاقها ومجالســـها ، وفعـــلها بشـــاربها ، وما يهمنا هنا هو تشبيه الرجل بشارب الخمر ، وقد وجد الباحث بأنّ الشاعر – في جميعها – شبه نفسه هو بشارب الخمر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد شبه امرؤ القيس نفسه بشارب الخمر حين قال [١] :

فظللت في دمن الديار كأنني ... نشوان باكره صبوح مدام

أنف كلون دم الغزال معتق ... من خمر عانة أو كروم شبام

وكأنّ شاربها أصاب لسانه ... موم يخالط جسمه بسقام

وشبه المتلمس الضبعي نفسه بشارب الخمر ، حين ترحلت محبوبته عنه ، حين قال [٢] :

كأنيّ شارب يوم استبدوا ... وحثّ بهم لدى المومأة حادِ

عقاراً عُتّقت في الدنّ حتى ... كأنّ حبابها حدق الجراد

جماد لها جماد ولا تقولي ... لها ابدا اذا ذكرت حماد

فإمّا حبها عرضا وإما ... بشاشة كل علق مستفاد

فقد استرسل الشاعر قليلا في وصف الخمر ، بأنّها عقار معتّقة في وعائها الفخم ، زبدها كحدق الجراد ، فدعا عليها بالجمود ذماً لها ، ومنعاً لحمدها .

ويستخيّل الأعشى أنه شاربٌ خمراً معتقة ، بعد أن جاءه خيال " قتيلة " التي هجرته وابتعدت عنه ، فقال [٣] :

---

[١] ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، ص١١٥ ، وبهامشه : أنف : أي مستأنفة أوّل ما فتقت واخرجت من الدن ، عانة : قرية بالجزيرة ، وشبام : اسم قرية ، موح : البرسام : وهو علة يهذي فيها .

[٢] ديوان المتلمس الضبعي ، ص(١٦٥ – ١٧١) ، وفي مختار الصحاح : علق : النفيس من كل شيء (ع ل ق) .

[٣] ديوان الأعشى ، ص٢٩٣ ، وبهامشه : السخامية : الخمر السلسة اللينة المز في الحلق ، العندم : شجر أحمر ، أدهم : أسود ، السلافة : ما تحلّب وسال قبل العصر وهو أجود الخمر ، القنديد : عسل قصب السكر ، وكذلك العنبر والكافور ، متوّم : وضع في أذنيه لؤلؤتين ، ذفيف : مسرع ، مفدم : شدّ على أنفه وفمه خرقة بيضاء ، المصحاة ، قدح من فضّة ، البقّم : شجر ساقه أحمر يصبغ به ، والجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش : أنواع من الورود والرياحين ، وكلها أسماء فارسية معرّبة ، وكذلك الآس والخيري والمرو والسوسن : كلها أنواع من الرياحين ، والهنزمن : من أعياد النصارى ، مخشّم : شديد السكر ، والشاهسفرم والياسمين والنرجس : أنواع من الرياحين ، المستق : آلة يضرب عليها ، والبربط : المزهر أو العود ، والصنج : دوائر من النحاس تثبت في أطراف الأصابع ويصفق بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألمّ خيـــال من قتيـلة بعدمـــا ... وهى حبلهـــا من حبلنـــا فتصرمـــا
فبت كأنّي شارب بعد هجعـــة ... سخاميـــة حمراء تحســـب عندمـــا
إذا بُذلت من دنها فاح ريحهـــا ... وقد أخرجت من أسود الجوف أدهما
لها حارس ما يبرح الدهر بينها ... إذا ذبحت صلـــى عليهـــا وزمزمـــا
ببابل لم تعصر فجاءت سلافة ... تخـــالـــط قنديـــدا ومسكـــا مختمّـــا
يطوف بها ساق علينا متـــوم ... خفيـــف ذفيـــف مـــا يزال مقدّمـــا
بكأس وابريـــق كأنّ شرابـــه ... إذا صب في المصحـــاة خالط بقّمـــا
لنا جلّسان عندهـــا و بنفســـج ... وسيســـنبر والمرزجـــوش منمنمـــا
وآس وخيري ومرو و سوسن ... إذا كـــان هنزمـــن ورحت مخشمـــا
وشاهسفرم والياسمين ونرجس ... يصبّحنـــا فـــي كل دجـــن تغـــيّمـــا
ومستق سينين وون و بربـــط ... يجـــاوبـــه صنـــج إذا مـــا ترنمـــا
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم ... وقـــد جعـــلوني فيسحاهـــا مكرمّـــا

هـــذا الوصـــف جـــاء عن طريق التشبيه ، فجاء المشبّه به طويلاً جدا ، في أحد عشـــر بيتاً من الشعر ، فصّل فيه الشاعر مجلس الشراب ، من وصف للخمر ، والمجلس والســـاقي والـــورد ، وآلات الطـــرب ، والأصـــدقاء . فهل كان غرض الشاعر من هذا التشـــبيه المشـــبّه به وليس المشبّه ؟ وهل كان التشبيه وسيلة انتقال الشاعر نحو موضوع الخمـــر ؟ يقـــول شـــارح الديوان : (وكأنّ الأعشى لم يذكر صاحبته إلا ليتوسّل بها الى الخمـــر ، فمـــا هو إلا أن يعرض له هذا التشبيه حتى يمضي في وصف الخمر الى غير عـــودة لقتيلة) [١] ويبدو أن الشاعر لكثرة خبرته مع الخمر – وشعره شاهد على ذلك – قـــد قصـــد الى المشبّه به (الخمر) فكانت هدفه الأساس ، الذي يبني عليه تلك الصورة ، فـــاتخذ مـــن التشبيه وسيلةً للحديث عن الخمر ، فتخيّل ذلك المجلس وأطال فيه وفصّل ، ويظهـــر أن الشـــاعر لم يذكر الخمر تناسيا لمحبوبته ، بل كان سعيدا في مجلسه ، سعيدا

---

[١] المصدر السابق ، ص٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي تخيله ومصيبا ،حتى إذا قضى إربه من ذلك المجلس قال : (فدع ذا) [١] فاتجه نحو وصف الصحراء وقسوتها .

وتـــرد هـــذه الصـــورة باختصار عند تميم بن أبي بن مقبل ، فقد شبّه نفسه حين عانق محبوبته بشارب الخمر ، فقال [٢] :

عانقتها فانثنيت طوع العناق كمـــا ... مالت بشاربها صهباء خرطومُ

صرف ترقرق في الناجود ناطلها ... بالفلفل الجون والرمّان مختوم

يمجها اكلـــف الاسكـــاب وافقـــه ... أيدى الهبانيق بالمثناة معكوم

كأنّهـــا مارن العرنيـــن مفتصـــل ... من الظباء عليه الودع منظوم

فحيـــن أراد تميـــم أن يصـــور عذوبة ذلك العناق وحلاوته ، وكيف أنه فقد عقله وتوازنـــه ، لم يجد مشهداً يجسد ذلك ويوضّحه إلا مشهد الخمر وفتكها بشاربها ، وذهابها بعقله .

وكـــان المشـــبّه –هنا – هو هدف الشاعر وليس المشبّه به ، وإن كان المشبّه به يدعـــم موقف الشاعر ، ويبينه ويزيده حلاوة في التصوير والتعبير ، الا أنّه بعكس تشبيه الأعشـــى – لان الحديـــث عـــن الخمـــر هـــنا يـــبين تأثيـــر عـــناق صاحبته له كتاثير الصـــهباء [٣]عـــلى شاربها ، ولكن أي صهباء هي ؟ فصل الشاعر صورتها فأجاب عن ذلك .

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

[٢] ديـــوان تميـــم بـــن أبـــي بـــن مقـــبل ، تحقيـــق عـــزّة حســـن ، دمشـــق ، ١٣٨١هـــ – ١٩٦٢م ، ص(٢٦٨ – ٢٦٩) ، والخـــرطوم : الخمـــر الســـريعة الإســـكار ، القاموس المحيط (خزمه) . الناجود ، الخمـــر وإناؤهـــا والزعفـــران والدم ، القاموس المحيط (نجد) . ناطلها : الجرعة من الماء واللبن والنبيذ ، والخمـــر ومكيالهـــا ، القاموس المحيط (نطل) . الأكلف : الذي كلفت حمرته ولم تصف ، القاموس المحيط (كلف) .

[٣] ورد هـــذا التعـــبير في ديوان علقمة الفحل في قوله : (والقوم تصرعهم صهباء خرطوم) ، ديوان علقمة الفحـــل ، الأعـــلم الشـــنتمري ، تحقيـــق لطفي الصقال ، ودريّة الخطيب ، ، مراجعة فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي ، حلب ، ط١ ، ١٣٨٩هـــ – ١٩٦٩م ، ص٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : تشبيه المرء بالراهب

يـــرد ذكـــر الراهب في الشعر الجاهلي كثيرا ، في مواضيع شتّى ، أمّا في إطار التشـــبيه المـــلحمي المفصّـــل ، فلم يعثر الباحث إلا على تشبيهين قصيرين ، اولهما قول عدي بن زيد العبادي [١]

إنّني والله فاقبـــل حلفتـــي ... لأبيل كلمـــا صلّى جـــأر
مرعد أحشاؤه في هيكـــل ... حسن لمتّه وافي الشعـــر
مؤمن الصدر يرجّي عتقه ... يوم لا يكفر عبد ما ادّخر

وهـــذه صورة تبيّن عبادة عدي ، وإيمانه بالله واليوم الآخر ، كما يظهر في كثير مـــن شـــعره ، فشـــبه نفسه بالراهب ، الذي لا يضرّ أحداً ، يصلي باكياً بصوت عال ، تـــرتعد أحشـــاؤه فـــي الدّيـــر ، حسن الهيئة ، مؤمن الصدر ، يرتجي المغفرة ، فأعماله صـــالحة ، ادّخـــرها منذ زمن ، وهو بذلك يستعطف قلب سجّانه الذي زجّ به في السجن طويـــلا ، مستعطفا قلبه الرحمة والمغفرة . لذا فإن المشبّه به يبيّن نفسيّة عدي الحقيقية ، وتعلقه بالدين ، وخوفه من الظلم الذي يتعرض له .

أمّا التشبيه الثاني فقد ورد في قول الأعشى مادحاً قيس بن معد يكرب : [٢]

وما أيبلـــي علـــى هيكـــل ... بناه وصلّب فيه وصـــارا
يراوح من صلوات المليـــك ... طوراً سجوداً وطوراً جؤارا
بأعظم منه تقىً في الحساب ... اذا النسمات نفضن الغبارا

وهـــذا التشـــبيه الدائري [٣] الملحمي ، يبدأ عادة ، بالتفصيل في صورة المشبّه به ثـــم يـــأتي المشبّه في آخره ، حيث ينفي الأعشى ان يكون الراهب المعتكف في ديره ، المصـــلّب فيـــه ، الدائـــب على السجود ، والتضرّع الى الله بالبكاء – ينفي – أن يكون

---

[١] ديـــوان عـــدي بـــن زيد العبادي ، ص٦١ . الأبيل : راهب النصارى ، وكانوا يسمون عيسى عليه السلام أبيل الأبيلين ، مختار الصحاح (أ ب ل) .

[٢] ديوان الأعشى ، ص٥٣ . أيبلي : صاحب أيبل ، وهي العصا التي يدق بها الناقوس .

[٣] أســـماه بهـــذا الاسم ، الدكتور عبد القادر الربّاعي ، في فصل أسماء التشبيه الدائري ، ضمن كتابه الطير في الشعر الجاهلي ، ص١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعظـــم تقى من ممدوحه . بل إنّ قيسا أكثر تقى من ذلك الراهب في الحساب ، إذا هبّت الـــريح البليـــلة فنفضـــت الغـــبار . وتكـــثر في مثل هذا النوع من التشبيهات المبالغات والمقارنات التي عادة ما يفوز بها المشبّه الذي يأتي متأخرا في موقعه عن المشبّه به .

رابعا : تشبيه بعض صفات المرء ببعض الصفات الشجاعة عند المرأة

لا تختـــلف هـــذه التشبيهات عن تشبيهات الرجل بالرجل ، فشخصية الأنثى هنا (إنســـاناً أو حيوانـــاً) هـــي الأخرى شخصية معروفة لدى الجميع ، إما بأفعال خارقة خارجـــة عـــن المألوف أو بحكايات غريبة نادرة الوقوع ، ومعظمها ذهبت أمثالا بين الـــناس ، وقـــد فصـــلت بيـــن القصص التي يكون الرجل فيها هو الشخصية الرئيسة (الـــبطل) ، والقصص التي تكون الأنثى فيها هي الشخصية الرئيسة (البطل) ، وتشبيه الـــرجل بأنـــثى معروفة كثيرٌ في الشعر الجاهلي ،ولكن ما أتى بتشبيه ملحمي مفصل قليل .

وقـــد استخرج الباحث من الشعر الجاهلي ثلاثة تشبيهات ملحمية هي ما وجد ، وأول هـــذه التشـــبيهات ، كـــانت الشخصية الرئيسة فيها امرأة ذات رؤية غيبية ، هي زرقـــاء اليمامة (التي زعموا أنّها كانت ترى على مسيرة أيّام ، وضرب بها المثل في دقّة الحكم و صحته) [١] في قول النابغة الذبياني[٢] :

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت	إلى حمـــام شراع وارد الثمـــدّ
يحفـــّه جانبـــا نيـــق وتـــتبعـــه	مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت : ألا ليتمـــا هذا الحمام لنا	الى حمـــامتنـــا ونصفـــه فقـــدِ
فحسبـــوه فألـــفوه كما حسبـــت	تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائـــه فيهـــا حمامتنـــا	وأسرعت حسبة في ذلك العـــدد

---

[١] التـــبريزي ، أبـــو زكـــريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني المشهور بابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) – شـــرح المعـــلقات العشـــر المذهـــبات ، ضـــبط وتقديم عمرو فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٣٦ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني : ص(٢٣– ٢٥) . وبهامشه : الثمد : الماء القليل . النيق : أعلى الجبل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر في النص أن النابغة يعتذر من النعمان ، ويريد منه أن يصفح عنه ، ولا يستمع لغيره ، وان يحكم بالعدل الذي يستند الى الصحة والحكمة ، فيطلب منه أن يكون كفتاة الحي – زرقاء اليمامة – فيأخذ بسرد تلك القصة المعروفة بين الناس في ذلك الزمن ، وهي أنها حسبت عدد الحمام إضافة لحمامتها ، فوجدته مائة بسرعة فائقة ، فلمّا حسبوه ، وجدوه كما قالت لم ينقص ، ولم يزد .

يقول الأصمعي في تعليق له على هذا التشبيه : (لما أراد مديح الحاسب ، وسرعة إصابته ، شدّد الأمر وضيقه عليه ، ليكون أحمد له ، إذا أصاب فجعله حزر طيرا ، والطير أخفُّ من غيره ، ثم جعله حماما ، والحمام أسرع الطير ، وأكثرها اجتهادا في السرعة ، إذا كثر عددهنّ ، وذلك أنه يشتدُّ طيرانه عند المسابقة والمنافسة) [١] .

والنابغة يطلب – بهذا التشبيه الملحمي – من النعمان الإسراع في الحكم الصحيح ، كما فعلت زرقاء اليمامة ، التي حكمت وحسبت بسرعة ، فكانت حكيمة بقولها ومصيبة .

أما التشبيه الملحمي الثالث ، فقد ورده على لسان عروة بن الورد ، حين قال [٢] :

فإني و ايّاكم كذي الأمّ ارهنت ... له ماء عينيها تفدّي و تحمل
فلما ترجّت نفعه وشبابه ... أتت دونها أخرى جديداً تكحّل
فباتت بجد المرفقين مكبّةً ... توحوح مما نابها وتولول
تخير من امرين ليسا بغبطة ... هما الثكل إلا أنّها قد تجمّل

---

[١] الجاحظ – الحيوان ، ج٣ ، ص٢٢٢ ، تحقيق عبد السلام هارون .

[٢] ديوان عروة بن الورد ، شرح وتقديم سعدي ضناوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٩م ، ص(٢١٠ – ٢١٢) (توحوح : الوحوحة : صوت معه بحّ ، والنفخ في اليد من شدّة البرد ، القاموس المحيط (الوحوحة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعـــروة يشـــبه حاله مع جماعته العاقّين ، بحال الأم التي أفنت عمرها ، وهي تكـــلأ ولدها وترعاه ، فلمّا شب شبابه ،اتجه إلى فتاة شابه مكحولة العينين ، ونسى أمه الـــتي تـــألمت كثيرا من موقفه ذاك ، فقد قابل ما فعلته من تضحيات بالنسيان والنكران والقسوة ، فتألمت كثيرا .

وضـــرب عـــروة لهذا المثل ، يتطابق والموقف الذي يتخذه من الصعاليك ؛ فقد كـــان يُعـــدّ أبـــاً لهم ، يحن عليهم ويعلمهم ويرعاهم ، لذا جاء بهذا المشبّه به ، فسرد قصـــته مركـــزًا على عقوق (ولدها وعقوق جماعته) ، وعطف امهّم عليه ، وعطفه هو عليهم .

خامساً : تشبيه حزن المرء بحزن المرأة الثاكل

يصـــور الشاعر الجاهلي أحزانه وآلامه ، كما صوّر أفراحه وسعادته ، فقرن كل مـــا أراد الحديث عنه بشيء من واقعه المحسوس والملموس ، فلم يترك الشاعر شأناً من شؤونه إلا وتكلم عنه وصوّره وأخرجه للعيان مؤثراً بمن يستمع إليه أو يقرأه .

إن مشـــهد المـــرأة الثاكل من المشاهد التي تجسد الحزن والوجد وتبرزه ، فتؤثر فيمـــن يـــراه تأثيرا عميقاً ، وهي لوحة وردت عند الشعراء الهذليين [١]، وسيأخذ البحث تلك الصورة عند أبي ذؤيب الهذلي حين قال [٢]:

فما إن وجـــد معولـــة رقوب ... بواحدها إذا يغزو تضيـــف

تنفـــض مهـــده وتذود عنـــه ... وما تغني التمـــائم والعكوف

---

[١] تـــرد هـــذه الصورة في شرح أشعار الهذليين ، ج٢ ، ص(٩٥٩ – ٩٦١) ، لأبي صخر الهذلي ، و ج٣ ، ص (١١٥٨ – ١١٦٥) ، و ج ٣ ، ص(١١٧٧ – ١١٨١) ، لساعدة بن جؤبة .

[٢] شـــرح أشـــعار الهذليين ، ج ١ ، (ص١٨٤ – ١٨٨) . وفي الشرح معاني الكلمات ، الرقوب : التي مات ولدهـــا . مهده : فراشه . التمائم : العوذ ، الواحدة تميمة . العكوف :تنوم عليه بنفسها ولا تفارقه كالعاكف . خـــرق : المـــتخرق في الخير . والخشوف : السريع المر بالليل . خاتته : منقضة . دفوف : أي تمر مسرعة فـــوق الأرض فـــي طيـــرانها . تعيف : تزجر . يباب : قفر ليس به أحد .أمسله : جمع مسيل ، وهو مجرى المـــاء . مدافعها : التي تدفع إلى الأودية . الخليف : طريق سهل بين جبلين . نسيف : ينتسفون الكلام أنتسافاً ، لا يـــتمونه مـــن الفـــرق ، يهمســـون بالكلام . اللقيف : الذي لم يطيّن ، فالماء ينفجر منه . الفرع : ما بين عرقوتي الدلو . النصيف : الخمار ، مشلشلة : طعنة تسيل بالدم . الخسيف : البئر المنقوبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول له كفيتك كل شيء ... أهمك ما تخطتني الحتوف
أُتيح له من الفتيان خرق ... أخو ثقة وخرّيق خشوف
فبينا يمشيان جرت عقاب ... من العقبان خائتة دفوف
فقال له وقد أوحست إليه ... ألا لله أمّك ما تعيف
فقال له أرى طيرا ثقالا ... تخبّر بالغنيمة أو تخيف
بواد لا أنيس به يباب ... وأمسلة مدافعها خليف
فألفى القوم قد شربوا فضمّوا ... أمام القوم منطقهم نسيف
فلم ير غير عادية لزاما ... كما يتفجّر الحوض اللقيف
فراغ وزودوه ذات فرع ... لها نفذ كما قدّ النصيف
وغادر في رئيس القوم أخرى ... مشلشلة كما نفذ الخسيف
فلمّا خرّ عند القوم طافوا ... به وأبانه منهم عريف
فقال أما خشيت وللمنايا ... مصارع أن تخرّقك السيوف
وقال لقد خشيت وأنبأتني ... به العقبان لو أني أعيف
فقال بعهده في القوم إني ... شفيت النفس لو يشفى اللهيف

يبدأ أبو ذؤيب الهذلي تشبيهه الملحمي بنفي الصفة أو التفوق في المشبّه به (وهي صورة المرأة الثكل) عن المشبّه (وهو حزنه) ، فيقول : بأنّه ليس حزن المرأة التي مات عنها ولدها الوحيد ، الذي كانت تخاف عليه من الموت ... ثم ينطلق الشاعر بعدها إلى قصّ قصّة تلك المرأة مع ولدها ، فيرجع المشهد إلى الماضي قليلاً ، وكيف كانت هذه الأم تصنع معه ، فقد كانت تنظف فراشه ، وتدفع عنه كلّ أذى ، وتضع عليه التعويذات ، كي تحميه من العين ، والحسد ، والشرور فتبقى مقيمة على راحته لا تفارقه أبداً .

تقول تلك الأمّ : إنّها وفرّت له كل شيء ، وهو يسعى إلى الحرب كلما استطاع إليها سبيلاً وهي لا تريد ذلك ، ولكن قُيض له فتى شجاع أخو ثقة ، قد دعاه للغزو معه فمضى الاثنان في دربهما فإذا بعقاب منقضّة ، تطير فوق رأسيهما محذرة إياهما من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموت المحتوم ، وهو ما كانت تخافه تلك الأم فتزجر ولدها لذلك .

فقال صاحبه إنّ هذه العقبان ، إمّا إنها تبشرنا بالغنائم التي سنجنيها ، أو أنّها تنذرنا بالخسران والموت . في هذا الوادي الموحش المقفر حيث مسائل الوديان التي ليس فيها أحد ، لكنهم وجدوا قوما شربوا من ماء تلك الأودية ، ثم أخفوا دوابهم ، فأخذوا يهمسون بالكلام لئلاّ يسمعوا ، فلم ير ذلك الفتى إلاّ والقوم يعدون بأقصى سرعة كأنّهم الماء الذي ينفجر حين يتهدم الحوض ؛ فيسيل بسرعة جارفاً كل شيء أمامه في اتجاهات مختلفة ، فراوغهم الغلام قليلا لكنهم طعنوه طعنة قاتلة ، فقد فاضت الدماء لأن الجرح واسع ، فنفذت الطعنة إلى أعماقه ، فكأنّها خمار ممزّق .

لكنّ الفتى لم يمت دون أن يفعل شيئاً ، فقد مات بعد أن قتل سيّد القوم منهم بطعنة فاضت الدماء بعدها كأنّها بئر متهدمة ، أو كأنّ مكانها ثوب ممزق ، فيخر ذلك البطل صريعا ، فيجتمع قاتلوه حوله يلومونه ويقرعونه على تحديه لهم ، فقال واحد منهم يعرفه : أما خفت أيّها الفتى من الموت الذي لاقيته بحدّ هذه السيوف ، فردّ عليه الفتى بقوله : لقد خفت ، فقد أنبأتني به العقبان لكني لم اتنبه لذلك ، ولكنني أموت مطمئنا لأنني شفيت ما بنفسي بقتل سيّدكم .

وينهي أبو ذؤيب قصّة هذا التشبيه الملحمي على ذلك النحو ، حتى أنّها خلت من كثير من عناصر لوحة العجوز الثاكل وتفصيلاتها ، فقد أغفل عمرها المديد ، وعقمها وكثرة أزواجها ، وفقرها ، او فتك الحروب بأبنائها الآخرين ، بل إن أبا ذؤيب لم يُرِنا صورة المرأة حين بلغها نبأ مصرع ابنها الوحيد ، كما أنه لم يذكر نتيجة مقارنة حزنه بحزن تلك المرأة ، وتفوق حزنه على حزنها [١]، وقد يكون هذا النقص في قصة أبي ذؤيب هذه راجعاً إلى ضياع أبيات كثيرة من هذه الصورة ، وقد يكون أبو ذؤيب من أوائل من تناولوا هذه القصة ، وما يرافق البدايات من نقصان ، يتمّه الشعراء المتأخرون عنه .

---

[١] ينظر ، خليل إبراهيم أبو نياب – الصورة الإستدارية في الشعر العربي ، دار عمّار ، الأردن ، ١٩٩٩م ، ط ١ ، ص١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلقد شبه علقمة الفحل ما يسيل من عينيه من الدموع بماء دلو تحملها ناقة سانية مفصلا في ذلك [١] ، وكانت دموع زهير بن أبي سلمى كالدلوين على ناقة قتلها العمل [٢]، وبدأ تحدّر دموع بشر بن أبي خازم كتحدّر ماء البئر عن دلو تحملها ناقة جرشية [٣]، ووصف أصحاب لبيد بن ربيعة دموعه بدلوين يروي بهما السقاة الزرع والنخل [٤] ، وقد تصور لبيد أيضا أن دموعه دلو تسرع بها سانية جرشية دهماء [٥].

جاءت هذه التشبيهات الملحمية ، متفاوتة في إطالة صورة المشبّه به ، ولعل أطولها ما ورد على لسان زهير ، فلبيد ، فعلقمة ، حيث فصل هؤلاء الشعراء في صورة المشبّه به تفصيلا يرينا مشهداً من مشاهد السقاية في ذلك العصر ، وهو ما لم نجده عند غيرهم من الشعراء الجاهليين ، فقد قال زهير بن أبي سلمى في ذلك [٦]:

كأن عينيّ في غربى مقتّلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا

تمطو الرشاء وتجري في ثنايتها ... من المحالة ثقباً رائداً قلقا

لها أداة وأعوان غدون لها ... قتبٌ وغربٌ إذا ما أُفرع انسحقا

وخلفها سائق يحدو إذا خشيت ... منه العذاب تمدُّ الصلب والعنقا

وقابل يتغنى كلما قدرت ... على العراقي يداه قائماً دفقا

---

[١] ديوان علقمة الفحل ، ص(٥٣ – ٥٦).

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأمام أبي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣هـ – ١٩٤٤ م ، ص ٣٧ – ٤٠ . وبهامشه معاني المفردات : غربان : المفرد غرب ، وهما الدلوان الضخمان ، مقتلة : ذُلّت بالعمل الشاق . سحقا : بستان من النخيل العطشى . الرّشاء : الحبل . المحالة : البكرة . القابل : الذي يستقبل الدلو ، العراقي : خشبتان في أعلى البئر .

[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ط٢ ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م ، ص ١٣ – ١٤ .

[٤] شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ط١ ، حققه وقدم له ، احسان عباس ، سلسلة التراث العربي ، وزارة الارشاد والأنباء ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص(٧٣ – ٧٤).

[٥] المصدر ذاته ، ص(١٢١ – ١٢٣).

[٦] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص(٣٧ – ٤٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحيل في جدول تحبو ضفادعه ... حبو الجواري ترى في مائه نطفا
يخرجن من شربات ماؤها طحل ... على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا

بعدما ترحل قوم صاحبته ، وابتعدوا عنه وفارقوه ، أخذ بالبكاء ، فكانت دموعه كالماء الذي يسيل من دلوين ضخمتين ، وكان باستطاعة الشاعر التوقف عن متابعة هذا التشبيه عند هذا الحد ، لكنه لم يتوقف ، بل استمر في تفصيله ، حتى ابتعد كثيراً عن وصف دموعه ، بل إنه وجه حديثه نحو هاتين الدلوين اللتين تحملهما ناقة قتلها العمل حتى بدت ذليلة ، تخرج الدلو ملأى يفيض الماء من جوانبها بهدوء ، فلا تضيع منه شيئاً ، لتسقي بها بستاناً من النخيل العطش ، فتمدّ الحبل الذي ربط طرفه بقتبها ، ودار حول بكرة منقوبة ، وتدلى طرفه الآخر الذي يحمل الدلو بالبئر ، وخلف هذه الناقة رجل يحدو ، تخافه الناقة فتمد جسمها وعنقها لتنجو من ضربه ، وهناك على الخشبتين رجل في أعلى البئر يتغنى ، ويستقبل الدلو ، ويصب الماء في قناة رطبة لتوارد الماء عليها ، حيث تعيش الضفادع فيها تحبو كحبو الصبيان ، هذه الضفادع تلوذ بجذوع النخل ، خوفاً من الغرق في الماء .

ويقول علقمة الفحل في ذلك أيضاً [1] :

فالعين منّي كأن غرب تحطّ به ... دهماء حاركها بالقتب مخزومُ
قد عرّيت حقبةً حتى استطف لها ... كترٌ كحافة كير القين ملمومُ
كأن غسلة خطمي بمشفرها ... في الخدّ منها وفي اللحين تلغيمُ
قد أدبر العرُّ عنها وهي شاملها ... من ناصع القطران الصرف تدسيم
تسقي مذانب قد زالت عصيفتها ... جدودها من أتيّ الماء مطموم
من ذكر سلمى وما ذكري الاوان لها ... إلا السقاة وظن الغيب ترجيم

---

[1] ديوان علقمة الفحل ، ص(٥٣ – ٥٦) . وبهامشه معاني الكلمات : تحط به : تسرع به . القتب أداة السانية (الساقية) . الدهماء : السوداء . استطفّ : ارتفع ، والكتر : ما ارتفع من سنامها . كير القين : زقه الذي ينفخ به . التلغيم : أثر اللغام وقطعه ؛ وهو زبد فمها .العرّ : الجرب . والتدسيم :أثر من طلائها . المذانب : مسايل الماء . زالت عصيفتها : تفرّق ورقها . جدودها : ما انحدر منها واطمأن ، الأتيّ : ما يسيل من الماء في الجدول . المطموم : المملوء بالماء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويـتكرر موقـف زهير مع علقمة ، فبعد أن رحل الأحبة ، وحل البين بينه ومن أحـب ، وسـارت الظعن بعيدا حاملة محبوبته ، انثالت دموعه بشدة كما تسيل الماء من الدلـو . فيسـتطرد الشاعر في التشبيه ، فهي دلو تسرع بها ناقة سوداء ، شُدتّ بكتفيها الحـبال والإكاف (أداوت السانية) ، فهي ناقة قوية ، لم تحمل شيئا مدة عام ولم تركب ، حـتى ارتفـع سنامها ، فبدت سمينة ، كزق موقد النار المنتفخ المجتمع ، يتدافع الزبد مـن فمهـا فكـأن شجرة الخطمي عليها تغسل بها ، فيتطاير الزبد على خدّها ووجهها ، لقوتهـا وسـرعتها ، كـانت مصابة بالجرب فذهب بعدما طليت بالقطران ، الذي بقيت آثـاره عـلى جسـمها ، هذه الناقة تصب ما يخرج من الماء في مسايل تسقى به زرعاً زالـت أوراقه ، بعد قطفته الأولى ، فتسقيه مرةً أخرى من الماء الذي مُلئ به الجدول ، كل ذلك بسبب ذكر سلمى .

وإذا مـا أُجيل النظر في هذين التشبيهين اللذين انتجا هاتين الصورتين ، يُرى أن الشـاعرين سارا في التشبيه ، لبلوغ هدف واحد ؛ هو تصوير مشهد دموعهما ومقارنته بمشـهد السـانية من الإبل ، فمضى كلُّ واحد على طريقته في التصوير ، بما يمكن أن يعطيه من إيحاءات لدى السامع .

فـسانية زهيـر تختلف اختلافاً واضحاً عن ساقية علقمة ، لأنّ الشاعرين يلاحقان فـي تشبيههما وتصويرهما لذلك المشهد شيئاً لا يبرحانه حتى يستقصيانه ، وأول اختلاف بيـنهما : ان ناقـة زهيـر مقتّـلة (مرهقة ومتعبة) ، وهذا على النقيض مما ورد عند عـلقمة ، فناقـته قويـة سـمينة ، أريحت عاماً كاملاً ، لا يعتريها الجرب ، فقد طليت بالقطران .

كـان زهير يركز في تشبيهه وتفضيله على تصوير عملية إخراج الماء من البئر مـن أول الصـورة إلى آخرها ، ولم يلتفت إلى غير ذلك من أشياء ، فناقته مقتلة تخرج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلـــو مـــلأى ، لهدوئها ، وسيرها على وتيرة واحدة ، فلا ينسكب من الماء شيء ، مع أنـــه يصفها بالسرعة حين تمد جسمها وعنقها خوفا من الرجل خلفها ، لكنّه لم يركزّ على ذلـــك . أمـــا علقمة : فكل ما فعله هو وصف تلك الناقة ، فوصف قوتها ولونها ، سمنها وراحـــتها ، وصـــحتها ونظافتها ، وخلوها من الأمراض ، وبالتالي السرعة في اخراج المـــاء مـــن غير نظر إلى ما يضيع منه ، فالسرعة في ناقة علقمة ، يقابله الحرص على الماء في ناقة زهير .

ولعـــل عنصر الحركة في تشبيه زهير هو ما يميزه ، فقد اعتمد على التفصيل في الحـــركات التي تجري في تلك العملية ، من سقاية الجنان ، إلى شدّ الحبل بوساطة البكرة إلى الأعـــوان والأدوات ، وفعلها ، والسائق الذي يحثها على السير ، والقابل الذي يتلقى الدلـــو ، والضفادع التي تحبو ، فتنهزم خوفاً من الغرق ، كل ذلك تصوير للحركة ، وهو ما لم تبلغه أبيات علقمة ، الذي صور الناقة تصويراً جسمياً يعرفنا بصفات الناقة السانية (الساقية) .

ولكـــن لماذا شبّه الشاعر دموعه بهذا المشهد ؟ وهل كان هدف الشاعر ايراد هذا المشـــهد غيـــر عابئ بالتشبيه ؟ ومما يبدو في هذا التشبيه أن الشاعر كان معجباً بعملية إخـــراج المـــاء عـــلى السانية إعجاباً جعله يربط بين أشياء تبدو متباعدة عن بعضها مع وجـــود أوجـــه للشـــبه منها : غزارة الدموع بغزارة الماء الذي تفيض به الدلاء ، إضافة إلى أنّ الأنهـــار فـــي الجزيـــرة العربيّة قليلة ، ومنظر الساقية من أغزر ما رأى ، وهو مشـــهد معـــروف لدى الجميع ، فحينما يشبه الشاعر دموعه بذلك المشهد ، يضع السامع فـــي حـــلقة من التخيل الذي يؤدي إلى تصور مدى الحزن والبكاء الذي أصاب الشاعر ، ومـــا عملية التفصيل والاستطراد هذه إلا في سبيل تجلية ذلك المشهد ، وتحقيقها في ذهن الســـامع ، وقد يكون في ذكر هذه القصة والتشبيه بها ما يزيد في تفوق الشاعر فنياً على غيره من الشعراء، وهي صورة تؤكد المبالغة في البكاء والحزن اللذين أصابا الشاعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعاً : تشبيه المرء بالنهر

يرد النهر مشبهاً به للرجل في تشبيه ملحمي طويل بعض الشيء ، حين يشبه الدموع به وهي قليلة ، [١] وحين يلاحق الشاعر صفة الكرم عند الممدوح ، في كثير من التشبيهات الدائرية الملحمية ، التي لا تتجاوز أربعة أبيات شعرية ؛ فقد شبه النابغة الذبياني النعمان بن المنذر بالنهر الفياض في كرمه [٢] ، وكان زيد بن حرب نهرا في الجود عند المسيب بن علس [٣] ، كما كان فضالة بن كلدة في رثاء اوس بن حجر له[٤] ، وورد هذا التشبيه عند بشر بن أبي خازم في مدح أوس بن حارثه [٥]، وأكثر ما ورد هذا النوع من التشبيه ، عند الأعشى ؛ فقد شبه قيس بن معد يكرب بالنهر ثلاث مرات [٦] ، وشبه هوذة بن علي الحنفي به مرتين [٧] ، وورد في مدحه للنعمان بن المنذر [٨] .وفي مدحه لإياس بن قبيصة الطائي[٩] ، وفي ثنائه على مسروق بن وائل[١٠] .

---

[١] ديوان عبيد بن الأبرص ، ط ١ ، تحقيق حسين نصّار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص١١ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص(٢٦ – ٢٧) .

[٣] شعر المسيب بن علس ، جمعه وحققه ودرسه ، أنور أبو سويلم ، ط١ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م ، ص ١٤٩ ، وينظر أيضاً : المفضّل الضبيّ أبو العبّاس المفضّل بن محمد بن أبي يعلي الضبيّي (ت ١٦٨) – المفضليات ، ط ٣ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٦٣ ، شبه القعقاع بن زرارة بالخليج المفعم المتراكم .

[٤] ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، الجامعة الامريكية ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م ، ص١٠٥ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق ، عزة حسن ، ط٢ ، دمشق ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م ، ص(١٦٩ – ١٧٠) .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ٢٩ ، ص٣٩ ، ص٥١ .

[٧] المصدر ذاته ، ص ٩٩ ، ص١٠٩ .

[٨] المصدر ذاته ، ص ١٩٩ .

[٩] المصدر ذاته ، ص ٢٩٧ ، وقيل في مدح قيس بن معد يكرب .

[١٠] المصدر ذاته ، ص٣٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين ينظر في تشبيه النابغه الذبياني الذي يقول فيه : [١]

فما الفرات إذا هبّ الرياح له ... ترمي أواذيّهُ العبرين بالزّبدِ

يمـدّه كـلّ واد مترع لجـب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

يظلّ من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجـدِ

يوما باجود منه سيـب نافلـة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غدِ

يـرى أن النابغة بدأ التشبيه بما النافية ، ثم جاء بعدها بالمشبّه به ، وفصّل فيه ، فهـو نهر الفرات حينما يكون في أوج ثورانه وفوران أمواجه العالية ، التي تقذف الزبد عـلى الضـفتين ، وهـو برغم هذه القوة ، تمده أودية ملأى بالماء ، سريعة الجريان ، يسـمع هديرها من بعيد ، تقتلع الأشجار حتى تجعلها ركاما في النهر ، هذا النهر – في تـلك الحـال – يـبقى فيه الملاح الماهر متمسكا بدفّة السفينة ، بعد أن أعياه التعب في مواجهـة ثـورة هذا النهر الهائج ، وهو بالرغم من كل ذلك ليس بأجود من النعمان في عطاياه ، فعطاء اليوم لا يمنع عطاء الغد .

وكـان عمـل الشاعر في هذا التشبيه هو الدوران ، من نفي الصفة عن المشبّه به إلى إثـباتها فـي المشبّه [٢]، والنعمان والنهر كريمان لا يبخلان بشيء على الناس ، فبدأ الشـاعر بـنفي أن يكون هذا النهر بكل أوصافه السابقة ، بأجود من النعمان ، فلقد دار الشـاعر حول محور الصورة – وهو وجه الشبه – فنفى أن تكون في المشبّه به ، أكثر وروداً ووضوحاً من المشبّه الذي يفوق ذلك النهر .

ويقول الأعشى الكبير في مدح هوذة بن علي الحنفي [٣]:

---

(١) ديـوان الـنابغة الذبيـاني ، ص(٢٦ – ٢٧) . وبهامشه معاني الكلمات ، جاشت : فارت . الغوارب : ما عـلا مـنه . الأواذي : الأمـواج . العـبران : الشـطآن . المترع : المملوء ، اللجب ذو الصوت . الركام : المـتكاثف . الينـبوت : ضـرب مـن النبت . الخضد : ما ثني وكسر من النبت . الأين : الأعياء . النجد : العرق من الكرب . السيب : العطاء .

(٢) ينظر : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص١٨٥ ، الطير في الشعر الجاهلي ، ص١٩٣ .

(٣) ديـوان الأعشـى ، ص ١٠٩ . وبهامشـه معاني الكلمات ، الجرف : المكان الذي يأخذه السيل ويجرفه . الغوارب : أعالي الأمواج . حوالب النهر : الفروع التي تحلبه أي تعينه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما مجاور هيت إن عرضت له ... قد كان يسمو إلى الجرفين واطّلعا

يجيش طوفانه إذ غبّ محتفلا ... يكاد يعلو ربى الجرفين مطّلعا

طابت له الريح فامتدّت غواربه ... ترى حوالبه من موجه تزعا

يوما بأجود منه حين تسأله ... إذ ضنّ ذو المال بالإعطاء أو خدعا

وهو تشبيه يكررّ ما قاله النابغة الذبياني ، حيث تبدو هذه التشبيهات متشابهة في الألفاظ والمعاني عند أغلب الشعراء ، فليس الفرات إذا جاش طوفانه ، وارتفع حتى كاد يطغى على شاطئيه أو ضفّتيه المرتفعتين ، وقد ضربته الريح ، فامتدت أمواجه عالية هوجاء ، أترعت بها روافده وفروعه ، وهو مع كل هذا ليس بأجود من هوذة حين تسأله ، إذا بخل بالمال حامله .

ومما يبدو في هذين التشبيهين وغيرهما ، أنّ الشاعر كان يعقد عملية المقارنة والموازنة بين النهر والممدوح ، حيث يدور قطبا التشبيه : المشبّه والمشبّه به ، حول وجه الشبه ، وهو الكرم ، يتجاذبه الركنان أو القطبان ، ولا يظهر ذلك إلا في نهاية التشبيه باسم التفضيل ، وما حديثه المسهب – نوعا ما – عن المشبّه به – النهر – إلا مبالغة من الشاعر في عطاء هذا النهر ، بإضفاء العنف في قذف الخير والعطايا إلى الناس ، وبرغم ذلك فممدوحه أكثر جوداً وكرماً .

وأكثر الأنهار التي وردت مشبهاً بها : نهر الفرات في العراق [١] ، ثم نهر النيل [٢] في مصر ، وما تبقى منها ، جاء على وجه العموم ، فلم يحدّد الشاعر اسم النهر [٣].

---

[١] ينظر : شعر المسيب بن علس ، ص١٢٩ ، ديوان النابغة الذبياني ، ص(٢٦ – ٢٧) ، ديوان الأعشى ، ص٣٩ ، ص٩٩ ، ص١٠٩ ، ص٣٣٩ ، ديوان بشر بن ابي خازم ، ص(١٦٩ – ١٧٠).

[٢] ينظر : ديوان الاعشى ، ص٢٩ ، ص٢٩٧ .

[٣] ينظر : ديوان أوس بن حجر ، ص ١٠٥ ، وديوان الأعشى ، ص٥١ ، ص١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامنا : تشبيه المرء بالأسد

يرد هذا التشبيه كثيرا في الشعر الجاهلي ، والمهم هنا هي تلك التشبيهات الملحمية التي فصّل الشعراء فيها صورة المشبّه به . ويأتي هذا التشبيه عادة حين يوصف الرجل بالشجاعة والإقدام والبطش ، فيشبهونه بالأسد .

وردت هذه التشبيهات عند العديد من الشعراء الجاهليين . فقد وردت عند زهير ابن أبي سلمى حين شبه الحصين بن ضمضم بالأسد [١] ، والهرم بن سنان [٢] ، وسنان ابن أبي حارثة المرّي [٣] ، وعند أوس بن حجر في رثاء أبي دليجة [٤] ، ويرد أيضاً عند عبيد بن الأبرص ، فقد شبه نفسه بالأسد مفتخرا [٥] ، وكان أوس بن حارثة كالليث في تشبيهين لبشر بن أبي خازم [٦] الذي شبّه أخاه سميراً بالأسد [٧]، ويرد عند المسيب بن علس حين يشبه القعقاع بن زرارة بالأسد [٨] ، ويرد عند الأعشى حين يشبه نفسه بالأسد [٩] ، وحين يشبه النعمان بن المنذر به في تشبيه ملحمي طويل [١٠] ، وحين يشبه مسروق بن وائل به أيضاً [١١] ، وعند عمرو بن معد يكرب حين شبه نفسه بالأسد مرتين مفصلا في ذلك [١٢] .

---

[١] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص(٢٣ – ٢٤).

[٢] المصدر ذاته ، ص(٩٤ – ٩٥).

[٣] المصدر ذاته ، ص٢٩٧ .

[٤] ديوان أوس بن حجر ، ص١٠٥ .

[٥] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص٨٢ .

[٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٩ ، ص ١٦٩ .

[٧] المصدر ذاته ، ص١٧٢ .

[٨] المفضليّات ، ص٦٣ .

[٩] ديوان الأعشى ، ص١٧٧ ، الأسد – المفضليات ، ص ٦٣ .

[١٠] المصد ذاته ، ص١٩١ – ١٩٣ .

[١١] المصدر ذاته ، ص ٣٤١ .

[١٢] ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، صنعة هاشم الطعّان ، وزارة الثقافة والاعلام ، مديرية الثقافة العامة ، ص(٨٤ – ٨٥) ، ص٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعـــل الأعشى خير من فصّل في صورة الأسد في اطار التشبيه الملحمي ، فلما أراد أن يعظم شأن النعمان ، لم يجد أفضل من الأسد مشبهاً به لذلك الملك . فقال [١]:

فما مخـــدر ورد كـــأن جبينـــه ... يطلى بورس أو يطان بمجســـدِ
كسته بعوض القريتيـــن قطيفـــة ... متى ما تنـــل من جلده يتزنّـــدِ
كأن ثياب القـــوم حول عرينـــه ... تبابين أنباط إلى جنب محصـــدِ
رأى ضوء نار بعدما طاف طوفة ... يضيء سناها بين إثل وغرقـــدِ
فيا فرحا بالنار إذ يبتدي بهـــا ... إليهم واضرام السعير الموقـــدِ
فلما رأوه دون دنيـــا ركابهـــم ... وطاروا سراعا بالسلاح المعتـــدِ
أتيح لهم حـــب الحيـــاة فأدبروا ... ومرجاة نفس المرء ما في غدٍ غدِ
فلم يسبقـــوه أن يلاقي رهينـــة ... قليل المســـاك عنده غير مفتـــدي
فأسمع أولى الدعوتين صحابـــه ... وكان التي لا يسمعون لها قـــد
بأصدق بأساً منك يومـــا ونجدة ... إذ خامت الأبطال في كل مشهـــد

حـــاول الأعشـــى فـــي تشـــبيهه ذاك ، أن يصوّر قوّة النعمان وبأسه وشجاعته ، بصـــورة ذلك الأسد المرعب في هيئته وفعله ، حاول تصوير الشجاعة من خلال وحشية هـــذا الأسد وفتكه ، فقد وصف شكله واجتماع البعوض عليه ، وهي صورة تكررت عند بعـــض الشعراء في حديثهم عن الأسد [٢]، ويبدو أن صورة البعوض هذه ، تزيد في بيان مـــنظره المـــرعب ، وتـــدل على كثرة قتلاه لذا اجتمعت عليه ؛ فثياب القوم عند عرينه

---

[١] ديـــوان الأعشـــى ، ص(١٩١ – ١٩٣) . وبهامشـــه معاني الكلمات ، مخدر : أسد في عرينه . الورس : نـــبات كالسمسم أصفر . مجسد : مصبوغ بالزعفران . القريتان : مكة والطائف . قطيفة : نوع من النسيج له وبـــر . تـــزنّد : غضب وضاق صدره . التبابين : سراويل صغيرة . النبط : جيل كان يسكن العراق . الإثل والغرقد : شجرتان . المساك : الاحتباس والثبات . خام : نكس وجبن .

[٢] يـــنظر : ديـــوان بشر بن أبي خازم ، ص١٤٩ . (... يغنيه البعوض على النطاف) ، وديوان عمرو بن معـــد يكـــرب ، ص ٨٥ (فأمسى يعتريه من البعوض ممنعاً بلده) ، وص ٨٥ (يذبذب عن مشافره البعوض ممنعاً بلده) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيرة ممزقة ملقية على الأعشاب اليابسة ، ثم سرد قصة أو وقعة لذلك الأسد مع الانسان ، وفتكه بأحدهم ، وفرار الآخرين خوفا على حياتهم .

ويبدو أن الأعشى ، في هذا التشبيه ، أراد أن يمدح النعمان من خلال هذه المقارنة ، التي تقوي صورة المشبّه بكل أبياتها ، فهذا الأسد ليس كأي أسد ، ولكنه أسد صفاته كذا وكذا وكذا ... وهو نفسه الذي يفوقه النعمان في الجرأة والاقدام .

تاسعاً : تشبيه المرء بالذئب

يرد الذئب مشبهاً به في الشعر الجاهلي كثيراً ، لكنه تشبيه قصير لا يتجاوز المشبّه والمشبّه به والاداة ووجهة الشبه في غالب الأحيان ؛ كتشبيه الانسان به في نحوله وضموره ... وتشبيه الفرس به ، والكلاب ... وغيرها ، إلا أن تلك التشبيهات قصيرة ، لا يشكل المشبّه به فيها - وهو الذئب - قصة ذات أبعاد ومقاصد يقصها الشاعر اثناء التشبيه بما ينعكس في صورة المشبّه .

ويبدو أن أوفى مثال على ذلك التشبيه الملحمي ، ما قاله الشنفرى الأزدي - حين شبه نفسه بالذئب - [1] :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا	أزلُّ تهاده التنائف أطحلُ
غدا طاوياً يعارض الريح هافياً	يخوت بأذناب الشعاب ويعسل
فلمّا لواه القوت من حيث أمه	دعا فأجابته نظائر نُحّل
مهلهلة شيب الوجوه كأنّها	قداح بأيدي ياسر تتقلقل
أو الخشرم المبعوث حثحث دبره	محابيص أرداهنّ سام معسلُ
مهرتة فوه كأنّ شدوقها	شقوق العصيّ كالحات وبُسّلُ
فضجّ وضجّت بالبراح كأنّها	وإيّاه نوح فوق علياء ثُكّل
وأغضى وأغضت واتسى واتست به	مراميل عزاها وعزّته مرمل

---

[1] ينظر : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، شرح لامية العرب ، تحقيق وتقديم محمد خير الحلواني ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٣٥ - ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكا وشكت ثم أرعوى بعد وارعوت ... وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

وفاء وفاءت بادرت وكلّهـا ... عل نكظ مما يكاتم مجمل

يقول الشنفرى : أنه حين يجوع فإنه يبحث عن طعامه القليل ، الذي لن يشبعه ، فالجوع ملازم له على الدوام ، يبكر في البحث عن الطعام كأنّه ذئب رمادي اللون ، ضامر البطن نحيلٌ من قلة الطعام وكثرة الجوع ، فقد تنقل باحثاً عن الطعام في أودية الصحراء وسيولها ... وهنا يترك الشنفرى العنان لخياله ، ويسير مع الذئاب ، فلا يعود للحديث عن نفسه ومعاناته إلا بعد أن يستوفي صورة الذئاب تلك .

فيقول بأن ذلك الذئب يبكر في بحثه عن الطعام ؛ لشدة ما به من جوع ، يسير ضدّ الريح علّها ترسل معها رائحة فريسة تسكت جوعه ، وينقضُّ من مرتفع كان فيه إلى قاع يبحث عن فريسة ، فلا يجد شيئاً ، فيصاب بخيبة أمل كبيرة ، الجوع يشتد ، والقوت يختفي من الأماكن التي ارتادها ، فلا شيء يعبر عن حزنه ، وبؤسه ، واشتداد جوعه إلا العواء على حاله تلك ، معتقداً بأنه الوحيد الذي يعاني من الجوع والهزال ، فما إن علا عواؤه حتى أرتجّ المكان بعواء أشباهه الذئاب ، الذين توافدوا إلى مكانه ، كانوا مثله ؛ يفتك الجوع والهزال بها ، قليلة اللحم ، بادية عظامها ، يكسو وجوهها شعر أشيب ، كأنّها في ضمورها ونحولها قداح الميسر بأيدي لاعب يحركها ويبعثرها .

أو كأنّه وإياها جماعة النحل ، يقودها رئيسهم عائداً بها إلى خلاياها ، فلا يجد إلا حطامها ، فتدور حول المكان مضطربة حزينة ، لم يعد لها مأوى ، هذه حال الذئاب لا طعام يسدُّ جوعهم ولا مكان يلتجئون إليه ، فقلة الطعام تجعلهم في بحث مستمر .

تظهر الذئاب في هذه القصّة ، واسعة الأشداق ، كأنّها شقوق العصيّ ، سوداء كالحة عابسة كئيبة بشعة المظهر ، الجوع يشتد عليها ، ولا سبيل إلا العواء بحزن شديد ويأس أشد ، فيعوي وتعوي معه الذئاب ، موجهة رؤوسها إلى السماء ، فكأنّه وإياها نساءٌ ثكل فقدن أولادهن أو أزواجهنّ ، يكثرن من العويل فوق مكان عال ، ثم ما لبث ذلك الذئب أن أنزل رأسه ، وأخذ صوته بالتناقص شيئاً فشيئاً ، وفعلت الذئاب مثل فعله ، لما رأى ورأت معه : أنّ الصبر هو خيارهم الوحيد ، فأخذ كل منهم يعزّي الآخر ، ويحمله على التجلّد والتصبّر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكـــنّ الذئب يطلق العواء شاكياً ، فتتبعه الذئاب ، ثم يكفّ فتكفّ معه ، فلم يجدوا أفضـــل من الصبر معزياً ومعيناً بعد هذا الموقف المحزن ، الذي يدفع إلى تعاطف المرء مـــع الذئـــاب ، ومع قضيتها ، فتصـحو الذئاب من ذلك الموقف ، فيرجع كل واحد منهم إلى مـــأواه بسرعة ، يضيق الأفق الرحب أمام عينيه ، ويكتم مرارة الجوع والأحزان في صدره ، فيبدو أن ذلك هو الحل الوحيد .

يشـــكو الشـــنفرى قبل هذا التشبيه شدّة الجوع ، جراء عيشه في الصحراء منبوذاً مـــن المجـــتمع الـــذي تـــنكر له ، فأنكر الشنفرى بعض قوانينه ساعياً وراء حريته التي وجدهـــا فـــي ذلـــك المكـــان الواسع في الصحراء ، حيث يضع وأصحابه من الصعاليك قوانين خاصة بهم .

ويـــبدأ الجوع من صعوبة حصوله على الطعام [1]، ومعاناته في سبيل ذلك كبيرة ليســـت باليسيرة ، فيشبه نفسه بالذئب ، فيتناسى نفسه وينطلق مع الذئب ، فيقص قصـته ، فيـــبدأ بتصـــوير الذئـــب الـــباحث عن الطعام ، فيصور هيئته وجوعه ، وتنقله وعواءه واجـــتماع الذئـــاب إليـــه ، فظهـــر ذلك الذئب بأنه قائد لتلك الذئاب ، التي ما إن سمعت عـــواءه حتى توافدت عليه من كل صوب مجيبة نداءه ، فيرسم للقارئ أو السامع صورة دقيقة لتلك الذئاب .

يُقيـــم الشـــاعر مناحة الذئاب وعواءها ، فترصد عيناه كل حركة تقوم بها ، كأن الشـــنفرى بينها ، حتى يشعر القارئ بأن المشهد يتجسد أمامه ، دون صعوبة في تصوّره أو تخيّلـــه ، فيـــبدو صراخها عالياً أول الأمر ، وهي بذلك تعين بعضها على الصبر في مواســـاة يتـــناقص العويل فيها حتى يتلاشى بعد أن تدرك أن هذا لن يفيدهم شيئاً ، ولن ينقذهم مما هم فيه ، فيسرع كل واحد منهم إلى وجره ، مخفياً أحزانه في أعماقه .

ويـــبدو أن قصـــة هذا التشبيه ، تلقي بكل ظلالها وتفاصيلها على الشنفرى وحياته مـــع رفاقه الصعاليك ؛ فقد اختار مشبهاً به مناسباً له من بيئته الصحراوية التي يحيا بها

---

(١) يـنظر : محمـــد علي أبو حمدة – في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢م ، ص١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. فـــالذئب يمـــثّل موقف الشنفرى بكل تفاصيله ، وقد ظهر التشابه بينهما واضحاً جلياً ، فـــالذئب ذو عـــود نحيل هزيل لا لحم عليه ، لونه مغبر رمادي ، وأشداقه واسعة ، وهو مـــا ينبئنا بشكل الشنفرى الذي ظهر في شعره كما ظهرت أشكال أصحابه الصعاليك في صورة الذئاب تلك .

ولا تظهـــر مشكلة الذئب في معاناة الحصول على الطعام الذي يطفى جوعه فقط . بـــل كان يركز على مقاومة هذا الذئب للجوع ومجابهته وتحديه ، وهو ما يقابل منهج الصعاليك في التصبّر والتجلد على الجوع ومقاومته [٢] .

أمـــا المكـــان ، فكـــان أوديـــة الصحراء وسهولها ، وهو مكان الصعاليك ومكان الذئـــاب ، وهـــو المكان الذي ألب الصراع في نفوس الصعاليك والذئاب ؛ بل إن المكان وقســـوته هـــي مـــا فرضت على ساكن الصحراء ذلك الصراع الذي يمثّل الانتصار فيه الـــبقاء على قيد الحياة ، ويتجلى الصراع بين الذئب والجوع ، فالجوع يحرك الذئب على غيـــر هواه ، فيستخدم كل وسائله للخلاص منه ، ويزيد في قوة الجوع وفتكة فقر المكان من الحياة .

لكـــن الذئب لا يستسلم أبداً للجوع فيقاومه بالبحث عن الفرائس ، ويستخدم وسائله المجـــرّبة ، فيعـــتمد على بصره ، وسمعه ، وعلى حاسة الشّم القوية عنده ، فيمشي ضد الـــريح حـــتى لا يخطىء ، ولكن لا حياة في المكان ، فلا يصيبه اليأس ، فيجول المكان مـــرات عديـــدة ، فيفشـــل ، فلا يجد أمامه للانتصار على الجوع ، وعدم الحصول على الطعـــام إلا الصـــبر والتجلد ، فيجمع الذئاب حوله ، فتكون حالها مثل حاله ، فيتشاكون ويواســـي بعضهم بعضاً ، ويحملون بعضهم على الصبر الذي سيقير الجوع وقلة الطعام ، وهذا ما يفعله الصعاليك تماماً .

إذن فالشنفرى صادق في كلامه حين قال في لاميته :

---

(٢) يـــنظر : عـــبد الحـــليم حـــنفي – شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص١٩٠ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولي دونكم أهلون سيد عملّس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

نعم أثبت ذلك تشبيهه هذا الذي تكلم فيه عن نفسه في صورة الذئب وحياته التي لا تختلف كثيرا عن حياة الشنفرى ، لذلك أطال الشنفرى في تفصيل تلك القصة ، لأنه لم يكن يتكلم عن الذئب ، بل كان يتكلم عن ذاته ، فبثّ همومه وآلامه وما أراد ايصاله إلى الناس من خلال هذا الذئب .

عاشراً : تشبيه المرء بالثور

يمرُّ تشبيه المرء بثور الوحش – تشبيها ملحميا – قليلا في الشعر الجاهلي دون ورود الناقة معه ، فقد ورد عند الأعشى حين شبه نفسه لمّا حمّله قومه ما لا ذنب له به بالثور [١] الذي يضربه الراعي ، حين عافت البقر الماء ليشرب فتشرب البقر بشربه ، فيُضرب على غير ذنب جناه [٢] ، وهو تشبيه قصير لا يحمل كثيراً من التفاصيل .

وورد عند أبي الطمحان القيني ، بعد حديثه عن الأطلال والديار الدارسة ، وبعد تسفيهه نفسه على بكاء الماضي ، وهجر الأحبه له ، وبقاءه وحيداً لا أنيس له ، شأنه في ذلك شأن الثور الوحشي ، فقال [٣] :

صرفت وكان اليأس مني خليقة إذا ما عرفت الصرم من غير واصلِ
لكالنابيء الفرد الارحّ ظلوفه قوانيء حمر من خزامى الخمائل
تهادى على نيٍّ فجال كأنّه حسام جلا عنه مسنُّ الصيّاقل

---

[١] ليس المقصود هنا ثور الوحش ، بل الثور الأليف .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ١١٥ .

[٣] يحيى الجبوري – قصائد جاهلية نادرة ، مؤسسة الرسالة ، الدوحة ، قطر ، رمضان ١٤٠١ هـ ، تموز ١٩٨١ م ، ص(٢١٢ – ٢١٤) . وفي الهامش معاني الكلمات : النابئ : الثور الذي يخرج من أرض إلى إخرى . الأرح : المنبسط الظلف . الخزامى : نبت طيّب الريح . النيّ : الشحم . عضف : كلاب مسترخية الأذان . ضوارع : نحيفات . ورُقّ : جمع ورقاء وهي التي يضرب لونها إلى الخضرة . الخطار : القصبة التي يتناولها المتسابق عند سبقه ليعلم أنه قد أحرز الخطار . دوالف : متقدمات . الناكل : الجبان الضعيف . اللدن : اللين . حاردات كعوبه : أي معوجة . المشحاج : الكثير الشجيع ، صفة لحمار الوحش . الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففاجـــأه غضف ضوار ذوابـــل ضـــوارع ورق كالخطـــار الذوابـــل
فجال ولد يعكف وهـــنّ دوالـــف دوان حثاث الركـــض غيـــر نواكـــل
فكـــر وقـــد أرهقنـــه بـــلاحـــه ولله حامـــي ســـوءة لـــم يقـــاتـــل
بأســـمر لدن حـــاردات كعوبـــه يشكُّ بها الأعضاد شظـــف الرحائـــل
فما بان من كدح ومن سبق سابق فهاب التوالـــي مـــا ترى بالأوائـــل
فأنقـــذه اســـتبســـالـــه وقتالـــه وشـــد اذا واكـــلنـــه لـــم يـــواكـــلِ
فجال كمشحاج الجهـــام عشيـــة يفـــر بلحـــم حالـــه غيـــر وائـــل

وقصـــة ثور الوحش هذه كثيرة الورود في الشعر الجاهلي ، عند حديث الشعراء عـــن الناقة ، وهو ما سنعرض له بالتفصيل في فصل الناقة وتشبيهاتها الملحميّة . والثور هـــنا وحيـــد ، دائـــم الترحال ، متبسّط الاظلاف تبدو حمراء من وطئه نبت الخزامى ، يمشـــي مخـــتالا عـــلاه الشحم ، أبيض اللون كالحسام ، سرعان ما تفاجئه كلاب نحيفات كالعصـــي ، فيشتد الثور في الهروب ، وتشتدُّ الكلاب في طلبه ، حتى إذا ما لحقنه ، كرّ عـــليها وســـدد قرنين سوداوين ، كأنّهما رمحان صلبان ، فأنّهال عليها يشك أعضادها ، ويخـــرّق بطونها ، فكان نصيب المقدمين من الكلاب القتل ، والمحجمين الفرار من فتك هذا الثور ، الذي أنقذه استبساله ، فخرج منتصرا معافى .

واول مـــا يلحظ على هذه القصة ، أنّها تخلو من شخصية الانسان الصائد ، الذي عادة ما يرد كشخصية ثالثة بعد الثور والكلاب .

ينـــتقل الشـــاعر بعـــد حديث الأطلال واليأس ، ومكائد الأعداء والخصوم ، الى تشـــبيه نفســـه بذلـــك الثور ، فيقصّ قصّته ، التي تعبّر عمّا يريد إيصاله الى الآخرين . فالـــثور يمثّل الشاعر تمثيلاً دقيقا ، في تنقله من بلدٍ الى آخر ، لا يعتدي على أحد ، فهو دائمـــا فـــي موقـــف المدافع عن نفسه ، تفاجئه الكلاب التي تمثل الاعداء لدى الشاعر ، هزيـــلة يفتك بها جوع الطمع والحسد والحقد بينما ((الثور – الشاعر)) (تهادى على ني فجـــال كأنّه حسام) مكتف شبع قوي ، فينشب الصراع بين الثور والكلاب ، بين الشاعر والاعداء ، فيموت من الكلاب من يموت ، ويلوذ بالفرار من بقي منهم حيا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا التشبيه الملحمي نادر في الشعر الجاهلي ، إذ إنّ الثور – كما قيل سابقا – يـرد مشـبها به للناقة . أما هنا ، فقد شبه الشاعر نفسه – صراحة – بالثور ، وهو ما يؤكـد أن جميع تلك التشبيهات الواردة في الناقة ، إنّما تمثل الشاعر وليس الناقة ، فالناقة تمـثل الشـاعر ، والـثور يمـثل الناقة ، اذن فالثور يمثل الشاعر . وما المعركة التي سـيكون المنتصر فيها الثور دائما . الا تمثيلا لما يحدث مع الشاعر الذي بث مشاعره ، ومواقفـه فـي قصة ثور الوحش هذه ، فانتصار الثور انتصار للشاعر على خصومه ، مـن هـنا فصّل الشاعر في صورة المشبّه به تفصيلا جعل منه قصة ذات معنى ينعكس فـي صورة المشبّه به ، فلم ينس المشبّه ، بل انتقل الى حديث رمزي عن نفسه بوساطة الـثور ، فكـان الثور وسيلة غير مباشرة للحديث عن النفس والحياة ، ويبدو – من جهة اخـرى – أن هذه الصورة اصبحت تقليدا فنيا يمارسه الشعراء ، ليحقق نوازعهم النفسيّة والفنيّة على حد سواء .

حادي عشر : تشبيه المرء بحمار الوحش

ويـرد هذا التشبيه قليلا في الشعر الجاهلي ايضا ، وهي صورة تتكرر مع الناقة كثيرا ، فقـد شـبه ابو الطمحان القيني نفسه بحمار الوحش في قصيدته ذاتها التي شبه نفسه فيها بثور الوحش في تحول بعد أن شفى نفسه من صورة الثور ، فقال :[1]

أذلك ام جـأب النسالـه قـارح يطوف على ورق خفـاف حوائل

---

[1] المـرجع السـابق : قصائد جاهلية نادرة ، ص ٢١٤ – ٢١٦ . وبهامشه معاني الكلمات : الجأب : الحمار الغـليظ . النسالة : سقوط شعر الحيوان . قارح : شاب بالغ . العون : جمع عوان ، النصف في سنّها من كل شـيء . سـرو الخيل : كرامها . القنابل : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . شحافوه : انفتح . مسـحّج : أتـان فيهـا أثر العض والكدح . اللبان : الصدر . المناضل : المتسابق في رمي السهام . النهاء : نهـاء المـاء ارتفاعه . مولى : المطر يأتي بعد الوسمي . الأكدّة : الجوانب . السفا : شول البهمي . الثمائل : بقيّـة المـاء . النطفة : الماء الصافي : المطيطة : الماء الخاثر في أسفل الحوض . الجحافل : مشافر الحيوان . نجـوم الأخـذ : مـنازل القمـر . غمـر : ماء كثير . خلقاء : صخرة خلقاء ، ليس فيها وصم ولا كسر . العيـون الحواجل : التي فيها غؤور . قارب الماء : طالب الماء ليلاً . النقع : الغبار . أتلعن : مددن أعناقهن الطويـلة . وابـل : شديد . المنيح : القدح المستعار من قداح الميسر الذي لا نصيب له . المناقل : الذي يجيل سهام الميسر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخيّرهـــن العون إذ هـــو راتـــع كما طاف سرو الخيل مذكي القنابل
إذا ما شحا فيهـــنّ فوه لسحـــج ليعدو لهـــا كأنّـــه فـــرخ زاجـــل
رصفن رصـــفا تبتـــي لبانـــه كما يبتدي للكبـــد نيـــل المناصـــل
تربّـــع أعلـــى عرعر فنبـــاءة فأســـراب مولـــي الألـــدة باقـــل
به احتجبا حتى إذا الحرّ مسّـــه وخبّ السفا او جف ما في الثمائـــل
ولم يبق إلا نطفـــة في مطيطـــة مع الطين فاستقصينهـــا بالجحافـــل
فياج مشيعات الهوى بحفيظـــة صوادق لدنـــات ظمـــاء المفاصـــل
فأورده الظن المرجّـــم فرصـــة رقيعـــة شرب بين هيـــب وكاثـــل
تراءى نجوم الأخذ في حجراته وتفهق في إتراعهـــا في الـــجداول
لها مشرع غمر وخلقاء رخصة منـــابتها لـــم تختـــرق بالمناجـــل
يسلسلن برداً خالصاً وعذوبـــة شفـــاء الغليـــل والعيون الحواجـــل
أربّ عليها قارب الماء بعدمـــا رأى الشمس قد كانت مدى المتناول
وأنشأن نقعاً ساطعـــاً متوتـــراً وأتلعـــن بالأعنـــاق بلـــه الكواهل
وأردف أدنـــى نقعهـــن بمثلـــه وهـــاج بإضرام من الشـــد وابـــل
وألصقن بالأكفـــال جبـــّة نحره لصوق المنيـــح بالأريـــب المناقـــل
تفاديـــن من إنفـــاده وكـــأنّـــه رقيب قداح مسمـــح غيـــر ناكـــل

بعـــد أن شبه الشاعر نفسه بثور الوحش وقصّ قصّته من خلال التشبيه ، بقي في نفســـه شيء لم يقله ، أو لم يتحقق في التشبيه الأول ، فأتى بصورة أخرى لا تبتعد كثيرا عـــن سابقتها ، فالمشبّه به حمار الوحش ، الذي يخوض صراعاً مع الصحراء والزمان ، والخصـــب والجفاف ، فهو غليظ أسود قوي ، يطوف على أتن حوائل ، اختارهن من بيـــن الأتن ، فساقهنّ ودفعهنّ أمامه بغضب ، يعضّ من تشاكسه ، أو تتخلف عنه ، حتى يســـرن فـــي نسق واحد أمامه ، وقد ألصق صدره بأعجازهنّ ، فبلغ أعلى عرعر حيث الـــنهر والعشب والبقل ، فطاب له المقام هناك ، بعيداً عن بقية الحمر ، نائيا عن الأعداء ، حـــتى إذا اشـــتد الحـــر ، ويبس الزرع ، وجفّ الماء ، ولم يبق إلاّ نطفاً بين الشقوق والطيـــن ، شـــربتها الأتـــن بمشافرها ، عندها هاجت أشجانه ، واشتدّ حنينه الى مواضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـتدفق الماء فيها أنهارا وجداول عذبة تشفي العليل ، فلمّا كان وقت الأصيل ، عزم على الـرحيل ، فـأركض أتـنه أمامـه ، تجدّ في السير ، مادة أعناقها ، مثيرة الغبار ، فعدا الحمـار فـي إثرهنّ ، مثيرا الغبار ، وهو يحاول إلصاق صدرة بأكفالهن ، يحثهن بذلك على السير ، فيسرعن ، ويسرع خلفهن كالسهم المنطلق .

وممـا يـلفت الـنظر ، خلو هذا التشبيه أو قصة الحمار من الصائد الذي يرسل سـهماً طائشاً نحو الحمار – كما نراه في موضوع الناقة ، وهذا التشبيه طويل فصل فيه الشـاعر رحـلة الحمـار وأتنه ، ظهر فيه الحمار الآمر الناهي للقطيع ، وانه ذو رأي مصـيب دائمـا ، حازم في أمره ، مطاع يحمل المسؤولية على أتمّ وجه ، ويدلّهمُّ على مواضـع الخيـر والهناء ، فيسوقهن في رحلة طويلة كي يوصلهن مواطن الرزق ، يدفع الـبلاء والاعـداء عنهن ، وإذا ما نضب الماء توجه في رحلة جديدة نحو موطن جديد ، انن كـان الشـاعر يركـز فـي هذا التشبيه ، على ان الحمار الذي يمثل نفسه بالتاكيد يتصـف بصـفات مـتعدده ، هي صفات الشاعر نفسه ، لذا سلخ الشاعر كل ما استطاع سـلخه على نفسه في قصة هذا الحمار الذي بدا واضحا انه يتصف بصفات إنسانيه كما يظهر في الأبيات ، من فطنة ، وقوة ، وغيرة ، وحزم ، وتذكر ... الخ .

ثاني عشر : تشبيه المرء بالحوت

ورد تشـبيه المـرء بالحوت – تشبيهاً ملحمياً – مرة واحدة في الشعر الجاهلي ، عـند عـبيد بن الأبرص ، حين شبه براعته في قول الشعر بمهارة الحوت وحركاته في مياه البحر ، (وهي صورة غريبة ، لا نجد مثلها في الأدب العربي) [١]، فيقول [٢] :

لسـاني بالنثيـر وبالقوافـي ... وبالأسجـاع أمهر في الغياص

من الحوت الذي في لجّ بحـر ... يجيد السبـح في لجج المغاص

---

[١] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص٧٥ ، شارح الديوان .

[٢] المصـدر ذاتـه ، ص(٧٧ – ٧٨) . وبهامشـه معـاني الكلمات : باص : أسرع . الوبيص : البريق . المحـاص : الـرجوع . تـلاوص : نظـر يمـنة ويسرة . المداص : الماء الذي تذهب فيه السمك وتجيء . الملصـى : جمـع مـليص : وهو المولود غير تمام ، الملاص : الموضع الذي ملصت فيه الحيتان أولادها . تناعص : تحرك في اليد ليفلت منها . السرد : الدرع من الحلق . الدلاص : اللين البرّاق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا مـــا باص لاح بصفحتيـــه ... وبيصٌ في المكرّ وفي المحاص

تلاوص في المداص ملاوصات ... لـــه ملصـى دواجـــن بالملاص

بذات الماء ليـــس لهـــا حيـــاة ... إذا أخرجتهـــن مـــن المداص

إذا قبضت عليه الكـــفُ حينـــا ... تناعص تحتهـــا أي انتعـــاص

وباص ولاص من ملصى ملاص ... وحوت البحر أسود ذو ملاص

كلون المـــاء أسود ذو قشـــور ... نسجن تلاحـــم السرد الدّلاص

يتكـــلم عـــبيد قـــبل هذا التشبيه – الذي أتى على سبيل المقارنة بينه وبين الحوت باســـم التفضيل (أمهر) – عن مهارته في قول الشعر ، متحديا الشعراء أن يقولوا مثله ، ومضـــى عـــلى ذلـــك حتى قال : بأن لسانه يغوص في أعماق النثر ، والشعر ، والكلام المســـجوع ، فيخـــرج أحسنه ، وهو بذلك أمهر من الحوت الذي يعيش في عمق البحر ، يجيـــد الســـبح في اللجج المضطربة العميقة ، فينطلق الشاعر بعدها في التفصيل ، وقص القصـــة ، فهـــو حـــوت سريع إذا حرك صفحتيه كان لهما بريق في الرواح والرجوع ، يـــنظر حوله في الماء الذي تذهب فيه السمك وتجيء نظرات كثيرة ، ليرى صغاره في مكـــان ولادتهـــا ، كي لا تخرج ، فالحيتان تموت إذا أخرجت من الماء ، والصغير منها إذا قبضـــت عـــليه يد الانسان ينزلق محاولاً الإفلات بشدة وليونة شديدة ، فيسرع وينظر يمـــنة ويسرة باحثاً عن صغاره التي تنزلق من اليد ، هذا الحوت لونه أسود ، ذو انفلات وتخلص ، أسود كالماء ، له قشور كالدرع البرّاق اللّين .

وعـــبيد أمهر في السباحة من هذا الحوت ، الذي يمثّل شخصية عبيد خير تمثيل ، فالـــبحر عـــالم وحـــده ، يغص بالمخلوقات ، واللغة هي ذلك البحر بأسماكه ومخلوقاته ، وعـــبيد هو ذلك الحوت ؛ أكبر مخلوقات البحار ، وأقواها على الاطلاق ، يجيد السباحة فـــي الـــلجج المضـــطربة ، كما يستطيع عبيد التحكم بالنثر والشعر والاسجاع ، له بريق يـــرى من بعيد ، يجيل النظر كالحوت فيما حوله فيرى كل شيء ، فهو " الشاعر " ليس طارئـــاً عـــلى هذا البحر ، بل إن له بيتاً وصغاراً ، والحوت – الشاعر – إذا خرج من محيطـــه يمـــوت ، فـــلا حيـــاة له من غير ماء ، أو من غير شعر ، فاللغة – بصورها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــلماتها والـــبراعة فيها – إذا قالها غير المتمكن ، ماتت وباتت بغير مدلول وحلاوة ، فيشـــتد الحـــوت " الشاعر " بالنظر في كل الاتجاهات مراقبا صغاره التي تفلت من اليد بســـرعة ، وهي نفسها عند الشاعر ، كالبراعة في القول والتصوير التي تهرب من عقله هـــروبا سريعا ، وما أصعب قول الشعر ! ، لسانه مصنوع من هذه الماء ، من هذه اللغة ، قشـــور الحـــوت كالدرع البراق ، ولسان عبيد هو درعه الذي يذود به عن نفسه وعن قومـــه ، لذلـــك أتى الشـــاعر بهذا التشبيه ، وفصّل فيه ، لأنه يمثل قوله ولسانه وبالتالي نفسه ، فكلا الموضوعين متقاربان ، في الغوص إلى الأعماق ، وكلاهما عظيم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : المرأة والتشبيه الملحمي

أولاً : تشبيه المرأة بالدرّة

ثانياً : تشبيه المرأة بالغزال

ثالثاً : تشبيه المرأة بالبقرة الوحشية

رابعاً : تشبيه نشر المرأة بريح الروضة

خامساً : تشبيه ريق المرأة بالماء وبالخمر وبالعسل

سادساً : الظعائن

- تشبيه الظعائن بالسفن
- تشبيه الظعائن بالنخيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

المرأة والتشبيه الملحمي

أولا : تشبيه المرأة بالدُرّة

يـــرد تشبيه المرأة بالدرة في الشعر الجاهلي كثيرا ، حين يصف الشعراء بياضها وجمال طلعتها .

فقـــد شـــبه المســـيب بـــن علّس صاحبته المالكية بجمانة البحري ، التي أتى بها الغـــواص مـــن أعمـــاق الـــبحر ، بعد رحلة طويلة وصعبة [١]، وتبعه في هذا الوصف الأعشـــى حين شبه صاحبته بالدّرة التي أخرجها غواص " دارين " ، بعدما سعى وراءها طويـــلا [٢]، وكـــانت المـــرأة كـــالدّرة عند عدي بن وداع الأزدي ، جاء بها رجل أسود اشـــيب على سفينة كبيرة [٣]، وجاء هذا التشبيه في شعر أبي ذؤيب الهذلي حين شبه ابنة السهمي " بدّرة القامس " الذي خاض البحار ، فظفر بها بعد العناء الطويل [٤].

ولننظر في تشبيه المسيب بن علس الذي يقول فيه [٥] :

كجمانة البحري جـــاء بها	غوّاصها من لجة البحرِ
صلب الفؤاد رئيس أربعة	متخالفي الألوان والنجر
فتنازعوا حتى إذا اجتمعوا	ألقوا إليه مقـــاد الأمـــر
وغلت بهم سحجاء جارية	تهوى بهم في لجّة البحر
حتى إذا مـــا ســـاء ظنّهم	ومضى بهم شهر إلى شهر
ألقـــى مراسيـــه بتهلكـــة	ثبتت مراسيها فما تجري
فانصبَّ أسقف رأسه لبـــد	نزعت رباعيتـــاه للصبر

---

[١] شعر المسيب بن علس ، ص (١٠٠ – ١٠٢) .

[٢] ديوان الأعشى ، ص٣٦٧ .

[٣] قصائد جاهلية نادرة ، ص(٥٧ – ٥٨) ، يحيى الجبوري .

[٤] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص(١٣٣ – ١٣٤).

[٥] شـــعر المســـيب بن علس ، ص(١٠٠ – ١٠٢) . وبهامشه : النجر : الأصل ، سحجاء : طويلة . أسقف : نحيل منحني الظهر ، لبد : متلبّد الشعر ، أشفى : أشرف . الصراري : الملاّحون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشفى بمجّ الزيت ملتمس ... ظمآن ملتهب من الفقر
فتلت أباه فقال أتبعه ... أو استفيد رغيبة الدهر
نصف النهار الماء غامره ... ورفيقه بالغيب لا يدري
فاصاب منيته فجاء بها ... صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا ويمنعها ... ويقول صاحبه إلا تشري
وترى الصرارى يسجدون لها ... ويضمها بيديه للنحر
فتلك شبه المالكية إذ ... طلعت ببهجتها من الخدر

ولننظر أيضاً في تشبيه الأعشى حين قال [1]:

كأنها درّة زهراء أخرجها ... غواص دارين يخشى دونها الغرقا
قد رامها حججاً مذ طرّ شاربه ... حتى تسعسع يرجوها وقد خفقا
لا النفس تؤنسه منها فيتركها ... وقد رأى الرغب رأي العين فاحترقا
ومارد من غواة الجن يحرسها ... ذو نيقة مستعدّ دونها ترقا
ليست له غفلة عنها يطيف بها ... يخشى عليها سرى السارين والسرقا
حرصاً عليها لو أن النفس طاوعها ... منه الضمير ليالي اليمّ أو غرقا
في حوم لجّة آذيّ له حدب ... من رامها فارقته النفس فاعتلقا
من نالها نال خلداً لا انقطاع له ... وما تمنى فأضحى ناعماً أنقا
تلك التي كلفّتك النفس تأملها ... وما تعلّقت إلا الحين والحرقا

ولنجل النظر في كلا التشبيهين ، كي نتلمس التباين بين عناصر كل قصة ، بالنظر إلى القصة الأخرى التي يحملها التشبيه ، وسيبدأ بصورة الغائص ، فقد جاء وصفه جسدياً عند المسيب بن علس ، فكان طويلاً محني الظهر ، متجعد الشعر [2]،

---

(1) ديوان الأعشى ، ص٣٦٧ . وبهامشه ، معاني الكلمات : طرّ شاربه : نبت وظهر . تسعسع : هرم واضطرب في مشيه . النيقة : تنوق في الأمر بالغ فيه . الترق : شبيه بالدرج . الآذي : موج البحر . الحدب : الموج وتراكب الماء في جريه . حومة الماء معظمه . اعتلقا : علقته المنيّة فمات .

(2) وصف عدي بن وداع ، الغائص بأنه أسمر متلبد الشعر متناثره ، لم يشمله الشيب ، في قوله : (جاء بها آدم صلب أحمص الرأس فيه الشيب لم يشمل) ، قصائد جاهلية نادرة ، ص ٥٧ ، ووصفه أبو ذويب : بأنه ضامر البطن نحيل ، يغوص في البحر كأنه الغرنيق : طائر الكركي (أجاز إليها لجة بعد لجة ... أزل كغرنيق الضحول عموجُ) ، شرح أشعار الهذليين : ص١٣٤ ، ج١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهشـــم الأســـنان ، قد خاض لجة البحر ، فكان قويّ القلب ، أميراً على أربعة غائصين اختـــلفت ألوانهـــم وأصـــوليهم . له الأمر والنهي ، تحدّى المهالك ، صبورا على الشدائد فقيـــرا ، كـــانت الدرة كنزه الثمين ، يطاردها منذ زمن بعيد ، قتل أبوه في سبيلها ، غير مـــتردد ، أراد مصير والده ، بحث عنها في الأعماق ، فظفر بها ليس لها ثمن في نظره ، فقد ضمها لنحره .

أمـــا غـــائص الأعشـــى ، فهو من (دارين) ، أخرج الدرّة بعد أن عرّض نفسه لـــلغرق والهـــلاك ، أرادهـــا مـــنذ أن كان فتى صغيرا غضاً إلى أن أمسى شيخاً كبيراً مضـــطرب الخطوات ، لم تهدأ نفسه من طلبها ، فالأمل يتجسد أمامه ، فيحترق طمعاً ، تحـــدّى حارسها المارد الجبّار ، ولو طاوع نفسه لمات غرقاً ، فتطويه الأمواج الثائرة ، ولعـــل المسيب قد كان أكثر تفصيلاً ، وأدق تصويراً لصورة الغائص من الأعشى ، فقد أطـــال الحديـــث فـــي بيـــان صفاته الجسدية ، والخلقية ، والنفسية ، أكثر من الأعشى ؛ وعلاقـــة غائص المسيّب بالجمانة تبدو أطول في الامتداد في الماضي ، فالعلاقة متوارثة مـــن الأب لأبنه ، وكان يطلبها بشدّة لأنّ والده مات بسببها ، أما علاقة غائص الأعشى ، فالعلاقـــة بهـــا تـــبدأ بـــه منذ أن كان صغيراً إلى أن أمسى شيخاً كبيراً ، وهو ما يشكل امـــتداداً زمـــنياً أقصـــر مما ورد عند المسيّب بن علس ، فكانت تحركه (الصائد) ند المســـيّب الرغـــبة التي وصلت إلى الثأر وعند الأعشى الرغبة التي وصلت ، وتجاوزت الطمع .

وقـــد انفـــرد تشبيه المسيّب ببيان صورة السفينة [١]، طويلة الظهر ، ولها مراس توقفها في أمكنة يختارها الملاحون .

أمـــا الـــدرّة : فكـــانت عند المسيّب جمانة البحري [٢]، أخرجها غوّاص استعدّ أن يمـــوت كما مات أبوه في طلبها ، مضيئة برّاقة تتوقدّ كالجمر ، ليس لها ثمن في نظره ،

---

[١] ورد ذكـــر الســـفينة عـــند عدي بن وداع ، قصائد جاهلية نادرة ، ص٥٧ (شيع في قروء مدهونة ذات قلاع صعداً تغتلي) .

[٢] ورد هـــذا التعـــبير فـــي شـــعر لبيد بن أبي ربيعة في ديوانه ، ص ٣٠٩ ، حين شبه بقرة الوحش بجمانة البحري (وتضيء في وجه الظلام منيرةً كجمانة البحري سُلّ نظامها) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يـبيعها ، ويسـجد الملاحـون تقديسـا لها حين يضمها الغواص إلى نحره ، أما درّة الأعشـى فيـي بيضاء مشرقة ، تعرّض غواص (دارين) للموت غرقا مرّات عديدة ، أرادهـا منذ أن كان صبيا إلى أن أصبح شيخا لا يقوى على المسير ، هي أمله الكبير ، مكانهـا أعمـاق الـبحر المظلم ، يحرسها جنيّ مارد جبار ، صعّب من مهمة الغائص كـثيرا ، فهو يحتجزها في درج متين ، لا يغفل عنها أبدا ، يطوف بها خشية السارقين ، لكـنها مغـرية ، تهب الخلود لمن يمتلكها ، وتهبه أيضاً هدأة البال وراحته ، لأنه حقق بامتلاكها كل أمانيه .

ويتجـلى الصراع في هذه القصة ، بين الإنسان من جهة ، وما تحويه الطبيعة من مصـاعب متعددة كثيرة من جهة أُخرى ، وأول ما يؤلب الصراع في نفسية الغائص ذاك ، الرغـبة الجامحـة في امتلاك تلك الدرة أو الجمانة ، ذلك الصراع الملتهب في قلبه ، يدفعـه إلى مواجهـة الأخطـار القاتـلة ، فالصراع قديم ، والعلاقة النفسية وطيدة بين الغـائص والبحر من أجل الدرّة ، فكأنّه يريد أن يثأر منها بامتلاكها ، وسببها من مكانها ، فطلـبها منذ أن كان صغيراً إلى أن بلغ كهلا عاجزاً فيطيل في البحث عنها في البحار الهائجـة ، وينشـب الصراع مع الآخرين على الرئاسة ، ثم يبدأ صراعه مع الأمواج ، فيغـوص إلى الأعمـاق ، يحيط به الموت ، لكنّ إصراره على امتلاكها يضاعف جهده ومغامـرته ، فتدفعه دفعاً إلى الإقدام والجرأة ، فلا يأبه لذلك المارد الجبّار ، بل يتجاوزه ليفوز بما تمناه أخيراً ، فتعرض عليه الأثمان العالية المغرية ، فيأبى أن يبيعها .

وتـدور أحداث قصّة هذا التشبيه في البحر ، أعماقه ولججه ، أو (دارين) على ظهـر سـفينة طويـلة ، يقصدون مكان الدرة في الاعماق ، أما زمانها فلا أراه خفياً ، فعلاقـة الشاعر بها علاقة قديمة تتجاوزه إلى أبيه ، أو منذ كان طفلاً إلى أن أصبح شيخاً ، رغـم أن الأفعـال تـتأرجح بين الماضي والحاضر وهو أسلوب من أساليب القصص يعـتمد عـلى الموقـف ، ويظهر عند المسيب تفصيل في الزمن أكثر من الأعشى ، فقد أمضـوا عدة شهور في عملية البحث عنها ، وقد اكتملت القصة ، ويدخل الأعشى الزمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللامحـــدود وغيـــر المـــدرك ، وهو أنّها تهب الخلود . وكأنّه شعر باقتراب الموت منه فأصبح على حافته ، فكان يبحث عن الخلود ، وقد وجده بامتلاكه تلك الدرة .

أكـــان الشـــاعر يـــريد من وراء هذا الوصف الطويل ، والصراع المرير – أكان يـــريد وصـــف بياض المرأة ؟ فشبهها بالدرّة [١]، أم أنه يريد أن يبين أيضا أن هذه الدرة الـــتي تشـــبه محبوبـــته ليســـت كأيّة درّة ، فهي أصيلة جيء بها بعد عناء مرير استمرّ ســـنوات طويلة ، تعرض الغائصون خلالها للموت كثيرا ، أم أن الغائص في هذه القصّة يمـــثّل موقف الشاعر - بل الشاعر نفسه - ويخدمه ؟ ، وأن الدرّة تمثّل المرأة التي يحبها ويتمـــنى وصـــلها ؟ ، والـــبحر بأمواجـــه المتلاطمة الهائجة يمثل للشاعر الأخطار التي يواجههـــا فـــي سبيل وصول محبوبته وسط ليل حالك السواد ؟ ، وأنّها لفتنتها يقوم دونها مـــارد جـــبّار ، وأظـــنه زوجها أو أحد من يعنيهم أمرها ، والبحر والليل متشابهان ،في الظـــلمة ، والاتساع ، والغموض ، والمغامرة والموت ، ويبدو أن قصّة الدرّة وما تحويه من صعوبات ومخاطر ، ما هي إلا اسقاطات واضحة المعنى والمقصد ، نستخلصها من النصـــوص ، ومن نظرة على الأبيات التي تأتي في آخر هذه القصّة ، نستخلص أن هذه الـــدرة أو الجمانـــة لهـــا قدسية خاصّة ، وفق تصوّر جاهلي معين ، وقد صرّح الشعراء بذلك ، كما قال النابغة الذبياني [٢]:

أو درّة صدفية غوّاصها بهج متى يرها يهلُّ ويسجد

ويقول المسيب بن علس [٣] :

وترى الصراري يسجدون لها ويضمّها بيديه للنحرِ

---

[١] يـــنظر : ديـــوان النابغة الذبياني ، ص ٩٢ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٧ (رأى درّة بيضاء يحفل لونهـــا ...) ، وديـــوان قيس بن الخطيم ، ، ط٢ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دمشق ، ١٣٩٢ هـــ – ١٩٧٢ م ، ، ص١١١ ، (وكأنها درّة أحاط بها الغواص يجلو عن وجهها الصدف) .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص٩٢ . الصراري : الملاّحون .

[٣] ديوان المسيّب بن علس : ص١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الدرّة عند الأعشى تهب الخلود لمالكها [١] :

من نالها نال خلدا لا انقطاع له وما تمنى فأضحى ناعما أنقا

وتنقذ البائس من فقره ووحدته ، عند عدي بن وداع [٢]:

بشّر أصحابا له أنّها تجبر فقر البائس الأرمل

ولا أراه فـــي هذا البيت إلا أنه كان يتحدّث عن إمرأة ، فقد جاء باشد من يحتاجها وهـــو الأرمـــل الـــذي ماتت عنه زوجته ، وهي عند أبي ذؤيب الهذلي ليس لها مثيل ، حُملت على عير اللطميّة حيث الروائح الزكية :

فجاء بها ما شئت من لطميّة تدوم البحار فوقها وتموج [٣]

ويمكـــن القـــول بعـــد ذلك كله ، أن ما فوز الغائص بالدرة ، أو الجمانة إلا فوز الشـــاعر بمحبوبته ، إذ من غير المقبول أن يشبه الشاعر محبوبته بدرّة يخرجها غيره ، إلا إذا كان غيره يمثّله بذاته .

ثانياً : تشبيه المرأة بالغزال

يـــأتي الغـــزال مشـــبها به للمرأة في مواضع كثيرة جداً في الشعر الجاهلي ، وقد استقصـــى الباحث منها التشبيهات الملحميّة الأكثر طولاً ، ويرى ذلك عند النابغة الذبياني فـــي قولـــه : (... على جيداء فاترة البغام) [٤]، وعند طرفة بن العبد في قوله : (وفي الحـــيّ أحـــوى ينفض المرد شادن ...) [٥]، وعند عبيد بن الأبرص في قوله : (أدمانه تـــرد البرير بغيلها) [٦]، وعند قيس بن الخطيم : (فما ظبية ... بأحسن منها) [٧]، وعند

---

[١] ديوان الأعشى ، ص٣٦٧ .

[٢] قصائد جاهلية نادرة ، ص٥٨ .

[٣] شرح أشعار الهذليين ، ج١ : ص١٣٤ ، (أبو ذؤيب الهذلي).

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١ .

[٥] ديوان طرفة بن العبد ، ص(٨-٩) .

[٦] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ .

[٧] ديوان قيس بن الخطيم ، ص(٢١٢ – ٢١٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشـــر بـــن أبـــي خـــازم في قوله : (وما مغزل أدماء ... بأحسن منها) [١]، وقوله (... لحســـن دلالهـــا رشأ موافي) [٢]، وقوله (تعرّض جأبة المدرى خذول ...) [٣]، وعند الأعشـــى فـــي قولـــه : (كخـــذول ترعى النواصف ...) [٤]، وقوله : (فيبنّ مخزوف النواصـــف مســـروقة الـــبغام شـــادن أكحل) [٥]، وعند طفيل الغنوي في قوله (إذا هي أحـــوى مـــن الـــربعي حاجبه ...) [٦]، وتأتي أيضاً في شعر عمرو بن قميئة : (وكان غـــزلان الصـــريم بهـــا ...) [٧]، وفـــي شعر الأسود بن يعفر النهشلي في قوله : (... كأدمـــاء مـــن أظبي نيالة مخرق) [٨]، وفي شعر لبيد بن ربيعة ، حين قال : (... من الأدم تـــرتاد الشـــروخ القوابـــلا) [٩]، وفي شعر أبي ذؤيب الهذلي في قوله : (فما أم خشـــف ... بأحسن منها) [١٠]، وقوله : (لعمرك ماعيساء تنشأ شادناً ... بأحسن منها) [١١]، وفي أرجوزة للشمّاخ قال فيها : (... أوكظباء السَّدر العيريات)[١٢].

مـــن الشـــواهد الســـابقة ، نتبين أن الشاعر الجاهلي كان مغرماً بالغزالة كثيراً ، فأكـــثروا مـــن ذكـــرها ، (والتشبيه بها في طول العنق ، ونصاعة اللون ، وراقهم فيها

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص١٤٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص(٢٠٢ – ٢٠٣).

(٤) ديوان الأعشى ، ص(٢٠٩ – ٢١١).

(٥) المصدر ذاته ، ص٢٥٧ .

(٦) ديوان طفيل الغنوي، ط١، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد ،١٩٦٨م، ص(٥٥–٥٦).

(٧) ديـــوان عمـــرو بـــن قميئة ، ط١ ، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـــ – ١٩٦٥م ، ص٨٩ – ٩٤ .

(٨) ديـــوان الأســـود بـــن يعفـــر النهشلي ، ط ١ ، صنعة نوري حمودي القيسي مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص٤٩ .

(٩) ديوان لبيد بن أبي ربيعة ، ص(٢٤٥ – ٢٤٦) .

(١٠) شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص(٧١ – ٧٣).

(١١) المصدر ذاته ، ج١ ، ص(٨٩ – ٩٠).

(١٢) ديـــوان الشـــماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص٣٧٢ – ٣٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتناسق الأعضاء ورشاقتها) [١]، فأطالوا في صورة المشبّه به ، وامتدوا في الحديث عنه ، حتى ترى الأبيات ، تجتد أمامك مشهدا من مشاهد الطبيعة الجميلة ، فكانت الغزالة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمرأة ، حين يتحدث الشاعر عنها في مقدمات قصائده ، وتغزله بها .

ويصف الشاعر الغزال ، بأنّها حسنة المظهر ، جميلة الشكل والحركات ، خائفة ، ومنفردة عن القطيع [٢]، ذات صوت رخيم ضعيف [٣]، ترقب صغيرها الغض وتحميه [٤] ، ترعى ثمار شجر الأراك ، بريره (المرد والكباث) [٥] ، وشجر

---

[١] نوري حمودي القيسي – الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ط٢ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١٤٢ .

[٢] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١ (خلت بغزالها) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص٩ ، (خذول تراعي ربرباً) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ ، (وخلا عليها ما يفزع وردها) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨ (خذول من البيض الخدود دنالها) ، وص٢٠٣ (تعرض جأبة المدرى خذول) ، وديوان الأعشى ، ص٢٠٩ (كخذول ترعى النواصف) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص٩٣ ، (شنفت إلى رشاء تربه ولها بذات الحاذ معتزل) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص١٧٠ (فما أم خشف بالعلاية فارد) أبي ذويب الهذلي.

[٣] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١١١ (... فاترة البغام) ، وديوان قيس بن الخطيم ، ص٢١٢ (عيطاء تسمع منها بغامها) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٢٠٣ (يضوع فؤادها منه بغام) ، وديوان الأعشى ، ص٢٧٥ (مسروق البغام) .

[٤] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١ (خلت بغزالها) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص٨ (تراعي ربرباً) وديوان قيس بن الخطيم ، ص٢١٣ (ترشح طفلاً وتحنو له) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨ (ومما مغزل أدماء أصبح خشفها) ، و ص٢٠٣ (وصاحبها غضيض الطرف أحوى ... يضوع فؤادها) ، وديوان الأعشى ، ص٢٠٩ (وهي تتلو رخص العظام ضئيلا فاتر الطرف في قواه انسراق) ، و ص٢٧٥ (تعلّه روعي الفؤاد ... تخرجه إلى الكناس ... تخشى عليه) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص٩٣ (شنفت إلى رشأ تربه) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٦ (أنامت غضيض الطرف رخصاً ظلوفه) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٨٩ (لعمرك ما عيساء تنشأ شادناً) أبي ذويب الهذلي .

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ص١٣١ (أراك الجزع – تسف بريره) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص ٨-٩ (ينفض المرد – تذلل أطراف البرير) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ (ادمانة ترد البرير بغيلها) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨ (دنالها أراك بروضات الخزامى) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٠٩ (تنفض المرد والكباث بحملاج ... في أراك مرد) ، و ص ٢٧٥ (يرعى الأراك ذا الكباث وذا المرد) وبهامشه : الأراك : شجر يتخذ منه قضبان السواك . البرير : ثمر الأراك . أوله كباث ، ثم مرد ثم برير ، وديوان الأسود بن يعفر ، ص٤٩ ، (... والأراك المصيف) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٧١ (تنوش البرير) لأبي ذويب الهذلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحـلّب [١]، وشـجر السّـلم [٢]، أو السـلام [٣]، وشـجر الهدال [٤]، وشجر الضـال [٥]. والبقـل النؤام [٦]. فتنوشـه بلطف وتضع يديهـا علـى الجذع لتصـل الأغصـان [٧]، حتى إذا اجتمع اللبن في ضرعها أرضعته [٨].

ولعـل الأعشى كان أكثر الشعراء إطالة في هذا التشبيه ، فقد أورد تفاصيل مشهد الغزالة مع صغيرها ، فقال [٩]:

كخذول ترعى النواصف من تثـ ... ليـث قفراً خلالهـا الأسـلاق

---

[١] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨ (دنالها بروضات الخزامى وحلّب) . والحلّب : نبت وسقاء حلبي . القاموس المحيط (حلب) .

[٢] ينظر ، ديوان بشر بن أبي خازم ، ص١٤٣ (بأيديهنّ من سلم النعاف) . وبهامشه : السلم : نوع من الشجر له قضبان طوال . وليس له خشب ، القاموس المحيط (سلم) .

[٣] المصدر ذاته ، ص٢٠٣ (بصاحة في أسرتها السّلام) . وبهامشه : السلام : شجر من رواه بفتح السين فهو جمع سلامة ، وهو نبت ، ومن رواهُ بكسر السين فهو جمه سلمة وهو شجر .

[٤] ينظر : ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص٤٩ (وترتقي فروع الهدال) . الهدال : شجر ينبت في السمر وليست منه ، القاموس المحيط (هدل) .

[٥] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص١٤٣ (ينشن الغصن من ضال قضاف) . وبهامشه : الضال : شجر صغير دقيق العيدان .

[٦] ينظر ديوان قيس بن الخطيم ، ص٢١٣ (قد انبت بقلاً تواما) .

[٧] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١ (تسف بريره) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص٩ (تتاول أطراف البرير) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ (ترد البرير بغيلها) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٤٣ (ينشن الغصن) ، ص٨ (دنالها أراك) ، وديوان الأعشى ، ص٢٠٩ ، (تنفض المرد والكباب بحملاج لطيف) ، وص ٢٧٥ (يرعى الأراك ذا الكباث والمرد وزهراً) ، وديوان الأسود بن يعفر ، ص ٤٩ (وترتقي فروع الهدال والأراك المصيّف) ، شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٧١ (تتوش بريره) ، لأبي ذويب الهذلي .

[٨] ينظر : ديوان الأعشى ، ص٢١١ (ما تعادى عنه النهار ولا نعجوه إلا عفاقة أو فواق) ، و ص ٢٧٥ (تعله روعى الفؤاد ولا تحرمه عفاقة فجزل).

[٩] ديوان الأعشى ، ص(٢٠٩ – ٢١١) . وبهامشه معاني الكلمات : الخذول : المنفردة ، النواصف : جمع ناصفة وهي مجرى الماء والمكان الكثير النبات والخصب ، تثليث : بلد في اليمن ، الأسلاف : القاع ، المرد : ثمر الأراك الأخضر ، الحملاج : منفاخ الصانع ، رخص : ليّن ، انسراق : نقص وضعف ، عجته : أرضعته ، العفافة : اجتماع اللبن في الضرع ، أو بقيته ، الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، الغيل : الشجر الملتف ، جيداء : طويلة العنق ، خبة : تخبأ درتها ولبنها ، ومغلاق : من غلق الرجل إذا ضجر وقلق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنفض المرد والكباث بحمـــلا ... ج لطيـــف في جانبيـــه انفراق
في أراك مـــرد يكـــاد إذا مـــا ... ذرّت الشّمـــس ساعة يهـــراق
وهي تتلو رخص العظام ضئيلا ... فاتـــر الطرف في قواد انسراق
مـــا تعـــادي عنـــه النهـــار ولا تع ... ـــجود إلا عفافـــة أو فـــواق
مشفقـــاً قلبهـــا عليـــه فمـــا تع ... ـــدو قد شفّ جسمها الإشفاق
وإذا خافـــت السبـــاع من الغـــ ... ـــيـــل وأمست وحان منها انطلاق
روحتـــه جيـــداء ذاهبـــة المر ... تـــع لاحبّـــة ولا معـــــلاق
فاصبري النفس إن ما حمّ حقٌ ... ليس للصدع في الزجاجة اتّفاقَ

والأعشـــى فـــي هذا التشبيه الملحمي الطويل ، حاول أن يصور جمال قتيلة الفتّان وحـــبها الكـــبير ، وحـــنانها الشـــديد ، فشـــبهها بظبية منفردة عن القطيع ، خائفة كثيرة الـــنظرات ، فتهز الأغصان بقرنيها ، وهو هنا يريد تصوير جمال حركة رقبتها الطويلة ، حيـــن تهـــز الأراك ، ثـــم يصور كيف أنّها تعتني بصغيرها الضعيف ، عناية فائقة ، فتضـــل ترقـــبه الـــنهار بطوله ، فتسقيه اللبن ، وتشفق عليه ، تخاف عليه من السباع ، فـــتذهب بـــه بعيداً ، وهو ما يصوّر حنان قتيلة عليه ، وتعلقها به ، حتى غدت كأنّها الأم الـــتي تفـــتدي ولدها بحياتها ، وهو مثل ذلك الصغير (رخص العظام ، فاتر الطرف ، ضـــعيف الجســـم) ... لذا فقد حقق الأعشى بهذا التشبيه ما لم يحققه بالكلام الصريح عن قتيـــلة ، فقد صوّر جمالها وعطفها وحبها وحنانها بصورة تلك الظبية الفزعة التي تعتني بصـــغيرها ، حـــتى أنّك لتلحظ الإسقاطات الواضحة التي أراد إسقاطها على محبوبته في صورة تلك الغزالة .

لذلـــك كانت الغزالة مشبهاً به ناجحاً عند الشعراء ، لأنه يحقق صفات أنثوية هي مـــا يـــريدها الشاعر الجاهلي ، كالجمال ، والضعف ، والحب ، والحنان ، في مشهد من الطـــبيعة التي لا تصطنع الأفعال والأقوال ، بل تأتي عفوية متأصّلة في وجدانها ، فكانت الظـــبية مـــع صـــغير لهـــا – في الغالب – تحنو عليه وتحميه ، ويبدو أن ذلك الصغير (الرشـــأ أو الشادن ...) يمثل الشاعر وآماله ، وما يريد من محبوبته ، فهو يريد معاملة كتـــلك المعاملة ، وقد يكون منظر تلك الظبية وهي ترشح طفلها أجمل من كونها وحدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، لأنّهـا - وقـتذاك - تقـوم بحـركات ، هي ما يجذب انتباه المشاهد ، لذلك اختارها الشاعر مع صغيرها .

ثالثا : تشبيه المرأة بالبقرة الوحشية

يـرد تشبيه المرأة بالبقرة الوحشية تشبيها ملحميا في الشعر الجاهلي ، ويرى هذا التشـبيه عـند زهيـر بن أبي سلمى في قوله : (... كعيناء ترتاد الأسرّة عوهج) [١]، وعـند طـرفة بـن العـبد في قوله : (ولها كشحا مهاة مطفل ...) [٢]، وعند عبيد بن الأبـرص فـي قولـه : (وإذا هي حوراء المدامع طفلة ...) [٣]، وعند النمر بن تولب فـي قوله (وكأنّها عيناءام أم جؤيذر) [٤]، وعند تميم بن أبي بن مقبل في قوله : (ترنو بعيني مهاة الرمل أفردها) [٥].

وتظهـر البقرة الوحشية عندهم مع صغيرها الذي ترعاه وتحميه [٦] ، ويقول عبيد بن الأبرص [٧] :

وإذ هي حوراء المدامـع طفلـة	كمثل مهـاة حرّة أم فرقـد
تراعي به نبت الخمائل بالضحى	وتأوي به إلى أراك وغـرقد
وتجعله في سربها نصب عينيهـا	وتثني عليه الجيد في كل مرقد
فقد أورثت في القلب سقماً يعوده	عياداً كسـم الحيـّة المتـردد

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص(٣٢١ - ٣٢٢) .

[٢] ديوان طرفة بن العبد ، ص (٥٢ - ٥٤) .

[٣] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٥٣ .

[٤] ديوان النمر بن تولب ، صنعة نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩م ، ص ٦١.

[٥] ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص (١٧٢ - ١٧٤) .

[٦] ينظر ، ديوان طـرفة بن العبد ، ص٥٤ (جأبه المدرى لها نو جدّة ...) ، ديوان عبيد بن الأبرص ، ص٥٣ (كمـثل مهـاة حـرّة أم فـرقد) ، وديـوان النمر بن تولب ، ص ٦١ (وكأنها عيناء أمّ جؤيذر) ، وديوان تميم بن أُبي بن مقبل ، ص١٧٤ (يمشي إلى جنبها حالاً وتزجله) .

[٧] ديـوان عـبيد بـن الأبـرص ، ص ٥٣ . وبهامشه : الحوراء : الشديدة بياض العين وسوادها ، الطفلة : الرخصة الناعمة . المهاة : البقرة الوحشيّة ، الحرّة : الكريمة . الفرقد : ولد البقرة الوحشية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشـــاعر فـــي تلك الأبيات يصـرح برابطة حسيّة هي الحور ، وهو ما تتشابه به المـــرأة والـــبقرة ، فهـــو يجري وراء صفة الحور ليؤكدها . ولكن لماذا فصّل في أشياء تـــبدو بعيدة عن الحور كثيرا ؟ لماذا كانت البقرة ذات ولد ؟ وما فائدة الرعي في ذلك ؟ ولِم تأوي به إلى الأراك والغرقد ؟ ولِم تثنِ عليه الجيد ؟

وحيـــن ندقـــق النظر في هذا التشبيه ، نرى بأنّ الشاعر حاول تجسيد صورة هذه المحـــبوبة الحوراء العينين ، بمشهد طبيعي هو بقرة معها ولدها الصغير ، ترعاه وتحميه ، وتراقـــبه ، وتعطـــف عليه ، وإذا حاولنا أن نتدرج مع المشبّه وانسيابه في المشبّه به ؛ نـــلحظ أن الشـــاعر قـــرن عيني تلك المرأة بعيني البقرة في الحور ، فهما متشابهتان في هـــذه الصفة ، وما انعطاف الشاعر إلى أشياء تبدو بعيدة عن مراد التشبيه (الحور) إلا خدمـــة للتشـــبيه نفســـه ، فعيون البقرة الوحشية مرتبطة بالصغير ، لأن الأم لا تمل من رعايـــة ابـــنها ، وهـــو ما يتحقق بالمراقبة أولاً ، لذا ستكون نظراتها كثيرة في تتبعه ، وإطعامـــه ، والابتعاد به عن الخطر ، فيؤكد الشاعر عملية النظر في قوله (وتجعله في ســـربها نصب عينيها) ، من هنا كان الشاعر الجاهلي يتغزل بسعة العينين وحورهما ، وحيـــنما أراد تصـــوير هـــذه السمات لم يجد أجمل من عيون بقر الوحش سعة وحوراً ، وحيـــنما تكـــون الـــبقرة ذات ولد ، تكون عيناها أكثر سعة ، لأنّها متيقظة ، قلقة ترقب الصغير ، وتخاف الضواري ، فلا تحوّل نظرها عنه مدى الوقت .

فالشـــاعر إذن ، يفضـــل أن تكـــون بقرته (المشبّه به) في حالة معينة يختارها دعمـــاً لرؤيـــته بما يحقق الروابط المشتركة له ولمحبوبته ، حيث جاءت رابطة الأمومة فـــي هـــذه الأبيـــات جـــليّة وواضحة ، في مراعاة المهاة لفرقدها من إطعام ، وحماية ، ومراقبة حتى تحتضنه أخيراً ، فتثني عليه بحب وحنان [١].

ويـــبدو أن البقرة تمثّل محبوبة عبيد بكل تفاصيلها ، كما مثّل الفرقد عبيداً بكل ما يحـــتاج مـــن حـــب وحنان ، ويظهر - من خلال التشبيه - أن محبوبته تعطف عليه فهو كـــالطفل الصغير ، ترضعه وتطعمه ، وتحميه ، وتخرج به في أحسن الأوقات ، وتسكنه

---

[١] افـــدت مـــن تحـــليل ، نصرت عبد الرحمن في كتابه : الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي ، ص(١٨٢ – ١٨٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحت الظلال الوارفة ، لا تفارق صورته عينيها ، تنيمه في حضنها ، فتضمه إلى عنقها تلك هي حال عبيد مع صاحبته ، وقد يكون ذلك ما يتمناه ويأمل في تحقيقه ، فيكون عبيد مفتقدا الحنان والحب .

رابعاً : تشبيه نشر المرأة بريح الروضة

يتكلّم الشعراء الجاهليون عن كل شيء يخصّ المرأة ، وكانت رائحتها من جملة ما تكلموا عنه ، فوصفوها بالطيب ، والعطر الذكي ، فكانوا يشبّهون نشرها برائحة روضة ملأى بالنباتات والورود ، التي يسقيها المطر ، فقد ورد هذا التشبيه عند عنترة العبسي حين شبّه رائحة ثغر محبوبته بالمسك ، وبريح روضة كاملة النبت [١].

وكانت رائحة ثنايا أم عمرو عند بشر بن أبي خازم كرائحة الياسمين والمسك ، وكماء السحابة التي مطرت غدْواً ، فليست الروضة الغنّاء المليئة بالنّور والعرار بأطيب منها [٢].

وكانت عمرة عند قيس بن الخطيم أطيب رائحةً من روضة القطا بحوذانها ، وأعذب من ماء السحابة [٣]، وكان نشر القرنفل والزنجبيل يفوح من ثيابها [٤].

وورد عند الأسود بن يعفر النهشلي حين كانت سلمى أحسن من روضة وسميّة سقتها السماء ، وحمتها الرماح ، فامتلأت بالنوّر والنباتات [٥]، وليست الروضة التي ازهرت ورودها ، في ربوة لا تطؤها الأقدام ، جاد عليها المطر ، واشرقت عليها الشمس فانعكست في جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب ، بأطيب نشراً من هريرة محبوبة الأعشى [٦].

---

[١] ديوان عنترة العبسي ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص (١٩٥ – ١٩٨) .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ .

[٣] ديوان قيس بن الخطيم ، ص(٦٧ – ٦٨) .

[٤] المصدر ذاته ، ص١٣٥ .

[٥] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص٥٤ .

[٦] ديوان الأعشى ، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولننظر في تشبيه عنترة [١] :

وكأنّ فأرة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضة أنفا تضمّن نبتها ... غيث قليل الدّمن ليس بمعلم
أو عاتقا من أذرعات معتقا ... مما تعتقه ملوك الأعجم [٢]
جادت عليها كل عين ثرّة ... فتركن كل حديقة كالدرهم
سحّاً وتسكاباً فكل عشية ... يجري عليها الماء لم يتصرّم
فترى الذباب بها يغنيّ وحده ... هزجاً كفعل الشّارب المترنّم
غرداً يسنُّ ذراعه بذراعه ... فعل المكبّ على الزناد الأجذم

يتكلّم عنترة عن الرّائحة الشذّية لفم محبوبته ، فيقول إذا أردت تقبيلها انتشرت من فمها رائحة كالمسك ، سبقت عوارضها الى أنفك ، ولكنّه يقطع هذا التشبيه موجهاً عنايته الى تشبيه آخر ، وهو أن رائحتها كرائحة روضة كاملة النبت ، لا يصلها إنسان فيعبث بها ، سقاها المطر الغزير ، فتجّمع بها كأنّه الدراهم المستديرة ، ينصبُّ الماء بشدّة في تلك الروضة بوقت العشى فلا ينقطع ، فترى الذباب منتشراً فيها ، يغني فرحاً وطرباً ، كأنّه شارب خمر مترنمّ بالغناء ، يحكُّ إحدى ذراعية بالأخرى ، وكأنّه رجل قطعت يداه ، يوري زناداً بين ذراعيه ، وهذا (من التشبيهات العقم) [٣]، كما يقول الخليفة الرشيد للأصمعي ، ويقول عنه الجاحظ : (ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تام ، وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع إلاّ وكلُّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يعدُ على لفظه ، فيسرق بعضه ، أو يدّعيه بأسره ..) [٤]، أي أنه من غير الممكن لشاعر أن يقول في

---

[١] ديوان عنترة العبسي ، ص(١٩٥ – ١٩٨) .

[٢] هذا البيت زاده المحقق ، محمد سعيد مولوي من أحد المخطوطات ، ولم يرد في طبعة دار صادر ، ص ١٨ – ١٩ . وبهامشه : فأرة : الفأرة للمسك لفورها إذا فتقت ، القسيمة : الجونة التي فيها الطيب ، الأنف : التي لم ترع ، الدمن : البعر ، المعلم : المكان المشهور ، الثرّة : الغزيرة ، السح : الصب الشديد والتسكاب مثله ، الهزج : المتتابع الصوت ، الأجذم : المنقطع الكف ، الزناد : العود .

[٣] ينظر : نضرة الإغريض في نصرة القريض ، ص ١٦٤ .

[٤] الحيوان ، ج٣ ، ص ٣١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـــذا المعنى غير ما قال عنترة ، فيلجأ الشعراء الى تغيير صياغة الألفاظ ، وقد يلجأون الى الإدّعـــاء بأنّـــه من تأليفهم ، وهو من التشبيهات العقم بالفعل ، فلقد ربط الشاعر بين الذبـــاب والإنســـان بطـــريقة لـــم يسبق إليها ، ولا يستطيع الشعراء التلاعب بها ، فلقد اقتنصـــها الشـــاعر مما يحيط به ، ويراه النّاس كثيرا ، وكان إبداعه في ربطه أشياء لم يربط بينها أحد من قبل .

يقـــوم طـــرفا هـــذا التشبيه أساساً على الرائحة الذكيّة للمرأة والروضة ، فالرائحة الذكيّـــة هـــي مدار التشبيه ، الذي يعتمد الشاعر في تحقيقه على حاسة الشم ، التي يجسدّ مـــن خلالهـــا مشـــاعره وتصوراته لنشر محبوبته ، فيأخذ الشاعر في بيان تلك الروضة الغـــنّاء ، فيطيل في ذلك مفصلاً مشهداً جميلاً من مشاهد الطبيعة الكثيرة، فرائحة "عبلة " ليســـت كـــرائحة أية روضة ، بل هي تشبه الروضة التي رسمها الشاعر ، فهي روضة بعيـــدة عـــن الـــنّاس ، يجـــود عليها المطر الغزير في العشاء بلا انقطاع ، فينطلق في الحديـــث عنها حتى أنّ الذباب كان فرحاً بها ، يغنيّ كرجل ثمل ، يصفق ويحكُّ ذراعيه ببعضـــهما كأنّه رجل مقطوع الكفين ، ويبدو أنّ الشاعر قد كدّ كثيراً في صياغة صورة هـــذه الروضـــة بذبابهـــا الطرب ، وهو ما يؤكد تحديق عنترة الطويل في ذلك المشهد ، ربطه بمشهد آخر ، يصوّر الحركات نفسها عند الذباب والرجل الأجذم .

ولقـــد بات من الواضح ، أنّ التفات الشاعر نحو المشبّه به ، وإيلاءه هذا الاهتمام ، قـــد حقـــق للشـــاعر تفوقـــاً فنياً على غيره من الشعراء ، فأتى بتشبيه عقيم لم يتمكّن الشعراء من الإتيان بمثله في ذلك المعنى على الإطلاق .

ولننظر ايضاً في تشبيه الأعشى الذي يقول فيه [١]:

ما روضة من رياض الحزن معشبـــةٌ	خضراء جاد عليها مسبل هطـــــلُ
يضاحك الشمس منهـــا كوكـــب شَرِقٌ	مـــؤزّر بعميـــم النبـــت مكتهـــلُ
يوماً باطيـــب منهـــا نشر رائحـــــة	ولا بأحســـن منهـــا إذ دنا الأصـــلُ

[١] ديوان الأعشى ، ص٥٧ ، الحَزن : المرتفع من الأرض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد بدأ تشبيهه بالحديث عن المشبّه به ، فهو روضة قد اخضلّ الزهر فيها ، في ربوة لا تطؤها الأقدام ، ولا تعبث بها الأيدي ، جاد عليها المطر ، وأشرقت عليها الشمس ، فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبت ، وقت الغروب حين يسود الهدوء الأفق ، فتتضوّع بريح الورود الشذية ، فينفي أن تكون هذه الروضة بأطيب نشرا من نشر هريرة ، ولا أحسن منها .

والأعشى من خلال هذا التشبيه يحاول رسم صورة (المثال) الذي لا يفوقه في الرائحة شيء ، ولكن هريرة كسرت ذلك المثال الذي يعد مقياساً لطيب الرائحة ، فتكون أطيب رائحة من تلك الروضة .

خامساً : تشبيه ريق المرأة بالماء وبالخمر وبالعسل

يتحدث الشعراء عن طيب ريق محبوباتهم ، ويصفونه وصفاً طويلاً الى حدّ ما ، في بعض أشعارهم ، وكانوا دائما يشبهونه بأشياء تواردت عند الشعراء الجاهليين في كثير ممّا يقولون ، فشبهوا ريقها بالسحابة ، وسلافة الخمر ، والعسل ... وغيره .

فقد شبه الحادرة ريق محبوبته بماء السحابة [١]، وشبه أيضاً ريق سميّة بماء سحابة جلبتها ريح الصبا ، هذا الماء كان كدراً أول نزوله ، فلمّا استقر في مستنقعه طاب ، جاء هذا الماء من سحابة أمطرت في غير وقت إمطارها ، فظلمت البطاح ، لكنه سرعان ما صفا ، حين توقف المطر ، فجاءت السيول من كل ناحية ، تحيط بأصول الشجر ، فكأنّها تلعب ، فيقول [٢]:

وإذا تنازعك الحديث رأيتها	حسناً تبسمها لذيذ المكرع
كغريض سارية أدرتها الصبا	من ماء أسجر طيّبَ المستنقع
ظلم البطاح به انهلال حريصة	فصفا النطاف بها بعيد المقلع
لعب السيول به فأصبح ماؤه	غللاً تقطّعَ في أصول الخروع

---

[١] ديوان شعر الحادرة ، ط ٢ ، حققه وعلّق عليه ، ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، ص٢٨٨ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٣٠٦ - ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلك تلاحظ إصرار الشاعر على التفصيل في صورة المشبّه به ، وإلحاحه في إتمام صورة ذلك على أكمل وجه ، فريقها عذب كعذوبة هذا الماء ، ثم يستمر في بيان صفة تلك الماء ، فجاء بأصله من أين أتى ، حتى تجمع طيبا عذبا في مستنقعه ، فلم يكتف الشاعر بذكر الماء ذكرا عابرا ، بل أراد أن يميّز ذلك الماء بأنه لم ينزل في وقته وذلك أندر له . وأنه نزل في البطاح فلم يصله الانسان ليكدّر صفوه ، وأنه جديد وذلك أعذب له ، ويبدو أنّ الشاعر كان يؤيد قوله ومشاعره بإتيانه هذا المشبّه به ، فلم يكن يريد المشبّه به إلاّ في إطار المبالغة التي أراد إضفاءها على المشبّه .

أما تشبيه ريق المحبوبة بالخمر ، فقد ورد عن كثير من الشعراء الجاهليين ، فقد ورد عند امرىء القيس [١] ، وعند النابغة الذبياني[٢] ، وعند زهير بن أبي سلمى [٣] ، وعند عبيد بن الأبرص [٤]، وعند بشر بن أبي خازم [٥]، وعند المسيب بن علس [٦]، وعند الأعشى [٧]، وعند المرقّش الأصغر [٨] ، وعند الأسود بن يعفر النهشلي [٩] ، وعند عدي بن زيد العبادي [١٠]، وعند لبيد بن ربيعة [١١] ، وعند أبي ذؤيب الهذلي [١٢] .

---

[١] ديوان أمرئ القيس ، ص١١١ ، و ص ١٥٧ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص (١٣١ – ١٣٢) .

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص(٣٥ – ٣٦).

[٤] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ – ١٤٤) .

[٦] شعر المسيّب بن علس ، ص (١٠٣ – ١٠٥).

[٧] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٨] المفضليات ، ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٨ .

[٩] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٦٠ .

[١٠] ديوان عدي بن زيد العبادي ، ص(٧٧ – ٧٨).

[١١] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص(٢٤٤ – ٢٤٥).

[١٢] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص(٤٤ – ٥٤)،(ص ٧٣ – ٧٥ ، ص(٩٣ – ٩٧) ، ص(١١٥ – ١١٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأتي تشبيه ريق المرأة بالخمر وحدها[١]، أو الخمر المشعشعة بالماء الخصر[٢]. او الخمر الممزوجة بالعسل [٣]، فتكون الخمر هي العنصر الرئيسي في التشبيه الملحمي ، وهي " المشبّه به " لريق المرأة " المشبّه " . فيفصّل الشعراء في صفة هذه الخمر ، فقد جيء بها من أماكن مختلفة ، كالحصّ [٤]، وبصرى [٥]، وبيت رأس [٦] ، وأذرعات [٧] ، وجيلان [٨] ، وباب أفأن [٩]، وبابل [١٠] ، والشام [١١] ،

---

[١] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص : ص ١٢٨ ، المفضليات ، ص ٢٤٢ ، المرقش الأصغر ، وديوان الأسود بن يعفر ، ص ٦٠ (كأن ريقها بعد الكرى اغتبقت ... صرفاً تخيّرها) ، وديوان عدي بن زيد العبادي ، ص(٧٧ – ٧٨) ، شرح أشعار الهذليين : ص ٧٣-٧٥ ، لأبي ذؤب الهذلي .

[٢] ينظر : ديوان امرىء القيس ، ص١١١ (وشّجب بماء غير طرق ولا كدر) وديوان زهير بن أبي سلمى، ص(٣٥-٣٦) (شجّ السقاة .. من ماء لينة لا طرقاً ولا رنقا) وديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١-١٣٢ (على أنيابها بغريض مزن) وديوان بشر بن أبي خازم ، ص(١٤٣-١٤٤) (على أنيابها بغريض مزن) المفضليات ، ص٢٤٨(شنّ عليها بماء بارد) المرقش الأصغر ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص(٢٤٣-٢٤٥) (لذيذاً ومنقوياً بصافي مخيلة) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص١١٧ (بمزج من العذب عذب السراة) ، و ص(١٤٢-١٤٥) (فشرّجها من نطفة رجبية بماء شنان زعزعت متنه الصبا) ، لأبي ذويب الهذلي .

[٣] ينظر : شعر المسيب بن علس ، ص(١٠٣ – ١٠٥) (شركاً بماء الذوب) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص(٤٤ – ٥٤) (فما ان هما في صفحة بارقيّة) ، وص(٩٣ – ٩٧) (فما إن هما في صفحة بارقية) ، و ص(١١٥ – ١١٧) (فشج به ثبرات الرصاف حتى تزيّل رنق الكدر) ، لأبي ذويب الهذلي .

[٤] ديوان امرىء القيس ، ص ١١١ .

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١-١٣٢ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٩٤ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٦] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص(١٣١-١٣٢) .

[٧] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص١٤٣ ، وشرح أشعار الهذليين ج١ ، ص٧٤- ص٩٣ ، وص ١١٥ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٨] ينظر : المفضليات ، ص٢٤٢ ، المرقش الأصغر .

[٩] ينظر : ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص٦٠ .

[١٠] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٤.

[١١] ينظر : شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٤٤ ، لأبي ذويب الهذلي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغـــزة [١] ، وهي خمر معتقة[٢] ، باتت في دنّها طويلاً [٣]، يأتي بها التجار [٤]، أو لقمان [٥]، أو اليهـــود [٦] ، أو العجـــم [٧] ، أو أبـــناء آل معتب [٨]، أو ذو شارب أصهب [٩] ، وغالـــبا ما يأتي الشاعر بهذا التشبيه لريق المرأة ورائحة فمها بعد النوم ، أو في الصباح [١٠]، لان رائحة الأفواه ، وطعمها، تتغيران بعد النوم .

ولننظر في قول المرقّش الأصغر حين شبه ريق محبوبته بالخمر وحدها [١١] :

---

[١] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٩٤ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٢] يـــنظر : ديـــوان زهير بن ابي سلمى ، ص٣٥ (... لما يعد أن عتقا) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ (ممـــا يغـــالي بها البياع عتقها) وديوان عدي بن زيد العبادي ، ص٧٧ (فأذكى من نشرها التعتيق) ، وديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٤(من الناصع المختوم) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١، ص٥٤ (وهذه ... معتقة صهباء) ، وص٧٣ (سلافة راح عتقتها تجارها) ، أبي ذؤيب الهذلي .

[٣] يـــنظر : المفضـــليات ، ص٢٤٢(ثـــوب في سباء الدن عشرين حجة) المرقّش الاصغر ، وديوان الأسود بـــن يعفـــر ، ص٦٠ (وقـــد ثوى نصف حول أشهراً جدداً) ، وديوان عدي بن زيد العبادي ، ص٧٧ (صانها التاجر اليهودي حولين) .

[٤] يـــنظر : ديـــوان امـــرى القيس ، ص١١١، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص١١٥، أبي ذؤيب الهذلي ، وديوان الأسود بن يعفر، ص٦٠.

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣١.

[٦] ينظر : المفضليات ، المرقّش الاصغر ، ص٢٤٢، وديوان عدي بن زيد العبادي ص ٧٧.

[٧] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٥.

[٨] ينظر : شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٤٧ ، (لأبي ذؤيب الهذلي) .

[٩] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ .

[١٠] يـــنظر : ديوان امرىء القيس ، ص ١٥٨ (... اذا طرب الطائر المستحر) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٣٢(... إذا نبهـــتها بعـــد المنام) وديوان عبيد بن الأبرص ، ص١٢٨(كأن ريقها بعد الكرى اعتبقت...) المفضـــليات ، ص٢٤٢ (بـــأطيب مـــن فيها اذا جئت طارقاً من الليل) ، المرقّش الأصغر ، وديوان الأسود ابـــن يعفـــر ، ص ٦٠ (كـــأن ريقـــتها بعـــد الكرى اعتبقت ...) ، وديوان عدي بن زيد العبادي ، ص٧٧ (باكـــرتهن قـــرقف كدم الجوف ...) ، وأبي ذؤيب الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٥٤ (بأطيب مـــن فيهـــا إذا جـــئت طارقـــا من الليل ...) ، وص١٤٥ (وأشهى اذا نامت كلاب الأسافل) ، وص ٩٧ (ولم يتبين ساطع الأفق المجلى ...) ، وص١١٧ (إذا ما النجوم أعنقن مثل هوادي الصدر) .

[١١] المفضـــليات ، ص ٢٤٢ . وفـــي هامشـــه : القهوة : الخمر ، الصهباء : الشقراء أو الحمراء ، الناجود : المصـــفاة ، تقدح : تغرق بالقدح ، ثوت أقامت . يطان : يجعل عليها الطين ، القرمد : طين يطلى على رأس الدن ، جيلان : بلد من بلاد العجم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما قهوة صيباء كالمسك ريحها تعلّى على الناجود طورا وتقدخ
ثوت في سباء الدن عشرين حجة يطاف عليها قرمد وتروّخ
سباها رجال من يهود تباعدوا لجيلان يدنيها من السوق مربح
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا من الليل بل فوها ألذّ وأنصح

والمرقش يحاول رسم صورة ذوقية، تتحقق باللسان ، من خلال تشبيه دائري ملحمي، فجعل اللاذة مدار طرفي التشبيه، اللذين يتجاذبانه ، فبدأ بالكشف عن المشبّه به ، فهو المقياس الذي تقاس عليه الأشياء ، فهي خمر شقراء ، أو حمراء ، رائحتها كرائحة المسك ، ترفع على المصفاة ، فيغرف منها بالقدح ، معتقة ، مكثت سبية عشرين عاما في الدن المطلي بالطين ، الذي يعمل على تبريدها ، لشتراها تجار يهود ، بعدما رحلوا وراءها بعيداً نحو بلدة " جيلان " ليربحوا بها ، هذه الخمر ليست بأطيب وألذ من فم صاحبته ، بل فوها ألذ وأطيب .

ولننظر أيضا في قول النابغة الذبياني حين شبه ريق محبوبته بالخمر الممزوجة بالماء فقال [1] :

كأن مشعشاً من خمر بصرى نمته البخت مشدود الختام
نمين قلاله من بيت رأس إلى لقمان في سوق مقام
إذا فضّت خواتمة علاه يبيس القمّحان من المدام
على أنيابها بغريض مزن تقبله الجباة من الغمام
فأضحت في مداهن باردات بمنطلق الجنوب على الجهام
تلذ لطعمه وتخال فيه إذا نبهتها بعد المنام

فلم تكن الخمر صرفة في تشبيه النابغة ، بل خلطت بالماء ، وكان عنصراً ثانياً بعد الخمر ، ففصل في أصل الماء ومصدره ، وكأنّه أراد أن يبين الطعم والتاثير ، فريقها عذب كعذوبة ماء السحاب ، وفعلها كفعل تلك الخمر التي جلبت من بصرى .

---

[1] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٣١ – ١٣٢ . وفي هامشه : شعشع الشراب: مزجه ، القاموس (الشعشع) ، البُخت : الإبل الخراسانيّة ، القاموس المحيط (البخت) ، القلال : جمع قلّة : الجرة العظيمة ، القاموس (القل) ، الغريض : ماء المطر (غرض) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشبيه الريق وقصّة اشتيار العسل عند الشعراء :

أمّـا تشـبيه الريق بالخمر الممزوجة بالعسل ، فأكثر ما يتكرر عند شعراء هذيل الذيـن تميـزوا بهـذا التصوير الواسع للنحل ومشتاره بين شعراء البيئة الجبلية [١] ، فقد انتشـر الحديـث عن النحل ، وجني العسل انتشار واسعا بيّنا في شعرهم ، ولكنّ الباحث قصـر الأمثلة على شاعر واحد منهم ، هو أبو ذؤيب الهذلي ، وقد حاول الباحث وضع تصـوّر عـن صورة النحل في تشبيهاته المتعددة ، اضافة لما ورد – وهو قليل – عند الشعراء الجاهليين قاصرا الحديث على ماورد في سبيل التشبيه الملحمي فقط .

ويـبدو مـن اسـتقراء متعمق لتلك النصوص أن النحل –عندهم – يسكن الجبال الوعـرة العالية (... في طود أيمن من قرى قسر) [٢]، تحيط بها الصحراء من جوانبها الأربعـة ،(فـي يـافع جـون يلفّع بالصحرى ...) [٣]، تطاول السماء بعلوّها (... الى شـاهق دون السـماء ذؤابيـا) [٤]، باردة تعصف بها الأمطار (... وآل قراس صوب أرميـة كحل) [٥] ، تأوى اليها النحل ، فلا يستطيع أن يرتقيها أحد (... الى طنف أعيا بـراق ونـازل) [٦]، فتختار منزلها المعلق وسط الجبل بين شقوقه الضيقة (... حدبت عـليه بضـيّق وعرِ) [٧]، (... جوارسها تأرى الشعوف دوائباً ، وتنصب ألهاباً مصيفاً كرابها) [٨]، تحتاج الى بذل جهد كبير في صعوده حين ترعى الأزهار :

إذا نهضت فيه تصعد نفرها كقتر العلاء مستدراً صيابها [٩]

وتظهـر صـعوبة ذلك المكان ، من أن النحل لم تسكن أعلاه أو أسفله ، بل بيتها

---

[١] حسين عطوان – بيئات الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٤٣ .

[٢] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٣.

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٤] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٨ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٥] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص٩٦ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٦] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٧] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٥ .

[٨] شرح اشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٩ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٩] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٥٠ ، لأبي ذويب الهذلي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي وســـطه . ليـــس أمامه إلا صخرة ملساء جرداء لا يثبت عليها شيء ، وتزلّ عنها أظافر الغراب القوية :

تدلى عليها بين سب وخيطة بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها [١]

وتخاف العقبان من المرور بتلك الصخرة والوقوف عليها ، فتتزلق الى أسفل الجبل :

تهال العقاب أن تمر بريده وترمي دروء دونه بالأجادل [٢]

أمّـــا صـــفات النحل فتظهر (سود الرؤوس ...) [٣]، و (خالفها في بيت ثوب عوامـل) [٤]، أســود كالــبعوض (نحـــلا كدرداق الحفيظة) [٥] ، دائبة العمل ، كثيرة الجمـــع ، فهـــي كمـــا وصفت (..جوارس ...) [٦]، وقد عنوا الذكور منها ظناً منهم بأن الذكـــور هـــي مـــن تعمل العسل ، فذكروا اليعسوب دائماً في عمل العسل (بأري التي تـــاري اليعاسيب ...) [٧] ، و (تتمّى بها اليعسوب) [٨] ، وذكروا العاملات أيضاً (... وخالفهـــا في بيت ثوب عوامل)[٩]، وذكروا صغارها (... مراضيع صهب الرّيش زغبٌ رقابها) [١٠]، وصوروا بأن لصوتها دويّ قوى يطرب السامع ، ويتردد في صدورها :

سود الرؤوس لصوتها زجل محفوفة بمســـارب خضرِ

ويظل يجري في جواشنهـــا حتى تروّح مقصر العصرِ [١١]

---

[١] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٥٣ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٢] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٣] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٤ .

[٤] شـــرح أشـــعار الهذليـــين ، ج١ ، ص ١٤٤ ، لأبي ذويب الهذلي (وقال أبو عبيدة ، إنما سميّت (ثوباً) لسوادها) ، المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[٥] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٤٩ ، ص ٥١ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٧] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٨ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٨] المصدر ذاته ، ج ١ ، ص١٤٣ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٩] المصدر ذاته ، ج١ ، ص١٤٤ ، لأبي ذويب الهذلي .

[١٠] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٥١ ، لأبي ذويب الهذلي .

[١١] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يزداد قوة عند غمرها بالدخان :

نحلا كدرداق الحفيظة مر ـهوبا له حول الوقود زجل [١]

أمّـا مشـتار العسل فقد أورد أبو ذؤيب اسما لأحدهم وهو الخالدي [٢] حرام [٣]، حيـث يظهـر المشتار في تلك القصص ، شديد التصميم على جلب هذا العسل [٤]، حتى لو كلفه ذلك حياته :

أجـد بهـا أمراً وأيقـن أنه لها أو لأخرى كالطحين ترابها [٥]

فأعلق أسباب المنية وارتضى تقوفته إن لم يخنه انقضابها [٦]

وهـو ماهـر في عمله هذا إن لم ينقطع الحبل به ، فيتدلي الى مكان النحل بحبل طويل [٧]، يقول ابو ذؤيب [٨] :

فلو كان حبل من ثمانين قامة وتسعين باعاً نالها بالأنامل

تدلى عليها بالحبـال موثقـاً شديد الوصاة نابل وابن نابل

فيثـبت الحبل بوتد في قمة الحبل ويجعل منه درّاعة يتمسك بها (تدلى عليها بين سـبّ وخيطـة)[٩]، فيـنزل عـلى الصخرة الجرداء الملساء ، فيغطي جسده بالطين (متسـربل أدماً على الصدر) [١٠] ، خوفاً من لسع النحل [١١]، فيوقد ناراً ويدخن عليها

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٢] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٥١ .

[٣] المصدر ذاته ، ج١ ، ص٥٢ .

[٤] المصـدر السـابق ، ج١ ، ص ٥٢ (فقيل تجنبها حرام وراقه ذراها مبيناً عُرضها وانتصابها) ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٥] المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥١ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٦] المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٢ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٧] يـنظر : ديـوان الأعشـى ، ص ٢٧٧ (ظلّ يذود عن مريرته نحلاً) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٥٣ (تدلى عليها بين سبٍّ وخيطة) ، وص ١٤٣ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٨] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

[٩] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٥٣ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[١٠] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٤ .

[١١] يـنظر : شـعر الميـب بـن علس ، ص ١٠٤ ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ (... أهوى له من الفؤاد وجـل) ، وشـرح أشـعار الهذليـين ، ج ١ ، ص ٤٤ ، (فحـطّ عليها والضلوع كأنها من الخوف أمثال السهام النواصل) ، لأبي ذؤيب الهذلي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليطـردها فتـبدو ذليـلة منكسرة وحزينة [١]، فيمشي ببطء شديد وحذر أشد ، يحمل معه أدواتـه مـن محجن وقربة وعسيب وضوائن ، فيأخذ العسل ويصبه في طرف العسيب الـذي يتمسـك بـه (المنقبل) مـساعدُ ، فيعود بذلك الصيد الثمين ، يقول المسيّب بن علس [٢]:

وغدت لمسرحهـا وخالفهـا	متسربل أدما على الصدر
يمشـي بمحجنـه وقربتـه	متلطفا كتطلـف الوبـر
فيراق في طرف العسيب الى	متقبل لنواطـف صفـر
حتى تحـدّر مـن عوازبـه	أصلا بسبع ضوائن وفر
فأصاب ما حذرت ولو علمت	حدبت عليه بضيّق وعرِ
وجنـاه مـن أفـقٍ فأورده	سهل العراق وكان بالحضر

فيظفـر بعسـل صـاف أصفر اللون كما ظهر عند المسيّب [٣] ، أو بعسلٍ أبيض الـلون (هو الضحك إلاّ أنّه عمل النحل) [٤] ، أ صله من اليمن من شجر الرمّان البري (يمانيـة أحيالهـا مـظ مأبد) [٥]، ويظفر كذلك بشمع العسل: (... وراقهُ ذراها مبيناً عرضها وانتصابها) [٦].

ولعـل مـن أروع مـا قيل في ذلك ، ما ورد على لسان أبي ذؤيب الهذلي ، في إحدى قصائده ، في تشبيه ريق محبوبتة بالخمر الممزوجة بالعسل ، حين قال [٧] :

---

[١] يـنظر : ديـوان الأعشـى ، ص ٢٧٧ (... لـه حول الوقود زجل) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٥٣ (فلمّا اجتلاها بالأيام ، تحيزت ثبات عليها ذلّها واكتئابها) ، لأبي ذويب الهذلي .

[٢] شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

[٤] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٩٦ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٥] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٩٦ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٦] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٥٢ ، لأبي ذويب الهذلي .

[٧] شـرح أشـعار الهذليين ، ج١ ، ص (٤٤ – ٥٤) . في الشرح : عقابها : راية يضعها الخمار ليستدل الـناس عـليه ، عقـار ، عقار : عاقرت دنها طويلاً ، الأري : العسل ، ليط : قرص ، الإيام : الدخان ، قتر الغلاء : السهام الصغيرة ، الشعوف : الشقوق الباردة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقسم ما إن بالة لطيمة ... يفوح ببـاب الفـارسيين بابها
ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة ... لها غاية تهدي الكرام عقابها
عقار كماء النيء ليست بخمطة ... ولاخلة يكوي الشروب شهابها
توصّل بالركبان حينا وتؤلف الـ ... جوار و يغشيها الأمان ربابها
فما برحت في الناس حتى تبيّنت ... تقيفا بزيزاء الأشاء قبابها
فطاف بها أبناء آل معتب ... وعزّ عليهم بيعها واغتصابها
فلما رأوا أن أحكمتهم و لم يكن ... يحل لهم إكراهها وغلابها
أتوها بربح حاولته فأصبحت ... تكفّت وقد حلت وساغ شرابها
بأرى التي تأرى لدى كل مغرب ... اذا اصفرّ ليط الشمس حان انقلابها
بأري التي تأرى اليعاسيب أصبحت ... الى شاهق دون السماء ذؤابها
جوارسها تأرى الشعوف دوائبا ... وتنصبّ ألهاباً مصيفاً كرابها
إذا نهضت فيه تصعد نفرها ... كقتر الغلاء مستدراً صيابها
يظل على الثمراء منها جوارس ... مراضيع صهب الريش زغب رقابها
فلما رآها الخالدي كأنّها ... حصى الخذف تهوى مستقلاً إيابها
اجدّ بها أمراً وأيقن أنه ... لها أو لأخرى كالطحين ترابها
فقيل تجنبها حرام وراقه ... ذراها مبيناً عرضها وانتصابها
فأعلق أسباب المنيه وارتضى ... ثقوفتة إن لم يخنه انقضابها
تدلى عليها بين سب وخيطة ... بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها
فلما اجتلاها بالإيام تحيّزت ... ثبات عليها ذلها و اكتئابها
فأطيب براح الشام صرفاً وهذه ... معتقة صهباء وهي شبابها
فما إن هما في صفحة بارقية ... جديد حديث نحتها واقتضابها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً ... من الليل والتفّت عليّ ثيابها

ولقد أطال الشاعر في صورة المشبّه به الأول وهو الخمر ، وفصل فيه القول منذ أن اشتراها التجار ، حتى ابتاعها منهم أبناء آل معتب ، ويبدو أن أبناء آل معتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمثلون موقف الشاعر نفسه . فرغبته بمحبوبته شديدة جدا ، كما أن رغبة أبناء آل معتب جعلتهم يدفعون بها ثمنا باهظا ، بعدما منعتهم الأشهر الحرم من أخذها عنوة ، وأبو ذؤيب بمنعه القوم عنها وبعنها ، فهي محرمة عليه ، دون مغامرة قد تودي بحياته ، وفوز أبناء آل معتب بالخمر يعني فوز الشاعر بمحبوبته ، إذ من غير المقبول أن يشبه الشاعر ريق محبوبته بالخمر فيمتلكها غيره ، إلا إذا كان غيره يمثله هو .

ولننظر أيضا إلى ذلك النحل الذي وصفه وصفا دقيقا ، بحركاته ، وأشكاله ، وصفاته وصغاره ، والمجهود الذي يبذله في صنع ذلك العسل ، فابتعد به عن أعين البشر ، وارتفع به عن مواطئ الاقدام ، حتى غدا الوصول إليه ضرباً من المستحيل ، ومن سيتحدى كل تلك الصعاب : الطرائق الوعرة الصعبة ، وصعود الجبال الشاهقة الزلقة ، والتدلي بحبل قد ينقطع في أية لحظة ، تحمل لسع النحل الغاضب ، فيفوز بعد ذلك كله بالعسل ، سيمثل الشاعر بالتأكيد ، وقد كان الخالدي صاحب هذا الدور .

وتمتد أحداث قصة الخمر من الشام ، حين اشتراها التجار ، من أماكن معروفة ومشهورة ، وما كان من تأثيرها الكبير – خوفاً عليها – في اتحاد الجماعات المسافرة ، والستأليف بين قلوبهم حتى أصبحوا يواجهون مصيراً واحداً ، إلى أن أوصلوها إلى أرض ثقيف ، وقصة شراء أبناء آل معتب لها ، وما رافقها من توتر وتردد ، وربح وخسارة ، والاستسلام أخيراً للرغبة الحادة .

ويظهر الصراع في نفوس التجار أولاً ، خوفاً من اللصوص ، وقطاع الطرق ، وحرصاً على سلامة تجارتهم تلك ، وإيصالها إلى الأسواق ، فقد لجأوا – بعدما كانوا وحدهم – إلى السير مع القوافل وأُجبروا على مد جسور الثقة والصلة مع الآخرين ، فأبرموا المواثيق فيما بينهم ، ويظهر صراع الرغبة في امتلاك الخمر ، وثمنها الباهظ ، وعدم القدرة على استخدام القوّة ، في نفوس أبناء آل معتب ، فطلبهم الخمر كان يمثل صراعاً خارجياً بينهم وبين التجار ، وغلاؤها ، والأشهر الحرم ، تمثل الصراع الداخلي في نفوسهم ، فباتوا بين تردد وحيرة وتوتر ، هل يدفعون ذلك الثمن ؟ هل يغتصبونها محطمين بذلك ما تعارفت عليه العرب ؟ وهل يخسرونها ؟ وتسيطر الرغبة الشديدة في امتلاك الخمر أخيراً ، فيدفعون ثمنها ويفوزون رغم كل شيء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّـا فـي قصة اشتيار العسل ، فيصوّر الشاعر الأحداث ، بتسلسل منطقي ، فيبدأ بـالحديث عـن رحـلة النحل في جمع العسل ، من الأماكن البعيدة ، والجبال الشاهقة ، دائـبة الحركة في رواحها نحو الشقوق ، وغدّوها منها ، فتصعد الجبال وتنزلها ، تنهض فـي الصباح الباكر ، فتنتظرها صغارها على الصخور المطلة على الجحر ، وهي آمنة مطمئـنة فـي عمـلها ، ثـم ينتقل تصوير الأحداث من عين الشاعر إلى عين المشتار (الخـالدي) ، فيراها مسرعة في ذهابها ومجيئها ، فيعزم على تتبعها ، واجتلاء عسلها ، فـتدلى عليها بحبل - ينتقل السرد إلى الشاعر - ربطه بوتد بأعلى الجبل ، وأتخذ منه درّاعـة إلى أن وصل أمام جحرها ، على صخرة ملساء وجرداء ، فدخن عليها ، فاجتلى العسل ، وبانت النحل ذليلة منكسرة .

ويتـبدى الصـراع - في قصة اشتيار العسل هذه - في مغامرة الخالدي بنفسه في سـبيل جني تلك العسل ، فيبرز الشاعر صعوبة المكان ، الذي يتخذه النحل مسكناً لها ، حـتى أنـه قـد يلاقـي المنية في أي لحظة ، لكنه يستمر ، فقد أغراه العسل ، فلم يفلح الآخـرون في ثنيه عن ملاحقتها ، بل ازداد في إصراره كثيراً ، فقد وثق بنفسه ، واتقانه العمـل ، إن لـم يخـنه الحبل فينقطع ، فيتدلى بحبل ، غير آبه بلسع النحل له ، فيجني العسل ، وينتصر رغم كل المصاعب على النحل والطبيعة ، فتفرُّ ذليلة منكسرة .

وقد يشبه الشاعر ريق محبوبته بالعسل وحده ، ويستطرد قليلاً كما ورد عند تميم ابـن أبي بن مقبل [١] ، وقد يرد العسل عنصراً رئيساً ، فيأتي به الشاعر مشبهاً به لريق المـرأة ، فيستطرد في وصف النحل ، ورحلة المشتار لجمع العسل ، فيصف الصعوبات التـي تواجهـه من لسع النحل له ، وصعوده الجبال الزلقة الصعبة ، تدليه بالحبال ، في سـبيل الحصـول عـلى العسـل ثم يمزجه بالخمر ، ولا تختلف هذه القصائد كثيراً عن سـابقاتها ، إلا أن العسـل هو المشبّه به الرئيس لريق المرأة ، والخمر أو الماء عنصر ثانوي يمزج به ، ورد ذلك عند الأعشى [٢]، وعند أبي ذؤيب الهذلي [٣] .

---

[١] ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ٥٠ .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٣] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ١٤٢ – ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً : الظعائن

تتنوع موضوعات القصيدة الجاهلية تنوعاً واضحاً ، فقد تحدث الشعراء في مواضيع كثيرة في قصائدهم ، وكان مما تناولوه ، موقف رحيل القوم ، بعد أن أقفرت الديار من الماء والنبات ، إلى موضع آخر أكثر ماء ونباتاً ، فتظهر بذلك قصة الظعائن ، وهي همّ الشاعر بعد حديثة عن الأطلال الدارسة ، فيبدو حزينا متألما ؛ لأن أحبابه قد رحلوا ، فيجيل الشاعر ببصره وراءهم ، مصوراً تلك المراكب .

وتظهر هذه الظعائن في الصباح الباكر عادة ، وهي مدبرة تبتعد عنه شيئاً فشيئاً ، حتى يلفها السراب ، فيشبه الشاعر مراكب النساء تلك ، وقد علت الهوادج ظهور العيس بأشياء متعددة ، غالباً ما يختارها الشاعر ما يحيط به ، متلمساً أوجه الشبه بين المشبّه والمشبّه به ، وقد تكررت في هذا المشهد المؤلم للشاعر صورتان كان يشبه الشاعر بهما تلك الأظعان ، وهما صورة السفن وصورة النخيل [١].

وقد جاءت هذه التشبيهات – في معظمها – قصيرة ، لا تدخل في صفحات هذا البحث ، الذي يسعى إلى رصد التشبيهات الأكثر طولاً منها ؛ مما يشكل حكاية تحمل معاني تنعكس في المشبّه به ، فكانت هذه التشبيهات محدودة الورود عند الشعراء الذين لم يطيلوا فيها كثيراً .

– تشبيه الظعائن بالسفن

يمر تشبيه الظعائن بالسفن كثيراً في الشعر الجاهلي ، ولكن التشبيهات الملحمية منها كانت قليلة العدد ، قصيرة الأبيات ، لا تشكل حكاية تامة ، بل هي إشارات عابرة عند أكثرهم ، وقد بدا للباحث أن يورد بعضاً من هذه التشبيهات التي لا تزيد أبياتها عن ثلاثة .

فقد ورد مثل هذا التشبيه عند عبيد بن الأبرص [٢]، وطرفة بن العبد [٣]، وعمرو بن قميئة [٤] ، والمثقب العبدي [٥]، فكانت مختصرة موجزة .

---

[١] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص ١٣٠ .
[٢] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص(٣٠ – ٣١) .
[٣] ديوان طرفة بن العبد ، ص(٧ – ٨) .
[٤] ديوان عمرو بن قميئة ، ص(٦٠ – ٦٣).
[٥] ديوان شعر المثقب العبدي ، تحقيق وشرح وتعليق ، حسن كامل الصيرفي ، ط٢ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م ، ص (١٤٨ – ١٤٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول عبيد بن الأبرص [١] :

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن يمانيـــة قد تغتـــدي وتروح
كعوم سفيـــن في غوارب لجـــة يكفئها في وسط دجـــلة ريح
جوانبها تغشى المتالف أشرفـــت عليهنّ صهب من يهود جنوح

يدعـــو عـــبيد صاحبه أن يتأمل هوادج النساء الراحلات في الصباح مع قومهن ، مســـرعات فـــي الـــرحيل كأنّهـــا سفن تعوم وسط أمواج بحر عميق ، تضربها الأمواج والـــرياح ، فتـــتأرجح يمـــنة ويسرة في مياه نهر دجلة ، حتى تكاد تغرق جوانبها التي يشرف عليها ملاحون ؛ شعرهم أشقر من اليهود ، يميلون بميلانها .

وهـــو تشبيه قصير - كما يظهر - في بيتين ، ولكن عبيداً فصّل - نوعاً ما - في صـــورة المشـــبّه بـــه بإيجاز واضح ، وقد ورد مثل هذا التشبيه عند طرفة بن العبد في قوله :

كأنّ حدوج المالكيـــة غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أومن سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق عباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المفايـــل باليد [٢]

يشـــبه طرفة هوادج النساء - بما فيهن المالكية محبوبته - بالسفن الضخمة الكبيرة فـــي الأوديـــة الواســـعة المليئة بالماء ، وقد نسب هذه السفن إلى قرية في البحرين هي (عـــدولى) ، أو إلى رجل يدعى (ابن يامن) من (هجر) ، هذه السفن يقودها ملاّح تميـــل به يمنة ويسرة ، فتواصل مسيرها ، يشقّ صدرها الماء بقوة ، فتظهر كأنّها تقسم المـــاء قســـمين لقوتها وضخامتها ، فعلها هذا يشبه لعبةً يلعبها صبيان الأعراب ، حينما يخبئون في التراب أو الرمل شيئاً ، فيقسم المفايل التراب بيديه قسمين ليجدها .

---

[١] ديـــوان عـــبيد بـــن الأبرص ، ص (٣٠ - ٣١) . وبهامشه : الغوارب : الأمواج ، اللجّة : الماء الكثير ، تكفئها : تميلها ، جنوح : مائلون .

[٢] ديـــوان طـــرفة بـــن العـــبد ، ص(٧ - ٨) . وفـــي الشرح : حدوج : جمع حدج : وهو مراكب النساء ، المالكيـــة : مـــن بـــني مالك بن ضبيعة ، والخلايا : السفن العظام ، ددّ : اسم موضع ، العدولية : الكبيرة من الســـفن ، وهـــي المنسوبة إلى عدول ، أو قرية بالبحرين ، يجور : يعدل بها مرة ويميل ، حباب الماء أمواجه ، حيزومها : صدرها ، المفايل : الذي يلعب بالفيال ، وهي لعبة الصبيان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذه أبـرز ما ورد في تشبيه الظعائن بالسفن ، رغم قصرها وايجازها كما هو واضـح ، فـلماذا شبّه الشعراء الظعائن بالسفن ؟ يبدو للباحث أن الشعراء كانوا يسعون إلى تصـوير شـكل الظعـائن حيـن بدت لهم من بعيد ، فالإبل مرتفعة وعالية كما هو معـروف ، والهودج يزيد في ارتفاعها وعلوها ، فكان لا بدّ للشاعر من أن يأتي بشيء يجسـد حقيقـة الطـول (العلوّ) المتأصلة في المشبّه ، فوجد أنّها تتمثل في السفن ذات الأعمدة الطويلة المرتفعة .

ويـبدو أنهـم أيضا سعوا إلى تصوير حركة الناقة وهي تحمل الهودج المزركش فـوق ظهـرها ، فيـتمايل الهودج فوق سنامها تبعا لسرعتها ، كما تتمايل السفينة وسط أمـواج الـبحر الـثائرة ، فيبدو الهودج عاليا واضحا كأنّه صارية السفينة المتمايلة مع الأمواج .

والـناقة أو الظعـائن ، تسير في بحر من رمال الصحراء ، بحثاً عن وطن ماء جديـد ، فالبحر للسفينة كالصحراء للناقة ، كما إن السفينة تحقق في الناقة صفة الضخامة الـتي كـانت مهمـة للشـاعر ، لذلك فقد اختار الشاعر السفينة – وهي مما يحيط به ، ويحس به – مشبهاً بها للظعائن ، واصفاً ذلك بدقة .

– تشبيه الظعائن بالنخيل

ويمـرّ أيضـاً تشبيه الظعائن بالنخيل في الشعر الجاهلي كثيراً ، وقد حاولت هذه الدراسـة أن تستقصي التشبيهات الملحمية الطويلة الممتدة منها ، فظهر أنّها قليلة مقارنة بما جاء قصيراً عابراً دون تفصيل .

وكـان أطـول هذه التشبيهات هي ما ورد عند أمرئ ، القيس [١]، وعند لبيد بن ربيعة [٢]، وعند عمرو بن قميئة [٣]، يقول امرؤ القيس [٤] :

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص(٥٦ – ٥٩) .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص(٥٨ – ٦٠) ، و ص(١٢٠ – ١٢١) ، و ص ٢٤٢ .

[٣] ديوان عمرو بن قميئة ، ص(١٦١ – ١٦٤) .

[٤] ديـوان امـرئ القيس ، ص ٥٦ – ٥٩ . وبهامشه معاني الكلمات : الآل : السراب ، تكمشّوا : أسرعوا ، مقيّـر : مطـلية بالقـار ، المكـرعات : المغروسات في الماء ، وآل يامن : قوم من هجر لهم نخيل وسفن ، والصـفا والمشـقّر : قصران بناحية اليمامة ، سوامق : المرتفعات الطوال ، الأثيث : الغزير ، وعالين قنواناً : أي أدرك هـذا الـنخل وأينع فتمايلت عروقه وعالتها فروعه . البسر : ما احمرّ من التمر ، أوقر : حمل ، أعتم : كمل وتمّ ، الزهو : الأحمر والأصفر من البسر ، الأكمام : أقماع البسر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعينـــيّ ظعن الحـــي لمّا تحمّلوا ... لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا
فشبهتهـــم في الآل لمـــا تكمّشوا ... حـــدائـــق دوم أو سفينـــا مقيّـــرا
أو المكرعات من نخيل أبن يامن ... دوين الصفـــا اللائي يلين المشقرا
سواقف جبـــّار أثيـــث فروعـــه ... وعالين قنوانا من البســـر أحمرا
حمته بنو الرّبداء من آل يامـــن ... بـــأسيـــافهم حتـــى أُقـــرّ وأوقرا
وأرضى بني الربداء وأعتم زهوه ... وأكمامـــه حتى إذا مـــا تهصّرا
أطافت به جيلان عنـــد قطاعـــه ... تردّد فيـــه العيـــن حتـــى تحيّرا

يقـول امرؤ القيس : بأنه ظلّ حزيناً بائساً ، يلاحق بنظره ظعائن النساء ، وهي راحـــلة مـــع القوم ، فشبه مراكب النساء – ذلك المشهد المؤلم لمّا أسرعوا في الرحيل ، وقـــد حـــاط بهـــم الســـراب – بحدائق الدوم المرتفعة المختلفة الألوان ، أو كأنّها السفن المطـــلية بالقار ، لكنه ينتقل بالتفصيل إلى تشبيه المراكب بالنخيل ، فيمضي في بيان هذا النخل ، فيقص قصته دون أن يرجع إلى وصف الظعائن .

ويـــزيد فـــي تفصيله ، ويجري في إكمال قصته ، فيقول بأنّ تلك الظعائن – حين أطـــال النظر وراءها وهي تلوح له من بعيد – كانت كأنّها نخيل ابن يامن ، الذي غُرس فـــي مـــاء كـــثير حتى أرتوى في الصفا بعد المشقّر ، فبدا مرتفعاً طويلاً ، لا تصل له الأيدي لارتفاعه عن الأرض .

وهـــو نخـــل كـــثير الفروع ، نضج ثمره حتى صار أحمرَ ، هذا النخل حمته بنو الـــربداء مـــن آل يـــامن ، فمنعت الناس من الوصول إليه ، ودافعت عنه بالسيوف حتى اكـــتمل حمله ونضج ، وقد رضى (بنو الربداء) عن النخل ، بعد أن رأوه قد حمل ثمراً كـــثيراً ، ونضـــج فصـــار أحمـــرَ وأصفرَ ، حتى إذا ما تثنى وتدلى من شدة نضوجه ، أطـــافت به (جيلان) في وقت قطافه ، فنظروا إليه ، فأعجبهم المنظر ، فأجالوا نظرهم فيه طويلاً ، حتى كلّت أنظارهم وتحيرّت ؛ لروعة ذلك الثمر .

لعـــل أكثر ما يميز هذه الصورة ، هي تركيز الشاعر على الألوان المختلفة ، التي تـــنعكس فـــي ألـــوان الهوادج المزركشة ، فحدائق الدوم خضر ، والسفن سوداء مطلية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقـــار ، والنخل المكرعات خضر ، والبسر أحمر ، والثمرات حمر وصفر [١]، وهو بلا شـــك يمـــثّل ألوان النخل ، والسفين ، والدوم في الحقيقة ، وكان في اختلاف هذه الألوان وتـــنوعها مدعـــاة لتشـــبيه الهـــوادج ومـــا تحمله من ألوان مختلفة بهذا الدوم والعشر ، والسفين ، والنخيل .

ويـــبدو أن الشاعر كان يحاول إبراز صفة علوّ هذه الهوادج على ظهور الإبل من بعيـــد ، وهـــو ما حاول تلمسّه في قصة النخل تلك ، فالدوم والنخيل من الأشجار الطويلة الذاهـــبة في السماء ، فالنخيل (المكرعات) شربت الماء ، فطال ساقها ، وهي (سوامق جـــبّار) ، كمـــا إن نخيل إبن يامن مشهورة في شعر العرب ، وكذلك سفنهم ، كما ورد عند طرفة (... أو من سفين إبن يامن) [٢].

ولكن ما مراد الشاعر من إيراد قصّة بني الربداء في صورة النخيل تلك ، فكانوا يحرســـون الـــنخيل ، ويحمونه بسيوفهم ، فيراقبونه حتى ينضج ، فيبيعونه (لجيلان) ، ويـــلوح للباحث أن ذلك يوحي إلى أن النخيل يمثل الهوادج على ظهور الأبل ، وأنّ ثمار هـــذا النخيل من البسر الأحمر والأصفر ، يمثل النساء اللواتي يرقدن في تلك الهوادج ، فبينهن السمراء والبيضاء

ويقول لبيد بن ربيعة [٣]:

كأن أظعانهم فـــي الصبح غاديـــة ... طلح السلائل وسط الروض أو عشر

أو بارد الصيف مسجور مزارعه ... سود الذوائـــب ممـــا متّعـــت هجـــرُ

جعل قصـــار وعيدان ينوء بـــه ... مـــن الكوافـــر مكمـــوم ومهتصـــر

---

[١] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص١٨٨ .

[٢] ديوان طرفة بن العبد ، ص ٧ .

[٣] ديـــوان لـــبيد بن ربيعة ، ص(٥٨ – ٦٠) . وبشرحه معاني الكلمات : طلح : شجر ، السلائل : موضع ، عشـــر : شـــجر له ثمر كأنه خصي التيوس يخرج من شيء كأنه القطن وهو عريض الورق ، بارد الصيف : المـــاء ، مســـجور : ممتلئ ، الذوائب : السعف ؛ شدة الخضرة ، جعل : قصار النخل ، والعيدان : الطوال ، الكوافـــر : الكـــبائس ، رفهـــاً : كـــلما شائت ، كارع مقيم منغمس في الماء ، غلب : طوال غلاظ ، سواجد : مائلة الرؤوس ، الحصر : العطش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشربن رفها عراكا غير صادرة فكلهـــا كارع فـــي المـــاء مغتمـــرُ
بين الصفا وخليج العين ساكنـــة غلب سواجد لم يدخـــل بهـــا الحصر

وتـــبدو الـــلوحات اللونية بارزة في هذه الأبيات أيضا ، فالطلح أخضر والرياض خضـــراء ، ونـــبات العشر يخرج ثمارا بيضاء كالقطن ، كما يبدو لون سعفه أسودَ لشدة خضرته ، وهو ما ينعكس في صورة المشبّه به (الظعائن) ذات الألوان المختلفة .

ومـمـــا يلحظ على تشبيه الظعائن بالسفن أو النخيل أن الشاعر كان يراقب رحيلها فـــي الصـــباح الباكر دائما ، وأنه كان يصف حركتها وهيأتها من بعيد وهي مدبرة ، فلم يكـــن قريـــباً منها حتى يفصّل في صورتها ، أو يفصل في صورة المشبّه به (السفين ، والـــنخيل) لذلـــك كـــان جل اهتمام الشاعر منصباً على تصوير هيأتها من بعيد ، فكان التشابه قريباً بينها وبين السفين ، كما كان قريباً من تشبيهها بالنخيل .

والابـــل كمـــا هو معروف مرتفعة عالية ، والهوادج تزيد في ارتفاعها وعلوّها ، فكـــان لا بـــدّ للشـــاعر من أن يأتي بشيء يجسد حقيقة الطول المتأصلة في المشبّه فوجد أنّها تتمثل في السفن ذات الأعمدة المرتفعة ، ووجدها أيضا في النخيل الطويل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

الناقة والتشبيه الملحمي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تشبيه الناقة بثور الوحش

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تشبيه الناقة بثور الوحش

يـــرد هـــذا التشـــبيه عادة ، حين يتكلم الشعراء الجاهليون عن الناقة ، فيشبهونها بـــثور الوحـــش ، بعـــد أن يتخيل الشاعر منهم أن رحله [١] ، أو كوره [٢] أو اقتاده [٣]، إضـــافة إلى أنساعه [٤]، وميثرته [٥]، وفتانه [٦]، ونمرقته [٧]، وقد انتقلت فوق ظهر ذلك الـــثور الوحشي ، أو أن يشبهوها مباشرة بأداة دون أن يذكر من تلك التسميات شيئاً [٨]، أو أن يحـــل الـــثور محـــل حمار وحشي [٩]، أو سفينة [١٠]، وما إن يذكر الشاعر الثور الوحشـــي حتى يفصّل في صورته ، ويحكي لنا قصته ، فيطيل أحياناً ، ويختصر القصّة

---

[١] يـــنظر : ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص١٠١ – ١٠٤ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٧ – ٢٠ ، وديوان الأعشى ، ٢٩٥ – ٢٩٧ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص٨٧ – ٨٩ (زهير بن مسعود الضبّي) .

[٢] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بـــن أبـــي سلمى ، ص٤٢ – ٤٨ ، وديوان الأعشى ، ص٣٦١ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص٢١٥ – ٢١٦ .

[٣] يـــنظر : ديوان أوس بن حجر ، ص ٢ – ٤ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٠ – ٥٣ ، وص ١٠١ – ١٠٥ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ – ٤٤ ، وديوان الأعشى ، ص٣٢٥ .

[٤] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بـــن أبـــي سلمى ، ص٤٢ – ٤٨ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٣ – ٤٤ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

[٥] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٤٢ – ٤٨ ، وديوان الأعشى ، ص٣٦١ – ٣٦٣ .

[٦] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ .

[٧] المصدر ذاته ، ص ٢٩٥ ، وص٣٦١ .

[٨] يـــنظر : ديـــوان النابغة الذبياني ، ص١٥٨ – ١٥٩ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٤٢ – ٤٣ ، وديوان بشـــر بـــن أبـــي خازم ، ص ٥٥ – ٥٧ ، و ص ٨٢ – ٨٤ ، و ص ١٢٠ – ١٢٢ ، و ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، وديـــوان الأعشـــى ، ص ٢٧٩ ، وديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٦ – ٨١ ، وديوان المتلمس الضبعي ، ص ٢٢٥ – ٢٣٣ ، وديـــوان المـــثقب العـــبدي ، ص ٣٥ – ٥٢ ، وديـــوان عـــدي بن زيد العبادي : ص ٤٤ ، والمفضـــليات ، ص ٢٣٠ (المـــرقش الأكبر) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ – ٤١ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٢ – ٩٣ (زهير بن مسعود الضبّي) .

[٩] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بن أبي سلمى ، ص ٣٧٩ – ٣٨٠ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ – ٦٦ ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٨ – ٢٤١ .

[١٠] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٣ – ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بعض الأحيان .

ويظهر الثور الوحشي وحيدا ، منفردا عن القطيع عند جميع الشعراء الجاهليين ، إلا عند زهير بن أبي سلمى حين ذكره في قطيع من البقر ، حين قال [١] :

أفذاك أم ذو جدّتين مولّع لهق تراعيه بحومل ربربُ

وهو ثور أبيض اللون دائما [٢] ، شبهه الشعراء الجاهليون بأشياء تدلُّ على إشراق لونه وبياضه ولمعانه ، أبيض كجذوة النار [٣] ، أو كالسيف [٤] ، أو كالكوكب الدري [٥] ، أو كالنجم [٦] ، أو كالثوب

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٩ – ٣٨٠ ، وظهر حمار الوحش منفرداً عن القطيع والأتن بخلاف جميع الشعراء الجاهليين في القصيدة نفسها .

[٢] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٢ (... كوتهنّ مشبأ ناشطاً لهقا) ، و ص ٣٧٩ (... لهق تراعيه بحومل ربرب) ، واللهق : الأبيض ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٥٨ (كأنها خاضب أظلافه لهق قهد الإهاب ...) ، قهد الاهاب : الجلد الأبيض تعلوه كدرة ، و ص ٢٠٣ (سراته ما خلا حُداته لهق ...) ، و ص ٢١٥ (شددت بنسعها لهقا لياحا) ، وديوان أوس بن حجر : ص ٢ (لهقاً كأن سراته كسيت ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (لهق السراة ...) لزهير بن مسعود الضبّي .

[٣] ينظر : ديوان امرئ القيس : ص١٠٣ (كأنه على الصمد والآكام جذوة مقبس) وتنسب لبشر بن أبي خازم ، ص ١٠٤ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٤ (... كما رفع المنير بكفّه لهبا) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٣ (... أو قبس في الكف مشبوب) ، لزهير بن مسعود الضبّي .

[٤] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧ (... كسيف الصيقل الفرد) ، وص٦٦ (حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٥٣ (... كنصل السيف جرّده المنيح) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٠ (... كنصل السيف حودث بالصقال) .

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٤ (انقضّ كالكوكب الدري منصلتا ...) ، و ص ٢١٦ (وجال كأنه دري أخذ إذا ما انجات عنه الغيم لاحا) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٣ (وانقض كالدّرّيء يتبعه ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٥ (... كأنه في ذراها كوكب يقد) ، و ص١٢١ (فجال على نفر تعرض كوكب ...) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٤ (كالكوكب الدريّ يشرق متنه ...) ، وديوان الأعشى ، ص٢٩٧ (وأدبر كالشّعرى وضوحاً ونقبة) ، و ص٣٦٣ (... تخاله كوكباً في الأفق ثقّابا) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٣ (كأنه حين نجا كوكب ...) .

[٦] ينظر : ديوان الأعشى ، ص٢٧٩ (... كالنجم يختار الكثيب أبل) ، وديوان المثقّب العبدي ، ص ٤٩ (... كما ينحسر النجم عن الفرقد) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبيـــض [١]، أو كالعـــاج [٢]، أو كالبرق اللامع [٣]، ويظهر اللون الأسود في خديه [٤]، وفي ظهره وقوائمه [٥]، وفي قرنيه [٦].

---

[١] يـــنظر : ديـــوان بشـــر بـــن أبي خازم ، ص ٥١ (فجال كأن نصعاً حميرياً إذا كفر الغبار به يلوح) ، وديوان الأعشى ، ص٢٩٥ (عليه ديابوذ تسربل تحته أرنـــدج اســـكاف يخالط عظلما) ، وديوان لبيد بـــن ربيعـــة ، ص ١٤٦ (... كأنّه نصع جلته الشمس بعد صوان) ، وديوان المتلمس الضبعي ، ص٢٣٠ (وفوق سراته ديابوذة ...) ، والمفضليات ، ص ٢٣٠ (كأنه نصع يمان ...) المرقش الأكبر .

[٢] يـــنظر ، ديـــوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥١ (... كوقف العاج ليس به كدوح) ، وص ٥٣ (... كوقف العاج طرته تلوح) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (كما تهزهز وقف العاجة السلسُ) .

[٣] ينظر : ديوان المتلمس الضبعي : ص٢٣٢ (... كأنّ سراته كبرق نزيع والسحابة ترجس) .

[٤] يـــنظر : ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص١٠٢ (قبات على خدّ أحم ...) وتنسب لبشر بن أبي خازم ، ص ١٠٣ ، وديـــوان أوس بـــن حجر ، ص ٢ ، (... بعد الكلال ملمعاً شبابا) وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٢٠ (كأنهـــا فـــريد بذي بركان طاو ملمّع) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ (... على ظهر طاو أسفع الخد أخـــثما) ، و ص ٣٦١ (... كســـوتها أســـفع الخدّين عبعابا) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٣ (... أو أســـفع الخدّين شاة إران) ، وديوان المتلمس الضبعي ، ص٢٣٠ (... وبالوجه ديباج ...) ، وديوان المثقب العـــبدي ، ص٣٥ (كأنها أسفع) ، وص ٣٨ (... ملمع الخدين) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٧ (... والخدّين كالنقس) زهير بن مسعود الضبي ، و ص ٩٢ (كأنّها أسفع ...) لزهير أيضاً .

[٥] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بـــن أبـــي سلمى ، ص ٣٧٩ (أفذاك أم ذو جدتين مولّع ...) ، وديوان النابغة الذبيـــاني : ص ١٧ (مـــن وحـــش وجـــرة موشـــى أكارعه ...) ، و ص ٦٥ (... أو ذو وشوم ...) ، و ص ٢٠٣ (كأنمـــا الـــرحل منها فوق ذي جدد ...) ، و ص ٢٠٣ (... وفي القوائم مثل الوشم بالقار) ، وديـــوان أوس بـــن حجـــر ، ص ٤٢ (كأنهـــا ذو وشـــوم ...) ، وديـــوان بشـــر بـــن أبي خازم ، ص٥١ (... تعطفهـــن موشـــي مشـــيح) ، وص ٥٥ (من وحش خبّة موشى الشوى فرد) ، و ص ٨٢ (... كأنها بحـــربة موشـــي القوائم مقفر) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ (... تعطفهن ذو جدد فريد) ، وديوان المثقب العبـــدي ، ص ٣٥ (... ذو جـــدّة) ، وص ٣٨ (قـــد أردفـــت اكـــرعه بالزمع الأسود) ، والمفضليّات ، ص ٢٣٠ (وبالأكـــرع تخـــنيف كـــلون الحمـــم) المرقش الأكبر ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٧ (وكأنّ رحلي فوق ذي جدد بشواه ...) ، و ص ٩٢ (كأنها أسفع ذو جدّة ...) لزهير بن مسعود الضبيّ .

[٦] يـــنظر : ديـــوان بشـــر بن أبي خازم ، ص ٥٢ (... بسحماوين ليطهما صحيح) ، و ص ١٢٢ (بأسحم لأم زانـــه فـــوق رأســـه) ، وديـــوان الأعشـــى ، ص ٢٩٥ (... بأظماً من فرع الذؤابة أسحما) ، وديوان المتلمّس الضبعي ، ص ٢٣٠ (... والروق أسحم أملس) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشـــار الشـــعراء الجاهليون إلى مواضع ثور الوحش كثيرا ، وهي : عرنان [١] ، ووجـــرة [٢] ، ورملة البقّار [٣]، ورملة أورال [٤]، وحربة [٥]، وأوراك[٦] ، وناصفة [٧]، وحومـــل [٨]، وحوضـــى [٩]، والزنابيـــر [١٠]، وذو قار [١١]، وأنبط [١٢]، والمأفقة [١٣]، والقطقطانـــة [١٤]، والـــبرعوم [١٥]، وسويقة [١٦]، وخبة[١٧]، وعسفان[١٨]، وذو بركان[١٩]، وبـــرقة واحـــف [٢٠]، ولطيـــات فلج [٢١]، والبراعيم [٢٢]، والعليا [٢٣] ، والمنتهى [٢٤]،

---

[١] ديوان أمرئ القيس ، ص ١٠١ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧ ، و ص ٢٠٣ .

[٣] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ ، وديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ .

[٤] ينظر ، ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٥ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٤٣ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٢ ، و ص ٢٠٤ .

[٦] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٣ .

[٧] المصدر ذاته ، ص ٤٣ .

[٨] المصدر ذاته ، ص٣٧٩ .

[٩] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ .

[١٠] المصدر ذاته ، ص١٥٨ .

[١١] المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .

[١٢] ديوان أوس بن حجر ، ص ٢ .

[١٣] المصدر ذاته ، ص٤٢ .

[١٤] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[١٥] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[١٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٥١ .

[١٧] المصدر ذاته ، ص٥٥ .

[١٨] المصدر ذاته ، ص ١٠١ .

[١٩] المصدر ذاته ، ١٢٠ .

[٢٠] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٧٦ .

[٢١] المصدر ذاته ، ص٨٠ .

[٢٢] المصدر ذاته ، ٢٣٨ .

[٢٣] ديوان المثقّب العبدي ، ص ٥١ .

[٢٤] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخطمة [١]، وصرايم الحسنين [٢]، والوعس [٣].

تـبدأ قصة الثور مع اقتراب حلول الظلام ، حين تعصف به الريح والأمطار كما في قول بشر بن أبي خازم [٤] :

باتت عليه ليلة رجبيّة تكفئه ريح خريق وتمطر

وكما في قول عبيد بن الأبرص [٥] :

باتت عليه ليلة رجبيّة نصبا تسحُّ الماء أو هي أبرد

ولا بـد في هذه القصّة من دخول الثور تلك الليلة الماطرة عند أغلب الشعراء [٦]، يقاسي فيها البرد الشديد ، والتجمّد والريح القوية الباردة ، لكنه يحاول الصبر رغم

---

[١] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ .

[٢] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (زهير بن مسعود الضبي) .

[٣] المرجع ذاته : الصفحة ذاتها (زهير بن مسعود الضبي) .

[٤] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨٢ .

[٥] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٤٤ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٤٥ (فأدركته سماء بينها خلل ...) ، و ص ٤٦ (حتى دنا مرزم الجوزاء ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١٨ (سرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد) ، و ص ٦٥ (... في ليلة من جمادي أخضلت ديما) ، و ص ٢٠٣ (باتت له ليلة سهباء تسفعه يحاصب ذات أشعان وأمطار) ، وص ٢١٥ (... وشام الغيث من كثب فراحا) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٢ (... حرجاً يعالج مظلما صخبا) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥١ (... بجنب سويقة رهم وريح) ، و ص ٥٥ (... تضيفه إلى الكناس عشي بارد صرد) ، و ص ٥٦ (باتت له العقرب الأولى بنثرتها وبلّة من طلوع الجبهة الأسد) ، و ص ٨٢ ، و ص ١٠٣ (فألجاه شفّان قطر وحاصب) ، و ص ٢٠٤ (... باتت عليه بحربة ليلة فيها جهام) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٤٤ ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (أخرجته قهباء مسبلة الودق رجوس قدّامها فرّاق) ، و ص ٢٧٩ (... ضرب قطار تحته شمأل) ، و ص ٢٩٥ (تلفه ريح خريق تترك الوجه أقتما) ، و ص ٣٢٥ (... فبات بتلك يضربة الجليد) ، و ص ٣٦١ (ألجأه قطر وشفّان لمرتكم ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٧ ، (... نطوف أمرها بيد الشمال) ، و ص ١٤٣ (... وتغيبت عنه كواكب ليلة مدجان) ، وص ٢٣٩ (... شآمية تزجي الرّباب الهواطلا) ، وديوان المثقّب العبدي ، ص ٣٥ (... يمسده الوبل وليل سَدِ) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (باتت عليه من الجوزاء أسمنه ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (... راحت عليه بوابل رجس) ، و ص ٩٢ (... تلفّه ريح خريق وليل حالك النقبة غربيب) لزهير بن مسعود الضبيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تذمره وفراره من ذلك البرد ، فيلوذ إلى المبيت تحت شجرة أرطاة [١] ، يقول امرؤ القيس [٢] :

وبات إلى أرطاة حقف كأنها إذا أنتقتها عبية بيت معرّس

وقلمّا يرد أسماء أشجار غيرها عند الشعراء ، كما ورد عند لبيد بن ربيعة ، حين ألجأ الثور إلى شجر الغرقد والضال في قوله [٣] :

فبات كأنّه قاضي نذور يلوذ بغرقد خضل وضال

فيحفر الثور أصل الشجرة بأظلافه أو بقرنيه التراب ليصل إلى اليابس الجاف [٤]

---

[١] ينظر : ديوان أمرئ القيس ، ص ١٠٢ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (وبات ضيفاً لأرطاة ...) وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥١ (تضيفه إلى أرطاة حقف ...) ، و ص ٥٥ (فبات في حقف أرطاة يلوذ بها ...) ، و ص ٨٢ (... وأرطاة حقف خانها النبت يحفر) ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (تضيف أرطاة ببيت في دفها ...) ، و ص ٢٩٥ (يلوذ إلى أرطاة حقف ...) ، و ص ٣٦٣ (وبات في دفّ أرطاة يلوذ بها ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٣ (حرج إلى أرطاته ...) ، و ص ٢٣٩ (فبات إلى أرطاة حقف ...) ، وديوان المتلمس الضبعي ، ص ٢٣٣ (فبات إلى أرطاة حقف) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (... ثم إلى دفّ أرطاة ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (فأوى إلى أرطاة ...) ، و ص ٩٢ (... آوى إلى غضياء مهضوب) لزهير بن مسعود الضبيّ) .

[٢] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٢ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٧ .

[٤] ينظر ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٢ (تعشّى قليلاً ثم أنحى ظلوفه يثير التراب عن مبيت ومكنس) ، وتنسب لبشر بن أبي خازم ، الديوان ، ص ١٠٢ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٦ (يمري بأظلافه حتى إذا بلغت يبس الكثيب تداعى الترب فانخرقا) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ (... إذا استكف قليلاً تربه انهدما) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٢ – ٨٣ (... وأرطاة حقف خانها النبت يحفر ... يثير ويبدي عن عروق كأنها) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ (... مكبا على روقيه يحفر عرقها ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٢ (يزع الهيام عن الثرى ويمده بطح تهايله على الكثبان) و ص ٢٣٩ (... يعالج رجّافاً من الترب عائلا) ، و ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (يبري عروقاً ويبدي عن أسافلها ...) وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (فأكب مجتنحاً يحفرّها بظلوفه عن ذي ثرى يبس) لزهير بن مسعود الضبيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الأعشى مصورا ذلك :

يلوذ إلى أرطاة حقف تلفّــه حريق شمال تترك الوجه أقتما

مكبّا على روقيه يحفر عرقها على ظهر عريان الطريقة أهيما [١]

حيــث يلتجئ الثور إلى شجرة أرطاة ، بعد أن عصفت به الريح الشمالية الهوجاء الــتي تــترك الوجه مغبرا شاحبا ، فطأطأ رأسه ليحفر بقرنيه ، وأظلافه التراب ليسوّي مأوى له من البرد والمطر ، لكنّه كلمّا حفر انهالت الرمال لأنها غير متماسكة .

ويمضــي الــثور ليلــته تحت الأمطار ، حتى أنه لشدة المعاناة وقسوة الظروف يتمنى أن يأتي الصباح بسرعة : (فبات يقول : أصبح ليل حتى ...) [٢] :

وبات يقول بالكثيب من الــ ــغبية أصبح ليل لو يفعل [٣]

فمــا إن يقترب ضوء الصباح حتى ينفّض متنه من الماء والجليد الذي علق به ، فبدا كأنّه حبات الجمان ، كما يقول بشر بن أبي خازم [٤] :

فأضحى وصئبان الصقيع كأنها جمان بضاحي متنه يتحدر

فيشنف آذانه وأسماعه لإحساسه بصوت خفيف ، ويزيد في الإصاخة والتنصّت لالتقاط الأصوات الخفيّة [٥] ، كما يقول المثقّب العبدي [٦] :

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ . وبهامشه : خريق : الريح الشديدة الهبوب .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٠٥ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ . وبهامشه : الغبية : الدفعة الشديدة من المطر .

[٤] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٣ . وبهامشه صئبان الصقيع : صغار الجليد التي تتحبب كاللؤلؤ .

[٥] يــنظر : ديــوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ (أصاخ من نبأة أصغى لها أذناً ...) وديوان أوس بن حجر ، ص ٤٤ (أحــسّ ركــز قنيص ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٣ (فأدى إليه مطلع الشمس نبأة تمارى بها رأد الضحى ثم ردّها إلى حــرتيه حافظ السمع مبصر) ، و ص ٨٤ (فجال ولمّا يستبن وفؤاده بريبــته ممــا توجــس أوجر) ، و ص ١٢٠ (له كل يوم نبأة من مكلب ...) ، ، وديوان الأعشى ص٣٦٣ (أحــسّ من ثعل بالفجر كلاّبا) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٥٩ (حتى أشبّ له ضراء مكلّب) ، وديوان المــثقب العــبدي ، ص ٤١ (يصيخ للنبأة أسماعه) ، و ص ٤٥ (ضمّ صماخيه لنكريّة ...) ، وديوان الأســود بــن يعفــر النهشلي ، ص ٤٠ ، (... خوف على أنفه والسمع محترس) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (... من نبأة راعته بالأمس) لزهير بن مسعود الضبيّ .

[٦] ديوان المثقّب العبدي ، ص ٤١ – ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصيخ للنبأة أسماعـــه إصاخـــة النّاشـد للمنشـــد

ضمّ ضماخيه لنكرية من خشية القانص والمؤسد

أي أنـــه يصـــمت . فيثـــنّف أذنيه لسماع أصوات خفيّة ، كما يستمع ويصمت صـــاحب الضـــالة لمعرفها بتلهّف وشوق ، فيضمّ أذنيه زيادة في الإصغاء لذلك الصوت المـــنكر خوفا من القانص والكلاب ، فالثور لا يسمع الأصوات إلا بعد تسمّع وإصغاء ؛ لأنّ لحـــم أصـــل الروق يزاحم الأذن فيسدّها ، وذلك أشدُّ عليه ، يصوّر النابغة ذلك في قوله [١] :

أصاخ من نبأة أصغى لها أذنا صماخها بدخيس الروق مستور

بعـــد هـــذا التسمع والإنصات تبدأ محنة الثور الثانية ، ولكنها بالنسبة للثور تمثّل إلى الآن بعـــض الشكوك ، فلم يستيقن من ذلك ، حتى يجيء الصباح بضوئه ، فيصبحه الصـــائد الـــذي يشلي كلابه [٢] ، فتنشب المعركة بين الثور والكلاب ، فيكون الثور دائماً فـــي موقـــف المدافع عن نفسه ، والكلاب هي التي تكرّ عليه أوّلاً ، فتكون هي المعتدية عـــليه ، وتكـــون الغلـــبة في هذا الصراع دائماً للثور ، يقول الجاحظ [٣] : (ومن عادة

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ .

[٢] ينظر ديوان امرئ القيس ، ص١٠٣ (فصبحتّه عند الشروق غدية كـــلاب ابن مر أوكلاب ابن ســـنبس) ، وديـــوان زهيـــر بـــن أبي سلمى ، ص ٤٦ (فصبحنه كلاب شدّها خطف ...) ، وديوان النابغة الذبيـــاني : ص ٢٠٣ (حتى إذا انجلت ظلماء ليلته ... أهوى له قانص يسعى بأكلبه ...) ، وديوان بشر بن أبـــي خـــازم ، ص ٥١ (فباكرة مع الإشراق غضف ...) ، و ص ٨٣ (فأدى إليه مطلع الشمس نبأة ...) و ص ١٠٣ (فـــباكره عـــند الشروق غديّة كلاب ابن مرّ أو كلاب بن سبنس) ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (لـــم يـــنم ليـــلة الـــتمام لكي يصبح حتىّ أضاءة الإشراق ... ساهم الوجه من جديلة أو لحيان ...) ، و ص ٢٧٩ (حـــتى إذا انجـــلى الصـــباح ... أحسّ بالسمّار وعجل طمل) ، و ص ٢٩٥ (فصبحته عند الشروق غدية كلاب الفتى البكري ...) ، و ص ٣٦٣ (حتىّ إذا ذرّ قرن الشمس أو كربت أحســـنّ مـــن ثعـــل بالفجـــر كلاّبـــا) ، وديـــوان لـــبيد بـــن ربيعة ، ص ٧٨ (فباكره مع الإشراق غضف ...) ، و ص ٢٣٩ (فأصبح وانشقّ الضباب وهاجه أخـــو قفرة يشلي ركاحاً وسائلاً) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (حـــتى إذا انجـــلت ظـــلماء ليلته ... هاجت به فئة غضف مخرجة) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص٨٨ (حتى أضاء الصبح وانحسرت ... فأحسّ من كثب أخا قنص ...) ، لزهير بن مسعود الضبيّ .

[٣] الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشـعراء إذا كـان الشعر مرثيّة أو موعظة ، أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كـان الشعر مديحا ، وقال كأنّ ناقتي بقرة ، من صفتها كذا ، أن تكون الكلاب هي المقتولة ...) . مع أنه لم يرد الثور مقتولا عند الشعراء الجاهليين ، وخاصّة في اطار تشـبيه الـناقة بـه ، ولكـن الـثور قـتل فعلا في عينيّة أبي ذؤيب الهذلي ، حين كان الموضـوع فـي رثاء أبنائه الخمسة ، ومع ذلك لم يكن الثور مشبها به للنّاقة ، ولم تكن هذه القصيدة جاهلية .

وقال زهير بن أبي سلمى في قتل الثور الكلاب [١] :

كرّ ففرّج أولاها بنافذة نجلاء تتبع روقيه دما دفقا

فقـد طعـن السابق إليه من الكلاب بقرنه الذي نفذ إلى حوفه ، فلمّا اخرجه تدفقت الدماء بعده ، وكما قول أوس بن حجر [٢] :

فنحـا بشرتـه لسـابقهـا حتى إذا ما روقه اختضبا

كرهت ضواريها اللحاق به متباعداً منهـا ومقتربـا

فـبعد أن رأى أن لا خلاص له منها ، اتجه لها بنشاط كبير ، فطعن الذي وصل أولاً مـنها ، حـتى تخضّـبت قرنه بالدماء ، فلمّا رأت بقيّة الكلاب ما حلّ بالسوابق ، كـرهت الـلحاق بالـثور سواء كان بعيداً منها أو قريباً ، وهو ما كرهه (واشق) كلب النابغة [٣] :

لما رأى واشق إقعـاص صاحبـه ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس : إني لا أرى طمعاً وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

فغادر الساحة منهزماً خوفاً من ملاقاة مصير صاحبه .

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٨ .

[٢] ديوان أوس بن حجر ، ص ٣ . وبهامشه : النشاط الشديد ، الروق : القرن .

[٣] ديـوان الـنابغة الذبيـاني ، ص ٢٠ . وبهامشـه معاني الكلمات : واشق : اسم كلب ، الإقعاص : الموت الوحيُّ ، القود : القصاص ، مختار الصحاح (ق و د) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنتهي قصّة الثور مع الكلاب فينطلق ، مسرعاً مسروراً ومبتهجاً بهذا الانتصار . فبدا كأنه أصيب بالجنون نتيجة الغرور والتكبرّ كما ورد على لسان زهير بن مسعود الضبيّ [١] :

وانصاع عرضيا كأنّ به لمما من الخيلاء والفجر

أو كأنه كوكب مضيء سريع ، أو شعله متوقّدة ، يلوّح بها أحدهم من بعيد في قول لزهير أيضا [٢] :

كأنّه حين نحا كوكب أو قبس بالكفّ مشبوب

ويصوّره النابغة في ذلك الموقف ويصف نشاطه وقوته واقباله وإدباره وسرعته ، في الجرى وخلطه التقريب بالإحضار [٣] :

حتى إذا ما قضى منها لبانته وعاد فيها بإقبال وإدبار

وانقض كالكوكب الدري منصلتاً يهوي ويخلط تقريباً بإحضار

صورة صائد ثور الوحش في التشبيه الملحميّ

يرد في الشعر الجاهلي ، في قصّة ثور الوحش أسماء لصائدين اشتهروا بمهنة الصيد [٤] ، ذكرهم الشعراء في أشعارهم ، كابن مرّ وابن سنبس [٥] ، وجداية وذريح [٦] ، والفتى البكريّ : عوف بن الأرقم [٧] ، أو أسماء قبائل اشتهر أفرادها بمهنة الصيد ،

---

[١] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٩ . وفي الهامش معاني الكلمات : انصاع : انفتل راجعاً ومرّ مسرعاً ، اللحم : طرف من الجنون ، الفجر : التكبر والتعظّم .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٩٣ .

[٣] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٤ .

[٤] جعل الدكتور نصرت عبد الرحمن الصائد صنفين : الذي يحترف الصيد ، والذي يجعل منه رياضة وهواية : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص ٣٥ .

[٥] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ (... كلاب ابن مرّ أو كلاب ابن سبنس) ، وردت الأسماء نفسها في البيت ذاته في ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٣ ، وتنسب القصيدة له .

[٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥١ (... يخبّ بها جداية أو ذريح) .

[٧] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ (... كلاب الفتى البكري عوف بن أرقما) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كقبيلة أنمار [١]، وبني فقيم [٢]، وبني أسد [٣]، وجديلة ولحيان [٤]، وثعل [٥]، وصباح [٦].

والصائد كلاّب دائما [٧]، وصفه زهير بن أبي سلمى بأنه : قصير القامة غليظ الجسم ، في قوله :

بينا يضاحك رملة وجواءها يوما أتيح له أُقيدر جأنب [٨]

عابس الوجه [٩]، وصفه الشعراء بأنه نحيل العود ، ضامر البطن ، قليل اللحم : (مثل القناة أزل) [١٠]، (وأزلُ كسرحان القصيمة ...) [١١]، (ويسعى بهن

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (... من قنّاص أنمار) .

[٢] المصدر ذاته ، ص ٢١٥ (... فصبحته كلاب بني فقيم ...) .

[٣] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٢ (... أحسّ ركز قنيص من بني أسد) .

[٤] ديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (ساهم الوجه من جديلة أو لحيان ...) .

[٥] المصدر ذاته ، ص ٣٦٣ (... أحسّ من ثعل بالفجر كلاّبا) .

[٦] ديوان الأسود بن يعفر ، ص ٤١ (معصّباً من صباح ...) .

[٧] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ (... كلاب ابن مرّ وكلاب ابن سنبس) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٨ (فارتاع من صوت كلاّب ...) ، ص ١٥٨ (من حس أطلس تسعى تحته شرع ...) ، و ص ٢٠٣ (... أهوى له قانص يسعى بأكلبه) ، و ص ٢١٥ (... فصبحته كلاب بني فقيم) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٣ (حتى إذا الكلاّب قال لها ...) ، و ص ٤٣ (يسعى بغضف) وديوان بشر بن أب خازم ، ص ٥١ (... غضف يخب بها جداية أو ذريح) ، وص٨٤ (وباكره عند الشروق مكلّب ...) ، و ص ١٢٠ (لسه كل يوم نبأة من مكلّب) ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (أفنى ضراءة الإطلاق) ، و ص ٢٧٦ (... في اثره غضف مقلدّه) ، و ص ٢٩٥ (... كلاب الفتى البكري ...) ، و ص ٣٦٣ (أحسّ من ثعل بالفجر كلاّبا) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٥ (حتى أشب له ضراء مكلب ...) ، وص ٢٣٩ (يشلي ركاحاً وسائلا) ، وديوان المثقب العبدي ، ص ٤٥ (من خشيّة القانص والمؤسد) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (ذا فضة يسعى بضارية ...) ، زهير بن مسعود الضبيّ .

[٨] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٩ .

[٩] ديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (ساهم الوجه من جديلة أو لحيان)

[١٠] المصدر ذاته ، ص ٢٧٩ .

[١١] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد تعود أكل اللحم ، (محالف الصيد هبّاش له لحم) [١] ، لا يترك الطريدة تفلت من يديه أني ذهبت فهو كالذئب في ذلك :

كالسيد لا ينمي طريدته ليس له مما يحاز حول [٢]

يندر أن يحمل الصائد معه معه جعبة مليئة بالسهام كما ورد عند زهير بن مسعود (ذا وفضة يسعى بضاريه ...) [٣] ، كثير الترحال وراء الصيد [٤] .

تشبيهات الصائد

كان الذئب هو المشبه به الأكثر وروداً لصائد ثور الوحش عند الشعراء الجاهليين ، فقد جاء عند النابغة في قوله : (من حسّ أطلس) [٥] ، للدلالة على لونه واحتياله في الصيد ، وعند بشر في قوله : (أزلّ كسرحان القصيمة أغبر) [٦] ، للدلالة على ضموره وخفته ولونه ، وعند الأعشى في قوله : (أحسّ بالسمار عجل طمل) [٧] ، وقوله (وأطلس طلاّع النجاد) [٨] ، وقوله : (كالسيد لا ينمي طريدته) [٩] ، للدلالة على خفته في الحركة ، وعدم الإحساس به ، ولونه ، وعدم تركه فريسته وعند لبيد في قوله : (يسعى بهن أقب كالسرحان) [١٠] للدلالة على ضموره وجرأته ، وعند الأسود بن يعفر ، في قوله : (يقدمن أشعث في ماريه طلس) [١١] ، للدلالة على لونه ، وشقائه .

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ .

[٣] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ ، زهير بن مسعود الضبيّ ، الوفضة : جعبة السهام .

[٤] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (... طول ارتحال منه وتسيار) .

[٥] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ .

[٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ .

[٧] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ .

[٨] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[٩] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[١٠] ديوان لبيد بن ربيعة ، ١٤٥ .

[١١] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقــبّ) [١] ، وهي صفات تظهر بأنّ ذلك يمكنه من المطاردة الطويلة ، لأنه يتمتّع بالخفة ، والســـرعة ، وحيـــن أراد الـــذابغة ذلك ، قال بأنّ ظاهر كفه عارية من اللحم ، فبدت عروقها ، وعظامها ، ظاهرة للعيان : (... عاري الأشاجع من قنّاص أنمار) [٢] .

أمـــا هيـــئة الصـــائد ، فثيابة خلقة بالية : (ما إن عليه ثياب غير أطمار) [٣] ، (خـــلق الـــثياب محالف البؤس) [٤] ، أشعث [٥] ، أغبر [٦] ، يميل لونه إلى السواد الذي تخالطه كدرة ، أطلس كلون الذئب [٧] .

أبـــو صـــبية شعث [٨] ، ليس لهم مصدر رزق إلا ما يجلبه تطوافه مع الضاريات لهـــم [٩] ، لكـــنه بـــرغم فقـــره ذاك شـــهم الخليقة [١٠] ، وهو قانص ماهر في الصيد ، (وقـــانص لا ترى في فعله خُرقا) [١١] ، ليس فيه عجلة أو طيش ، يحالفه الصيد دائماً

---

[١] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٥ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .

[٤] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ ، زهير بن مسعود الضبيّ .

[٥] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (... يقدمهن أشعث ...) .

[٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ (أزلّ كسرحان القصيمة اغبر) .

[٧] يـــنظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ (من حسّ أطلس ..) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ (أزل كســـرحان القصـــيمة أغبر) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ (أطلس طلاّع النجاد ...) ، وديوان الأسود بن يعفر ، ص٤١ ، (يقدمن أشعث في مارية طلس) .

[٨] يـــنظر : ديـــوان بشـــر بـــن أبي خازم ، ص ٨٤ (أبو صبية شعث ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ (ذو صبية ...) .

[٩] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ (ذو صبية كسب تلك الضاريات لهم فقـــد حـــالفوا الفقر واللأواء أحقابا) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (معصباً من صباح لا طعام له ولا رعيّـــــــة إلا الطوف والعسس) .

[١٠] ديوان أوس بن حجر ، ص ٣ ، (شهم يطرّ ضواريا كثبا) .

[١١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن إلحاح الشعراء على تشبيه الصائد بالذئب ، يحقق لديهم أشياء متعددة تظهر صفات الصائد الجسمية والخُلُقية ، وأول ما يبيّن لنا هذا التشبيه لون بشرة الصائد التي أحرقتها الشمس فبدت رمادية كلون الذئب الأسود يخالطه بعض البياض ، ويوضح لنا – التشبيه – مهارة الصائد في المطاردة والقنيص ، فهو كالذئب لا يترك فريسته ، ويعمل دون أن يصدر أصواتا تفزع الثور ، ويرينا – التشبيه أيضاً – ضمور الصائد ؛ وقلة لحمه ونحوله ، كما مرّ بنا .

ويشبه الشعراء الصائد بقناة الرمح : (مثل القناة أزل) [١] ، للدلالة على نحوله وضموره وقلّة لحمه أيضاً ، وشبهه الأعشى حين أطلق الكلاب على الثور ، وحثها على الفتك به ، وأغراها به ، بالمشتار الذي يجمع العسل فيهيج النحل ، وما جاء الشاعر بهذا التشبيه إلا لأنه أراد أن يصور الكلاب وهي تنهش الثور فيشبهها بالزنانير[٢]، لذا كان عليه أن يشبه الصائد بالمشتار الذي يجمع العسل، قال الأعشى[٣] :

فأطلق عن مجنوبها فأتبعنه كما هيجّ السامي المعسّل خشرما

كيف صوّر الشعراء الكلاب

لقد كانت الكلاب في قصّة الثور الوحشي ، الأكثر أهميّة بعد الثور ، وسيحاول الباحث وضع صورة لتلك الكلاب ، كما صورها الشعراء متكئاً على ما ورد من صفاتها في الشعر الجاهلي .

ذكر الشعراء الجاهليون أسماءً لكلاب الصّيد في قصّة الثور وعراكه معها فكانَ من أسمائها : ضمران وولشق [٤] عند النابغة ، وزنباع وفارع [٥] عند بشر بن أبي

---

[١] ديوان الأعشى ، ٢٧٩ .

[٢] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٣ ، (كأنهن بجنبيه الزنانير) (شبّه الكلاب وهي تنهش الثور بالزنانير) .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ . وبهامشه معاني الكلمات : مجنوبها : جنب الدابة أو البعير ، السامي : الذي يسمو في الجبل : الخشرم : جماعة النحل والزنابير .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٩ – ٢٠ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خـــازم ، وعطاف ومجدول وسلهبة ومحصوف وكتاب [١] عند الأعشى ، وملحم وطحال [٢] ، وسائل ورکاح [٣] عند لبيد بن ربيعة .

صفات الكلاب

جعـــل الشـــعراء الجاهـــليون صـــفات مميّـــزة لكـــلاب الصـــيد عـــن غيرها ، تشـــابهـــت صـــفاتهـــا عـــند أغلـــبهـــم ، مـــنهـــا أن الكـــــلاب ذات آذان طويـــلـــة ومســـترخيـــة [٤] ، متعوّدة على الصيـــد [٥] ، مجوعـــة وهزيلة وضامرة [٦] ، وسريعة

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٩ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٢٣٩ .

[٤] يـــنظر : ديـــوان الـــنابغة الذبيـــاني ، ص ٢٠٣ (يسعى بغضف ...) ، و ص ٢٠٣ (... أشلى وأرسل غضـــفاً كـــلها ضـــاري) ، وديـــوان أوس بن حجر ، ص ٤٣ (يسعى بغضف ...) ، وديوان بشر بن أبي خـــازم ، ص ٥١ (فباكره مع الإشراق غضف) ، و ص ٥٦ (ففاجأته ولم يرهب فجاعتها ، غضف ...) ، وديـــوان الأعشى ، ص ٢١٣ (... وتلته غضف ...) ، و ص ٢٧٩) في إثره غضف ...) ، وديوان لبيد بـــن ربيعـــة ، ص ٧٨ (فـــباكرة مـــع الإشـــراق غضف) ، و ص ٢٤٠ (فجال ولم يعكم لغضف ...) ، وديـــوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (هاجت به فئة غضفٌ مخرّجة ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٣ (... غضف ضراء ...) ، زهير بن مسعود الضبيّ .

[٥] يـــنظر : ديـــوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (... أشلى وأرسل غضفاً كلّها ضاري) ، وديوان أوس بن حجـــر ، ص ٣ (... شـــهم يطرُّ ضوارياً كثبا) ، و ص ٣ (... كرهت ضواريها ...) ، وديوان بشر بن أبـــي خـــازم ، ص ١٢١ (بأكلـــبة زرق ضـــوارٍ ...) ، وديـــوان الأعشى ، ص ٢١٣ (... أفنى ضراءة الاطـــلاق) ، و ص ٣٦٣ (ذو صـــبية كـــسب تلك الضاريات لهم ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٨ (... ضـــواريها تخـــبُّ مـــع الرّجال) ، و ص ١٤٥ (حتى أشبَّ له ضراء مكلّبٌ ...) ، وقصائد جاهلية نـــادرة ، ص ٨٨ (... ذا وفضـــة يسعى بضارية ...) لـــ (زهير بن مسعود الضبيّ) ، و ص ٩٣ (... غضف ضراء ...) لزهير أيضاً .

[٦] يـــنظر : ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ١٠٣ (مغـــرثة زرقا) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٧ (زرق العيـــون طواهـــا حســـن صـــنعته مجوعـــات كما تطوي بها الخرقا) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٥٨ (... تســـعى تحـــته شـــرع ...) ، و ص ٢٠٣ (يسعى بغضف براها فهي طاوية ...) ، وديوان بشـــر بـــن أبـــي خازم ، ص ٥٦ (غضف نواحل ...) ، و ص ٨٤ (... كوالح أمثال اليعاسيب ضمّر) ، ص ١٢١ (... كأنهـــا خطـــاطيف من حول الطريدة تلمع) ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (... مغاريث =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العـــدو [١] ، ويظهر العبوس [٢] بأنّه صفة غالبة على كلاب الصيد تلك ، فقد صوّر امرؤ القيس عبوسها وغضبها باحمرار عيونها :

مغرّثة زرقاً كأن عيونها من الذمر والايحاء نوّار عضرس [٣]

فيشـــتد غضب الكلاب جرّاء إغرائه بها ، وزجره لها حتى انقلبت عيونها حمراء كـــنوّار شـــجرة العضـــرس الأحمر ، أو كأنّ جنيا يركب ظهورها ويحرضها ضد الثور فتجري بسرعة شديدة وراءه :

يقول راكبها الجنيُّ مرتفقاً هذا لكنٌ ولحم الشاة محجورُ [٤]

= همهـــنّ الـــلحاق) ، و ص ٣٦٣ (وهـــنّ منتصـــلات كلّها ثقف ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٤٠ (... كأنهـــا دقـــاق الشـــعيل ...) ، وديـــوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (... غضف مخرجة مثل القـــداح ...) ، وقصـــائد جاهـــلية نـــادرة ، ص ٨٨ (... مـــثل القداح ...) (زهير بن مسعود الضبيّ) و ص ٩٣ طويت فانطوت كأنها ضمرأ يعاسيب) لزهير أيضاً .

[١] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٦ (فصبحته كلاب شدّها خطف ...) ، وديوان بشر بن أبي خـــازم ، ص ٥٦ ، (... وللمرافق فيما بينها بدد) ، و ص ١٠٣ (وأدركنه يأخذن بالسّاق والنسا ...) ، و ص ١٢١ (إذا قـــلت قـــد أدركـــنه كـــرّ خلفها ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (... طوارد ... همهنّ الـــلحاق) ، و ص ٢٧٩ (فـــي إثـــره غضف ...) ، و ص ٢٩٥ (فأطلق عن مجنوبها فاتبعنه) ، و ص ٣٦٣ (وهـــنّ منتصـــلات كـــلها ثقـــف ...) ، وديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٨ (... ضواريها تخبُّ مع الـــرجال ...) ، و ص ٢٤٠ (عوابـــس كالنشاب ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (حتى إذا لحقت أوائلها ...) زهير بن مسعود الضبيّ .

[٢] يـــنظر : ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ١٠٣ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٩ ، وديوان بشر بن أبي خـــازم ، ص ٨٤ (... كوالـــح ...) ، وديـــوان لـــبيد بن ربيعة ، ص ٢٤ ، (عوابس كالنشاب ...) ، وديـــوان الأســـود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ ، (... على أرزاقها عبس) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ ، (... مثل القداح كوالح عبس) زهير بن مسعود الضبي .

[٣] ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ١٠٣ . وبهامشـــه معـــاني الكـــلمات : مغرّثة : مجوّعة ، الذمر : زجرها واغراؤها بالصيد ، العضرس : شجر أحمر النوّر .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٩ . وبهامشه : محجور : ممنوع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــثيراً ما تكون الكلاب محزّمة بأطواق من الجلد تلفُّ حول أعناقها [١] ، يقول أوس [٢] :

ينحي الدماء على ترائبها والقدُّ معقودا ومنقضبا

فالدمـــاء تسيل على ترائب الكلاب حيث الطوق المصنوع من الجلد فينعقد لسيلان الدماء عليه وينكمش ، ويشدُّ على رقابها .

رؤوســـها صـــغيرة قليلة اللحم ، وأشداقها واسعة ، وقد أجمل بشر بن أبي خازم صفاتها في قوله [٣] :

ففاجأتـــه ، ولم يرهب فجاءتهـــا غضف نواحل في أعناقها القددُ

معروقة الهام ، في أشداقها سعة وللمرافـــق فيمـــا بينهـــا بددُ

الكلاب والتشبيهات

تمـــثل الكلاب الشخصية الثانية في قصة ثور الوحش ، وقد أولاها الشاعر اهتماماً ليـــس يســـيراً مقارنـــة مـــع الثور ، فأضفى عليها صفات تخدم مواقفه ، وشبهها بأشياء يريدها .

وتحـــدّد التشـــبيهات رؤى الشاعر ومواقفه تجاه الأشياء ، وتكشف عن تصوّراته لهـــا ، فتقرّب لنا ما كان يشعر به حين ذكر ذلك ، وعملية التشبيه ، هي عملية ربط بين الأشياء .

---

[١] يـــنظر ، ديوان أوس بن حجر ، ص ٣ (... القد معقوداً ومنقضبا) ، وديوان بشر بن ابي خازم ، ص ٥٦ (... فـــي أعـــناقها القدد) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ (... غضف مقلّدة ...) ، و ص ٣٦٣ (وذا القلادة محصوفاً ...) .

[٢] ديـــوان أوس بـــن حجر ، ص ٣ . وبهامشه : الترائب : مفردها تريبة ؛ وهي موضع القلادة من العنق ، والقد : السوط الذي قُدَّ من جلد .

[٣] ديـــوان بشـــر بن أبي خازم ، ص ٥٦ . وبهامشه : غضف : المسترخية الآذان ، معروقة الهام : رؤوسها دقيقة قليلة اللحم ، بدد : تباعد ما بين اليدين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد شبه امرؤ القيس احمرار عيون الكلاب بنوّار شجر العضرس الأحمر حين زجرها وأغراها [١] . وشبه النابغة الذبياني أسنانها بالمناشير في قصيدة تنسب لأوس بعض أبياتها حيث ورد عنده التشبيه نفسه ، يقول النابغة [٢] :

من حسّ أطلس تسعى تحته شرع كأنّ أحناكها السفلى مآشيرُ

ويقول أوس [٣] :

يسعى بغضف كأمثال الحصى زمعاً كأنّ أحناكها السفلى مآشيرُ

وقد حدد الشاعران بأنّ أسنان الكلاب السفلى كالمناشير في حدتها وقوتها وفتكها ، لذا قال بشر : (في أشداقها سعة) [٤] .

وتكلّم الشعراء كثيراً عن ضمورها وهزالها ، وهي صفة غالبة على كلاب الصيد ، فشبهوها بالخرق البالية لهزالها (مجوّعات كما تطوى بها الخرقا) [٥] ، وشبهوها بالأوتاد كما ورد في بيت للنابغة : (من حسّ أطلس تسعى تحته شرع ...)[٦] .

وظلّ الشعراء الجاهليون يجسّدون صفة الضمور في كلاب الصيّد فشبهوها بطائر اليعسوب في ضمورها ، قال بشر [٧] :

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ . معاني الكلمات ، الأطلس : الثوب الخلق ، والذئب في لونه غبرة إلى سواد ، القاموس المحيط (طلس) ، والشرع : الأوتاد .

[٣] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٣ . وبهامشه معاني الكلمات : زمعاً : الذي يسير ببطء وتودة ، مآشير : مناشير .

[٤] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٦ .

[٥] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٧ .

[٦] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ .

[٧] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ . وبهامشه معاني الكلمات : اليعسوب : طائر صغير أطول من الجرادة ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل في الضمور ، أو ذكر النحل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو صبية شعث تطيف بشخصه كوالح أمثال اليعاسيب ضمّرُ

وقال زهير بن مسعود الضبيّ [١] :

غضف ضراء طويت فانطوت كأنّها ضمرا يعاسيبُ

ومنهم من شبهها بالخطاطيف ، وهي حديدة حجناء (منحنية) رفيعة في ضمورها ودقّتها :

بأكلبة زرق ضوار كأنها خطاطيف من حول الطريدة تلمع [٢]

وشبهوها بالفتائل الدقيقة أيضاً :

فجال ولم يعكم لغضف كأنها دقاق الشعيل يبتدرن الجعائلا [٣]

وقد وصف الشعراء ضمورها ، واندفاعها نحو الثور ، فشبهوها بالسهام [٤] ، يقول الأعشى [٥] :

وهنّ منتصلات كلها نقف تخالهنّ وقد أرهقن نشّابا

ولعلّ تركيز الشاعر على صفة الضمور في الكلاب يحقق لديه : بأنها جائعة ستستميت في سبيل إمساك الثور ، وبأنها سريعة العدو لن يفوتها الثور ، لذا شبهها بالحديدة الحجناء والخرقة البالية ، والفتائل الدقيقة ، واليعاسيب ، والأوتاد ، وهي أشياء تدلُّ على الضمور والهزال ، وهي – بعضها – تدلّ في الوقت نفسه على السرعة والدقّة ، في إصابة الهدف كالسهم حين ينطلق من قوسه لا يلوى على شيءٍ .

---

[١] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٣ .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٢١ . وبهامشه : الخطاطيف : جمع خطّاف ؛ وهي الحديدة الحجناء .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٠ . وبهامشه معاني الكلمات : يعكم : يرجع ، الشعيل : الفتائل ، الجعائل : ما جعل للكلاب من رزقهن .

[٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ (... وقد أرهقن نشّابا) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٤٠ (... عوابس كالنشاب) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (... مثل القداح ...) وهي قداح الميسر : سهم غير مريّش ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٨ (... مثل القداح ...) زهير بن مسعود الضبيّ .

[٥] ديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ . وبهامشه معاني الكلمات ، منتصلات : مسرعات . نقف : حاذق خفيف فطن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحيـــن وصف الشاعر الجاهلي طرفاً من عراك الثّور مع الكلاب ، شبه الكلاب وهي تلاحق الثور ، فتنهش لحمه بأسنانها الحادة بجماعة النحل :

ولىَ مجدّا وأزمعن اللحاق به كأنهنّ بجنبية الزنانير [١]

وكانت الكلاب عند الأعشى كالنحل أيضاً

وتلته غضف طوارد كالنحل مغاريث همهنّ اللحاق [٢]

وكانت عنده أيضا كالنحل حين أطلقها الفتى البكري وراء الثور :

فأطلق عن مجنوبها فأتبعنه كما هيجّ السامي المعسّل خشرما [٣]

والشـــاعر يتكـــلّم عـــن نهش الكلاب للثور ، وأنها في تلك الحال كجماعة النحل تلســـعه ، فهـــي كثيرة ولا تنفكّ تطارده كمطاردة النحل الذي يتشبث بالطريدة كظلّها فلا تفارقـــه ، وحيـــنها حضها على قتال الثور وهيجها كما يهيّج المشتار النحل فتقاتل بشدة كبيرة ، وهي مجتمعة .

وشـــبه الشـــاعر الجاهـــلي الكـــلاب وهي تنهش الثور ، بصبيان النصارى الذين يتـــبركون بالراهب حين يعود لصومعته ويتمسحون بثوبه ، فيأخذون من خيوطه المباركة ، فيتمزق ثوبه ، والراهب يمثل ثور الوحش ، يقول امرؤ القيس [٤] :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدّسِ

ويقول بشر بن أبي خازم [٥] :

وأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما خرّق الولدان ثوب المقدّسِ

وشبه لبيد الكلاب حين صرعها الثور بأوعية الخمر الجاثمة :

---

[١] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٣ .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢١٣ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٢٩٥ .

[٤] ديوان امرئ القيس ، ص١٠٤ .وبهامشه معاني الكلمات :النسا :عرق في الساق : شبرق: فرّق ومزق .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى انجلت عنه عماية نفره فكأن صرعاها ظروف دنانِ [١]

فكانت الكلاب كتلك الدنان بعد أن طعنها الثور بقرنيه .

تشبيهات الثور قبل معركته مع الكلاب

لقد نوع الشاعر الجاهلي في تشبيهه لثور الوحش ، حين أمضى ليلته الماطرة تحت شجرة الأرطى ، فقد شبه الشاعر الثور حين حفر بأظلافه التراب بأصل الشجرة ، بالرجل المخمّس الذي يحفر التراب فراراً من الحر والعطش ، ليظفر بالرطوبة والبرودة ، بعد أن مرّت عليه أربع أيام لم يسقِ فيها إبله : (... ويثيره ... إثارة نبّات الهواجز مخمس) [٢]، و : (... ويثير التراب ... اثارة معطاش الخليقة مخمس) [٣]، ويريد الشاعر من وراء ذلك – كما يبدو – أن يصوّر لهفة الثور وهو يحفر التراب ، وسرعته في مريه كي يصل التراب البارد الرطب ، فيعود إلى تشبيهه وهو يحرك رأسه وقرنيه بعد أن اجتهد بالحفر وقد علت أصوات أنفاسه بالحدّاد الذي ينفخ على الفحم بصوت عال لأنفاسه القويّة : (... كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما) [٤] ، في حركة تجسد ذلك المشهد كما تخيلها الشاعر في حركة الحدّاد حين يقترب من النّار فينفخ على الفحم ، فيبتعد ، فتظهر هذه الحركة حركة الثور وهو يحفر التراب ، وينظر في شتى الاتجاهات ويستمر الثور بحفر التراب حتى تظهر عروق الشجرة كأنّها سيّور جلد يقدّها الخرّاز فيقشّرها ليعدّها لعمله :

يثير ويبدي عن عروق كأنّها أعنة خرّازٍ تحطُّ وتبشر [٥]

---

[١] ديوان لبيد بن ربيعة : ص ١٤٦ .

[٢] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٢ . وبهامشه معاني الكلمات : نبات الهواجر : يعني رجلاً اشتدّ عليه حرّ الهاجرة فجعل يثير التراب ، والمخمس : الذي ترد ابله الخمس ؛ من أظماء العرب .

[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٣ .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٦ ، وبهامشه : الهبرقي : الحداد .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨٣ . وبهامشه : أعنّة الخرّاز : سيور الجلد ، البشر : القشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبهه بشر بن أبي خازم والرذاذ يسقط عليه وهو منكبّ تحت الغصون ، يعالجها بقرنيه أيضا بالإنسان الذي أصاب الرمد عينه فبات في شكوى دائمة ، يحرك رأسه ويعبث بعينيه :

يجري الرذاذ عليه وهو منكرس كما استكان لشكوى عينه الرمد [١]

فهو يحفر بأظلاف قوية كالأصداف : (برح كأصداف الصناع قرائن) [٢] ، وكالمحار (ورح كالمحار موتدات) [٣].

وترد صورة للثور عند النابغة الذبياني حين شبيه بقاضي النذور :

فبات كأنّه قاضي نذور شرى لله ينتظر الصباحا [٤]

وعند لبيد بن ربيعة في التشبيه نفسه :

فبات كأنّه قاضي نذور يلوذ بغرقد خضل وضال [٥]

ويورد الشعراء الجاهليون مشاهد أخرى للثور وهو يحفر التراب وقد كبا على ركبتيه وأبقى قوائمه الخلفية قائمة تحت الأغصان ، فيحركها محاولاً التخلص من البرد والأمطار ، فيشبهه بالصيقل الذي يشحذ السيوف فيكب على جلائها ، يقول الأعشى[٦]:

منكرساً تحت الغصون كما أحنى على شماله الصيقل

ويقول لبيد [٧]:

إذا وكف الغصون على قراه أدار الروق حالاً بعد حال

جنوح الهالكي على يديه مكباً يجتلي نقب النصال

---

[١] المصدر السابق ، ص ٥٦ . وبهامشه : الانكراس : الانكباب .

[٢] المصدر ذاته ، ص ١٠٢ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص٢١٥ .

[٥] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٧ .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ . وبهامشه : الصيقل : الذي يشحذ السيوف .

[٧] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص(٧٧ – ٧٨). وبهامشه : وكف : قطر ، القرا : الظهر ، الروق : القرن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصـــيقل حينما يشحذ السيوف وينظفها ، يضع الشمال من رجليه تحته ، ويبقي الأخـــرى نصف واقفة ، فيكبُّ على تنظيفها من الصدأ حتى تبدو لامعة ، وعمل الصيقل يـــنطوي عـــلى مشقة ، وخطورة كبيرة بين إحماء السيوف على النار ، وطرقها بمطرقة ثقيـــلة ، وصـــعوبة هذا العمل والحركات التي يقوم بها الصيّقل من الطرق ، والارتفاع والانخفـــاض ، والمعالجـــة ، والجلسة هي ما حدا بالشاعر إلى أن يشبه الثور في حالته تلك بالصيقل .

وكذلـــك شـــبهه الشعراء وهو مطروح على خدّة وجنبه وقد كوّر جسمه من البرد والأمطار بالأسير المنقبض على نفسه ، قال امرؤ القيس [١] :

فبات على خدٍّ أحم ومنكب وضجعته مثل الأسير المكردس

وقال بشر بن أبي الخازم [٢] :

وبات على خدّ أحم ومنكب ودائرة مثل الأسير المكردس

ويـــبدو واضـــحاً أن الشاعرين أرادا أن يصوّرا هيئة الثور ورقدته ، وهو متجمّع عـــلى نفسه في الليل ، تجأر في وجهه الريح ، وتضرب متنه الأمطار ، تفتك به الوحدة – يصـــورانه بصـــورة ذلـــك الأسير ، ولكن لماذا الأسير بالذات ؟ ويبدو أن الشاعرين أرادا – إضـــافة لمـــا سبق – أن يبينا حالة الثور النفسية ، وأنه ذليل أفقده الليل والمطر حريـــته ، المرهونة بطلوع الشمس ، وليست هناك صورة أو مشهد يصوّر الذلّ والمهانة والحزن كما يصورها منظر الأسير المكبّل المطروح على جنبه ، لا يستطيع القيام .

وكـــان كالـــرجل العـــريان الذي ينزل إلى البئر إذا قلّ ماؤها فيغرف منها ليملأ الـــدلاء ، فيبـــلل بالمـــاء جسمه كلّه ، كان الثور كذلك المائح ، حين كاد أن يغرق لكثرة الأمطار عليه لولا أن طلوع الفجر أنقذه من الغرق ، عند لبيد بن ربيعة حين قال [٣] :

فتدارك الإشراق باقي نفسه متجرداً كالمائح العريان

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص١٠٢.وبهامشه : الأحم : الأسود ، المكردس : المطروح على جنبه المتقبّض .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٣ .

[٣] ديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٤ . وبهامشه : المائح : الذي ينزل إلى البئر إذا قل ماؤه يغرف بيده حتى يمتلئ الدلو ، والماتح : المستقي من البئر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحينما أراد الشعراء تصوير بياضه ولمعانه ، شبهوه بالكوكب ،فقد كان الثور : (... كأنّه في ذراها كوكب يقد) [١] ، في اتقاده ، ولمعانه وبياضه كأنّه كوكب يتوقد نارا ، فيلمع متنه (كالكوكب الدري يشرق متنه) [٢]، فتوضحه البروق وتبين عن ثور كأنّه الكوكب ذي الضوء الثاقب :

تجلو البوارق عن طيّان مضطمر تخاله كوكبا في الأفق ثقّابا [٣]

ويلاحق الشاعر كلّ شيء يخصُّ الثور ، فيتكلم عنه ؛ فلا تغيب عنه صورة حبّات الماء المتجمدة على ظهره ، حينما تنعكس منها أشعة الشمس ، فتنكسر كأنّها الخرز المجليّ حديثا :

لهقاً كأنّ سراته كسيت خرزاً نقاً لم يعد أن قشبا [٤]

أو كأنّها حبّات اللؤلؤ اللامعة المشرقة :

فاضحى وصئبان الصقيع كأنّها جمان بضاحي متنه يتحدّر [٥]

كأنما الماء على متنه لؤلؤ متن جال منقوبُ [٦]

وشبه الشعراء الثور وهو يصيخ أسماعه لنبأة الكلاّب والكلاب كإصاخة من ضلّت له دابّة ، فراح يسأل عنها ، فإذا أجابه أحدهم ، أنصت له بحركاته وأسماعه :

أصاخ للنبأة أسماعه إصاخة الناشد للمنشد [٧]

تشبيهات الثور في معركته مع الكلاب

صور الشاعر الجاهلي الثور وهو يقاتل الكلاب في أغلب التشبيهات الملحمية في موقف المدافع عن نفسه ووجوده ، فلا يلجأ إلى القتل إلاّ بعد مهاجمتها له ، فيكرّ عليها

---

[١] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٥٥ .

[٢] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٤ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ . وبهامشه : طيان : جائع .

[٤] ديوان أوس بن حجر ، ص٢ . وبهامشه : اللهق : الأبيض ، السراة : الظهر ، نقاً : خيار الشي ، قشب : جلي .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨٣ .

[٦] قصائد جاهلية نادرة ، ص٩٣ (زهير بن مسعود الضبي)

[٧] ديوان المثقب العبدي ، ص٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، وكـــان الشاعر يشبهه – الثور – كثيرا جدا بالإنسان ، ويشبه دوافعه نحو القتال بدوافع الإنســـان العـــربي الجاهلي ، دوافع تحمل طابع الحياة العربية الجاهلية بعاداتها وتقاليدها وممارساتها .

ونـــلحظ ذلك عندما نستعرض تشبيهات الشاعر للثور في موقف الكرّ على الكلاب ، فقد شبه الثور حين كرّ على الكلاب ، بالمدافع عن عرضه لمّا رأى خطرا يحيق به ، قال النابغة [١]:

فكرّ محميّة من أن يفرّ كما كرّ المحامي حفاظاً خشية العار

وقال أيضا [٢]:

كرور الباسل البطل المحامي على عوراته كره انفضاحا

ولـــم يكـــن الـــنابغة يريد في هذين التشبيهين – تشبيه كرّ الثور بكرّ ذلك الفارس الشـــجاع الـــذي تكره الأبطال لقاءه فحسب ، بل أراد أن يجسد نوعيّة ذلك الكرّ وسببه ، وهـــو مـــا وضـــحه في الشطر الثاني من كلا البيتين ، والعربي لم يكن شيء يعنيه في حياتـــه كعنايـــته بعرضـــه وحرصه على شرفه من أن يُمس أو يخدش ، حتى بالكلام ، والتشـــبيه – فـــي هذيـــن البيتين – يسعى إلى تصوير الشراسة التي أصابت الثور ، في إقـــباله عـــلى قـــتال الكـــلاب بكل ما أُوتي من قوّة وعزيمة ، دافعه في مناجزتهم كدافع العـــربي الذي يدافع عن عرضه خوفاً من العار ؛ الذي يشكل أعمق مقتل له ، فلا يتمنى الحياة إذا تحقق ذلك .

ويجـــول الـــثور بيـــن كـــرٍّ وفـــر ، كأنّه الرجل الذي يحافظ على نفسه فيتراجع مستجمعاً قوته تأهباً للقتال :

فجال ولم يجل جنباً ولكن تعرّض ذي الحفيظة للقتال [٣]

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، ص٢٠٣ .

[٢] المصدر ذاته ، ص ٢١٦ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــو بذلك يعرف أصول المعركة ، من كرٍّ وفر ، ينهك العدوّ بها ، ويجمع قوته وبســـالته ، حـــتى إذا غضـــب ، ولم يعد يحتمل طغيان الكلاب وعدوانها ، لم يعد يبالي بنفسه فيكرُّ عليها كما يكرُّ الشجاع القوي ، الذي لا يقبل الذلّ على نفسه :

بلغت حفيظته فكر كما كرّ الحمي الأنف ذوالبأس [١]

ويدافـــع الكـــلاب بـــروقه ، فكأنّه محارب يحمي ظهور أصحابه ، حين انكسفت للأعداء :

فحمى مقاتله وذاد بروقه حمي المحارب عورة الصحبان [٢]

مصـــوراً قـــتاله أكثر من محارب في الوقت نفسه ، حامياً أصحابه من غدرهم ، وهـــو ما يبيّن كثرة الكلاب وإحاطتها به ، وحركته الدائبة السريعة في مكافحتها ، ويعود مـــرّة أخـــرى لقـــلب هـــذا التشبيه ، فيكون هو في الموقف الذي كان فيه أصحابه ، فقد انكشفت عورته ، ولم يكن هناك من يحمي لحمه :

قتال كميٌّ غاب أنصار ظهره ولاقى الوجوه المنكرات البواسلا [٣]

فهـــو كالمحارب الذي لم يكن من يحمي ظهره ، وأمامه أبطال أشدّاء يكره لقاءهم فـــي المعـــارك ، والثور كهذا المحارب : يحيط به العدوّ من كل الجوانب والجهات ، أما الكـــلاب فهـــي قـــبيحة الشكل ، كره الثور لقاءها ، ولم يكن معه أصحاب يدافعون عن ظهـــره (كسيف الصيقل الفرد) [٤] ، والشاعر أراد تصوير استبسال الثور في الدفاع ، ودحـــرهِ الجميع ، فصوّر سرعته في الطعن رغم صعوبة الموقف ، فكان يقاتل لا يلوي على شيء ، وكأنّه موقن أنه سيموت ،ولكن قبل ذلك ، سيفتك بالجميع، فيهزم الكلاب .

وحينما أزعجته بتتبعها له ، كرّ عليها كالشجاع السريع النجدة لمن يطلبها منه :

فأزعجته فأجلى ثم كر لها حامي الحقيقة يحمي لحمه نجد [٥]

---

[١] قصائد جاهلية نادرة ، ص٨٩ (زهير بن مسعود الضبي) .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٤٥ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٢٤٠ .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالـرمحين طاحـا) [١] ، ليدلـل بهـذا التشبيه على طول قرني ، الثور واستقامتهما ، وقوتهمـا ، وقتـلهما لمـن يهاجمهما ، وشبه الشاعر الجاهلي الثور وهو يلوّح بقرنيه ، ببشـير السـفينة الذي يقذف إليهم الرماح – قرنيه – ويدلل لنا البشير عمّا يعتري الثور مـن الحـركة التلقائية بقرنيه وأظلافه ، والبشير يلوح في جميع الاتجاهات بيديه محاولا أن يعـبر للـبعيدين عن السمع بالإشارة السريعة ، فيمدُّ يديه ملوّحاً لمن على الشاطئ ، فيقذف بالرماح معلناً وصولها .

وظل كأنّه بجماد واف بشير سفينة يهدي رماحا[٢]

وكان القرنان أسودين كخصلة الشعر : (... بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما) [٣].

تشبيهات الثور بعد معركته مع الكلاب

ينتصـر الـثور على الكلاب في معركته معها ، ويورد الشاعر تشبيهات تصوّر هيـئة الثور ، وسعادته ، وحالته النفسية ونشاطه وقوته ، فقد شبهه الشعراء بعد انتصاره عـلى الكـلاب ، ويأسها من مطاردته ، بفحل الإبل النشيط الحاد الذي لم يُركب ، وكف عن ضراب الإبل ، يقول امرؤ القيس [٤]:

وغورّن في ظلّ الغضى وتركنه كقرم الهجان الفادر المتشمّس

ويشـبهونه بالفـارس الشـجاع ، الـذي قدّمـه الملك على القوم لفروسيته ، بعد انتصـاره عـلى الكلاب وما أصابه من سعادة وكبر قد يصل به إلى الغرور وقد أسرع يباري ظلّه :

---

[١] المصدر ذاته ، ص ٢١٦ .

[٢] المصدر ذاته ، ص ٢١٦ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ .

[٤] ديـوان امـرئ القيـس ، ص ١٠٤ ، ويـنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٨٠ (فتركنه خضل الجـبين كأنـه قرم به البكارة مصعب) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٠٤ (يقوم إذا أوفى على رأس هضبة قيام الفنيق الجافر المتشمّس)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم استمر يباري ظلّه جذلاً كأنّه مرزبان فاز محبور [١]

وشبه الثور حين ابتعد عن الكلاب بعد معركة ضارية ، فغادرها منهوك القوى مغبرا ، علقت به بقايا القش والشعير ، بالمنيح من قداح الميسر ، الذي عاد بلا غرم أو غنم :

وأضحى لاصقاً بالصلب منه ثمائله كما قفل المنيح [٢]

وشبه الشاعر الثور بالفرس ، التي تراهن عليها القوم في سباق للخيول ، في شدة سرعته حين تفرجت عنه كربات القتال :

وأصبح ينفض الغمرات عنه كما مرّ المراهن ذو الجلال [٣]

وحين عدا الثور عدواً سريعاً معبراً عن انتصاره وفرحته وشقه طريقاً وسط الأشجار بيديه ،كان كأنّه مقامر يبحث عما خبأه الآخرون ، فحفر الرمال وأثارها بأظلافه القوية :

تشق خمائل الدهنا يداه كما لعب المقامر بالفيال [٤]

وشبهه بالسيف المشرع في بياضه ومضائه وهو منقض بسرعة شديدة : (حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً) [٥] .

ويشبه الشاعر انقضاض الثور بانقضاض الكوكب : (وانقض كالكوكب الدري منصلتا) [٦]، (وانقض كالدرّيء) [٧] ، في تصوير انقضاضته السريعة بعد المعركة ، فيبدو بلونه الأبيض البرّاق كوكباً يخترق الأفق ، فيمضي بسرعة عالية .

وحين شبه أوس الثور باللهب :

---

[١] ديوان أوس بن حجر ، ص ٤٣ .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٣ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٩ .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٨٠ .

[٥] ديوان النابغة الذبياني ، ص٦٦ ، وينظر : المصدر ذاته ، ص ١٧ (... كسيف الصيقل الفرد) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٣ (كنصل السيف جرّده المنح) ، ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٠ (... كنصل السيف حودث بالصقال) .

[٦] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٤ .

[٧] ديوان أوس بن حجر ، ص٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخفى أحيانا يلوح كما رفع المنير بكفه لهبا [١]

اراد أن يظهـر لنا أن الثور كان كاللهب الذي يرفعه أحدهم لينير للآخرين ، بينما تضـربه الرياح من جميع الاتجاهات ، فيخفى أحيانا ويصغر ، ويكبر فيظهر تبعا للجهة الـتي يكـون فيها الناظر ، وهو حال الثور إذا ارتقى مرتفعا ظهر كضوء اللهب ، وإذا هبط منخفضا استتر فلم يظهر .

ولـندقّق الـنظر في بعض نماذج تشبيهات النّاقة بثور الوحش ، والتي سننفذ من خلالها إلى رؤية شاملة حول قصّة تلك التشبيهات .

يقول النابغة الذبياني في تشبيهه ناقته بثور الوحش [٢] :

كأنما الرحل منها فوق ذي جدد ذبٌ الرّياد إلى الأشباح نظـّار

مطـرد أفردت عنـه حلائلـه من وحش وجرة أو من وحش ذي قار

مجرّس وحد جأب أطـاع لـه نبات غيث من الوسـميّ مبكار

سراتـه ما خلا لباتـه لهـق وفي القوائم مثل الوشم بالقـار

باتت له ليلة شهبـاء تسفعـه بحاصـب ذات شفّان وأمطـار

وبات ضيفاً لأرطـاة وألجـأه مع الظلام إليهـا وابل سـاري

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته وأسفر الصبح عنـه أيّ إسفـار

أهوى له قانص يسعى بأكلبـه عاري الأشاجع من قنّاص أنمار

محالف الصيد تبـّاع له لحـم ما إن عليه ثيـاب غير أطمـار

---

[١] المصدر ذاته ، ص٤ .

[٢] يـنظر : أبـو زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، تحقيق وضبط وشرح ، علي محمـد الـبجّاوي ، ط ١ ، دار مصـر للطـبع والنشر ، الفجالة - القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٣. وفي الهـامش معـاني الكلمات : الجدد : الخطوط البيض والصفر ، ذبّ الرّياد : يجيء ويذهب ، حلائله : إناثه . وجـرة وذي قـار : موضعان . مجرّس : فيّ صوته شحوبه ، الجأب الغليظ ، الوسمي : أول المطر ، السراة : الظهـر ، الـلهق : الأبيـض ، القار : صبغ أسود ، تسفعه : تضربه ، الحاصب الريح التي فيها الحصباء والصـغار ، شـفان : ريح باردة ، الأرطاة : شجر من نبت الرمل ، وابل : كثير المطر ، الأشاجع : عروق ظاهـر الكـف ، تبّاع : كـثّاب ، أطمار : أخلاق ، براها : أضرّ بها ، الطاوي : الجائع ، الغضف : الكلاب المسـترخية الأذان ، أشـلى : أغرى كلابه ، الضاري ، المعتاد للصيد ، الروق : القرن ، المشاعب : النجّار ، أقصـده : قـتله ، ذات ثغـر : طعـنة عظيمـة ، نعّار : طعنة تنعر بالدم ، الباسل : الشجاع ، الأسوار : الفارس من الأساورة من الفرس ، اللبانة : الحاجة ، الانصلات : استرسال النجم .

٥٤٥٤٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسعى بغضف براها فهي طاوية ... طول ارتحال بها منه وتسيار
حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه ... أثلى وأرسل غضفاً كلها ضاري
فكرّ محميّة من أن يفرّ كما ... كرّ المحامي حفاظا خشية العار
فشكّ بالروق منها صدر أولها ... شكّ المشاعب أعشارا بأعشار
ثم انثنى بعد للثاني فأقصده ... بذات ثغر بعيد القعر نعّار
وأثبت الثالث الباقي بنافذة ... من باسلٍ عالم بالطعن كرّار
وظلّ في سبعة منها لحقن به ... يكرُّ بالروق فيها كرّ إسوار
حتى إذا ما قضى منها لبانته ... وعاد فيها بإقبال وإدبار
انقضّ كالكوكب الدري منصلتاً ... يهوي ويخلط تقريباً بإحضار
فذاك شبه قلوصي إذ أضرّ بها ... طول السُرى وهجير بعد إبكار

يقول النابغة : بأنّه حين كان راكباً على ناقته ، ونتيجة لسرعتها وقوّتها ، وصلابتها وشدّتها ، تخيّل بأن الرحل فوقها ، كأنّه على ثور وحشي فيه خطوط سوداء ، ثم يمضي في بيان صفة هذا الثور ، فهو كثير المجيء والذهاب ، كثير النظرات إلى ما يشكّ فيه .

وهو ثور مطرود من القطيع ، وأبعدت حلائله عنه ، وهو إمّا من وحوش (وجرة) أو من (ذي قار) وهما مكانان يكثر الشعراء من نسبة الوحش إليهما ، في صوت هذا الثور بحّة ، وهو وحيد ، غليظ ، كبير الجسم ، لأنّه كان في مكان خصيب ، فقد أكل النبات الذي نبت بعد المطر الذي نزل مبكراً ، وهو أبيض اللون ، في قوائمه سواد كأنّه الوشم بمادّة القار ، ثم ينتقل النابغة من وصفه جسدياً إلى قصّ قصته .

يقول النابغة بأنّ هذا الثور أمضى ليلته بتعاسة شديدة ، تضربه الأمطار المحمّلة بالحصى والتراب ، وتعصف به الريح الباردة ، حتى التجأ إلى شجرة الأرطاة فراراً من الظلام ، والأمطار الغزيرة .

بقي الثور على تلك الحال ، حتى انجلت الظلماء ، وأشرقت الشمس ، فإذا بقانص من أنمار ظهرت عظام يديه ، يشلي كلابه نحو الثور ، وهو قانص ماهر يحالفه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجـتهد الثور في جريه ، وتجتهد الكلاب في طلبه ، حتى إذا لحقت الكلاب به ، وقـد أصـابه الإجهـاد والإعياء ، وقد أصابها ما أصابه ، ثبت لها ، ورأى أنّه ما من القـتال مفـرٌّ ، فكرّ عليها بقرنه الذي يشبه الحربة ، ليحمي مقاتله من أنيابها ، فيصيب مـنها مقاتـلها ، وينهي الأعشى قصّة هذا التشبيه منتقلا إلى موضوع آخر ليس له صلة مع هذه القصة .

يظهـر الـثور فـي هذه القصة – بوجه عام – في صراع مستمر مع نفسه ومع الطـبيعة ، ومع الإنسان والحيوان على حدٍّ سواء ، بل إنّ هذا الصراع ناشئٌ في الأصل من أجل الحياة والبقاء ، وهو الشيء الذي يتكرر في قصة الثور عند أغلب الشعراء .

إن أوّل مـا يُظهـر الصـراع ، ويذكيـه ، ويلهبه ، في نفس الثور أولاً ، تتابع الأحـداث الـتي أجبرت الثور على التصرف وفق جريانها ؛ فنبذه القطيع فأصبح وحيداً لارفاق له ولا حلائل ، كما قال النابغة الذبياني [١] :

مطرّد أفردت عنه حلائله من وحش وجرة أومن وحش ذي قار

أو أنه أضل صواره ، كما يقول لبيد بن ربيعة [٢] :

أضلّ صواره وتضيفته نطوف أمرها بيد الشمال

فيشـعر الـثور نـتيجة لذلك بالغربة التي تظهر في توجّسه ، وشكه ، وترقبه ، وتسمعه وتلفته في الاتجاهات جميعاً ، كما وصفه أمرؤ القيس :

كأنّي ورحلي فوق أحقب قارحٍ بشربة أو طاو بعرنان موجس [٣]

فيظهر خوف الثور من المجهول حين يقبل الظلام عليه .

ولكـن الثور لا يستسلم لتلك الأشياء ، ولا يكون أمامه إلا الصبرعليها ، ومحاولة مقاومتها ودفعها عن نفسه ، ولكنّ الظلام يقبل عليه ، ويلفّه ، فيكون آنذاك ضـحيّة لمخاوفه ، كيف يقاوم ذلك ؟ ، ولا يعطيه الشاعر فرصة للخلاص ، بل يزيد من قسـوة الظـروف والطبيعة عليه ، فتضربه الأمطار ، وتعصف به الريح القويّة المحملة

---

[١] جمهرة أشعار العرب ، ج١ ، ص ٢٢٨ .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٧ .

[٣] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالتراب والحصى ، فكيف يقاوم ؟ ، يجيب الشاعر عن هذا التساؤل حين يظهر الثور في القصة وهو يلتجئ إلى الأرطاة كي تحميه من البرد ، فإن لم يجد لاذ إلى كثيب من الرمال ، فيبقى في سوء الحال تلك طوال ليلته ، يقاسي بردها ، ويحفر في الرمال كي يسوّي له مكاناً يبيت فيه ، ولكن هيهات ، فكلما سوّى الرمال إنهالت ، لأنها غير متماسكة ومبللة ، فيبدو الثور وهو يحفر التراب الذي سرعان ما ينهال ، وكأنه يمارس لعبة تعينه على قضاء هذا الليل الطويل ، فهي تسرّي عنه ، وتنسيه ما مرّ به ، فيزداد شوقه إلى الصباح حتى يصبح من أمانيه ، كما في قول بشر بن أبي خازم [١] :

فبات يقول أصبح ليل حتى تجلى عن صريمته الظلام

وكما في قول الأعشى [٢] :

بات يقول بالكثيب من الغـ ـبية أصبح ليل لو يفعل

تنتهي بذلك محنته الأولى ، وصراعه مع الظروف ، وقسوة الطبيعة ، فلم يبق من ليلته تلك سوى حبّات من الجليد أو الماء على متنه ينفضها في الصباح كما يقول بشر بن أبي خازم مصوراً المشهد برمته [٣] :

فباتت عليه ليلة رجبيّة تكفئه ريح خريق وتمطر
وبات مكبّا يتّقيها بروقه وأرطاة حقف خانها النبت يحفر
يثير ويبدي عن عروق كأنها أعنّة خرّاز تحطُّ وتبشر
يتحدّر فأضحى وصنبان الصقيع كأنها جمان بضاحي متنه يتحدّر

ولا يترك الشاعر ثور الوحش عند هذا الحد من المعاناة ، بل إنّها لم تبدأ بعد ، فيشعر الثور مع أوّل الضوء بصوت خفي تعوّد سماعه ، إنّه القانص ، وإنها الكلاب ، كما يقول بشر أيضاً [٤] :

---

[١] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٠٥ .
[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ .
[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٢ – ٨٣ . وبهامشه : تكفئه : تضربه فتميله ، الخريق : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
[٤] المصدر السابق ، ص ٨٣ – ٨٤ . وبهامشه : النبأة : الصوت الخفي ، تحسر : تنسحب وتذهب ، تماري بها : شك بها ، رأد الضحى : ارتفاعه ، حرتاه : أثناه ، الوجر : الخوف ، الأزل : السريع الخفيف ، السرحان : الذئب ، القصيمة : ما سهل من الأرض وكثر شجره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأدّى إليه مطلـــع الشمـــس نبأةً وقد جعلت عنه الصبابة تحسر
تمارى بها رأد الضحى ثم ردّها إلى حرّيته حافظ السمع مبصر
فجـــال ولمّـــا يستبـــن وفـــؤاده بريبته ممـــا توجّـــس أوجـــر
فباكـــره عند الشـــروق مكلّـــب أزلّ كسرحان القصيمة أغبـــر

إنّهـــا الخطر الذي لابدّ من مواجهته بالسلاح ، وليس الاستكانة له – كما استكان للأمطـــار والرياح – ستنجيه ، إذ أنه إذا لم يواجهه بعنف سيسقط صريع جبنه ، فينشب الصـــراع أولاً فـــي نفس الثور ،الذي يتبدّى له أولاً أن الخلاص من هذا الخطر يجب أن يكون بالابتعاد عنه ، فيجري بسرعة هائلة ، كما يقول امرؤ القيس[١] :

فأدبر يكسوها الرّغام كأنّه على الصمد والآكام جذوة مقبس

أو كقول الأعشى [٢] :

هجن به فانصاع منصلتاً كالنجم يختار الكثيب أبل

ولكـــن هيهـــات ، فالقانصون يغرون الكلاب به ، ويطلقونها وراءه ، فتلحق به ، فـــلما يـــرَ أنـــه مـــا من القتال بدٌّ يعود إليها ، فيثبت لها في مكانه ، فيشتد الصراع بين الكـــلاب والـــثور حتى يبلغ ذروته ، فيطعن أوّل الواصلين منها ، فيرديه قتيلاً ثم ينثني للـــثاني فيقتله ، حتى يجهز على الثالث ، فيكرُّ على بقية الكلاب ، فيبتزّها حتوفها ، كما ورد عـــند الـــنابغة والأعشى ، وكما يرد في تشبيهات غيرهم ، كما في قول الأسود بن يعفر [٣] :

فكرَّ يحمي بروقيـــه حقيقتـــه بّه عليهن إذ أدركنـــه شمـــس
ما إن قليلاً تجلّى النقع عن سند وزارع غير ما إن صاد منبجس

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ . وبهامشه : الأبل : الألد الممتنع .

[٣] ديـــوان الأســـود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ . معاني الكلمات : النقع : الغبار ، مختار الصحاح (ن ق ع) ، وشمس: صعب الخلف، مختار الصحاح(ش م س) ، بجسّ : فجرّه فانفجر ، مختار الصحاح (ب ج س) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن دفاق تحيت الجنب نافذة حمراء يخرج من حافاتها النفس

وكما في قول زهير بن أبي سلمى [١] :

كرّ ففرّج أولاها بنافذة نجلاء تتبع روقية دما دفقا

فيترك الكلاب بين قتيل ، وجريح ، ومهزوم ، كما يقول النابغة الذبياني [٢] :

فغادرهنّ منعفرا زهيقا وآخر مثبتا يشكو الجراحا

وكما يقول أوس بن حجر [٣] :

فنحا بشرته لسابقها حتى إذا ما روقه اختصبا

كرهت ضواريها اللحاق به متباعدا منها ومقتربا

وينتهي بذلك صراع الثور في هذه القصّة ، بسعادة غامرة تصيبه ، بعد أن انتصر على الظروف ، بصبره ، ومعاناته القاسية ، وانتصر على الكلاب والصائد ، بدفاعه المستميت عن نفسه بقتله الكلاب وهزيمتها ، فينقضُّ مسرعاً معجباً ببطولته ومختالاً بمشيته ، فقد تملّكه الشعور بالعظمة بعد الانتصار ، كما يقول أوس بن حجر أيضاً [٤] :

ثم استمر يباري ظله جذلاً كأنّه مرزبان فاز محبور

وكما يقول لبيد بن ربيعة [٥] :

فاجتاز منقطع الكثيب كأنّه نصع جلته الشمس بعد صوان

يمتلّ موفوراً ويمشي جانباً ربذاً يسلّي حاجة الخشيان

ولعله من الواضح أن الثور لم يكن له حرية الاختيار في قصته هذه عند جميع الشعراء ، فقد تحكّمت الأحداث في تصرّفاته وفق جريانها وسريانها ؛ فنبذُ القطيع له ، أو إضاعته له ، فرضت عليه الوحدة ، كما جعلته متوجّساً كثير الشكّ في نظراته ،

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٨ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢١٦ .

[٣] ديوان أوس بن حجر ، ص ٣ . وبهامشه : الشّرة : النشاط الشديد .

[٤] المصدر السابق ، ص ٤٣ . وبهامشه : المرزبان : الفارس المقدّم على القوم دون الملك .

[٥] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٦ . وبهامشه : النصع : الثوب الأبيض ، صوان : يصان ، يمتل : يعدو ، ربذ : سريع ، الخشيان : الخائف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسمّعه للأصوات وخوفه منها ، ومن الظلام والأمطار ، كل ذلك أجبره على اللجوء إلى الأرطاة والرّمال ، كما أجبره البرد الشديد على أن يحفر له كناسا يبيت فيه ، وأن تيدّم الرمال هو ما أجبره أيضاً على أن يبقى مستمرا في الحفر حتى الصباح ، وقسوة تلك الظروف مجتمعة ، هي ما جعلته يتمنّى الفجر رغم كلّ مخاطره .

إذن ، كانت الأحداث تسّير الثور وفقا لتتابعها وتدافعها ، بل إنّها كانت تتحكم بحركة الثور داخل القصّة تحكماً يكاد يكون متوافقا ومتشابهاً عند أغلب الشعراء ، فيكون ردّ الثور على الأحداث ، إمّا بالصبر عليها ، أو مقاومتها ومجابهتها ، فلم يكن الثور من يصنع الأحداث في هذه القصة ، بل كانت الأحداث تصنعه وفق تواليها ، فما إن يعنّ له القانص والكلاب حتى يكون لزاماً عليه – في البداية – أن يفرّ منها ، فلمّا تلحق به لا يجد مناصاً من القتال ، فتشتدّ الأحداث وتتأزّم في بؤرة ذلك القتال المرير بين كلاب متعوّدة على الصيد ، مجوّعة تريد الفتك به حتى لو ماتت ، يزيد في توحّشها إغراءات الصائد ، وحضّه إيّاها على القتال ، وبين ثور متماسك أمضى ليلةً مريرةً من المعاناة القاسية ، حتى تمنّى أن يطلع الفجر عليه بأيّ ثمن ؛ ذلك الثور القوي الغليظ ذو القرنين الطويلين القويين ، ولكنّ موقف كل منهما يختلف عن الآخر ، فالثور يدافع عن لحمه وحياته ، والكلاب تهجم ملبيّةً نداء غيرها وإغراءاتها بالثور .

من هنا ، فإن تتابع الأحداث ذاك ، أخرج الثور بطلاً لهذه القصة بعد صراع مرير ، شمل صراعه النفسي مع ذاته وهواجسه ، وشمل صراعه مع العالم الخارجي بما فيه من إنسان وحيوان .

ولكن ، لماذا أطال الشاعر في صورة المشبّه به (الثور) ، ونسي المشبه (الناقة) ، حتى قصّ قصّة الثور إلى نهايتها مفصّلاً فيها بعض التفصيل ؟ ولماذا ارتبطت صورة الثور مع الناقة ؛ حتى أصبح ذلك منهج الشعراء جميعاً ؟ ولماذا تكررت تلك التشبيهات عند كثير من الشعراء بشكل يكاد يكون متطابقاً ؟

وإذا أُريد الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ، فلا بدّ أن ذلك سيأخذ في إطالة البحث كثيراً ، بالرّغم من أن كلّ ما يقال ،ما هو إلا محض تفسيرات تختلف باختلاف وجهات النظر إليها ، وقد يكون التفسير قريباً من الصواب أو بعيداً عنه ، ولا بأس من إلقاء نظرة عجلى على بعضها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـرى بعـض الدارسـين [١] : أنّ الشّاعر لم يكن يسعى – من وراء الإطالة في صـورة المشـبه به – إلى توضيح صورة المشبه على الإطلاق ، بل كان التشبيه وسيلة أو حيـلة ، يتخـلص الشاعر بها ، وينفذ من خلالها إلى مواضيع أخرى ، ويقولون بأنّ إطالـة التفصـيل في المشبه به تؤيّد ذلك وتؤكده ، وهم بذلك ينفون أيّ علاقة بين الثور والـنّاقة ، ومـا التشـبيه إلا للانتقال إلى الحديث عن الثور ، إذ لو كان غرض الشاعر توضـيح صـفات المشبّه وأبرازها لما استطرد الشاعر فقصّ قصّة كاملة ليس لها علاقة بالمشـبّه ، فكان المشبّه به (الثور) – عند أولئك الباحثين – مقصوداً لذاته عند الشعراء الجاهـليّين ، الذيـن كان دافعهم إلى التشبيه نابعاً من إعجابهم بصورة المشبّه به – وهو الثور .

ولا يـنكر بعـض الباحثين [٢] العلاقة بين الشاعر والناقة ، وبين الناقة والثور ، ولكـنّهم يرون بأنّ الشاعر في هذه القصّة ، كان يتحدث عن نفسه في قصّة هذا الثور ؛ فقـد كانت الناقة تمثّل – وفق منظورهم – معادلاً موضوعيّاً للشاعر نفسه ، وكان الثور يمـثّل الـناقة ويخـدم موقفها ، وموقف الشاعر ، فكان الثور معادلاً موضوعياً للشاعر نفسـه ، فكأنّ التشبيه كان بين الشاعر (المشبّه) وبين الثور (المشبه به) ، وما نشوب

---

[١] يـنظر مـثلاً : محمـد النويهي ، الشعر الجاهلي ، ص ٣١٨ ، ويحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، دار الـتربية ، بغـداد ، ١٩٧٢م ، ص ٣٦٦ ، وسـيّد نوفل ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مكتبة الخانجي ، ص ٤٧ ، ومجـلة المجمـع العـلمي العـراقي ، م ٣٣ ، ج ٢ ، ص٢٣٩ ، مقـال بعنوان (عناصر الوحدة الـثقافية فـي الشعر العربي) ، محمود عبد الله الجادر ، وعبد العزيز نبوي ، دراسات في الأدب الجاهلي ، ص ١٥٠ .

[٢] يـنظر مـثلاً : وهب روميّة – الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ص٢٠٤ ، وبـنية القصـيدة العـربيّة ، دار سعد الدين ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ص ١٢٩ ، وشعرنا القديم والنقد الجديـد ، سلسـلة عـالم المعرفة ، عدد رقم (٢٠٧) ، ١٩٩٦م ، ص٣٢٦ ، وأنور أبو سويلم – الإبل في الشـعر الجاهـلي ، ط١ ، دار العـلوم ، الرياض ، ١٩٨٣م ، ص١٧٥ ، و ص١٨٨ ، وريتا عوض – بنية القصـيدة الجاهـلية ، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص٢٩٦ ، وعبد الإله الصائغ – الزمن عند الشـعراء قـبل الإسـلام ، وزارة الـثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦٤-٢٦٥ ، وسعيد الأيوبي – عناصـر الوحـدة والربط في الشعر الجاهلي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٦م ، ص٤٤٢ ، وإبراهيم عبد الرحمن – الشعر الجاهلي ، ط٢ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص٣٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصـــراع بين الثور والطبيعة ، وبين الثور والصائد ، والكلاب ، إلاّ صراع الشاعر ضد الدهـــر ، وضـــدّ الخصوم والأعداء ، وما انتصار الثور على الكلاب إلا انتصار للشاعر عـــلى أعدائه وخصومه ، بعد أن حاول أن يتجنّب العنف والظلم لغيره ، لكنّه حين أجبر عـــلى ذلك ، أظهر مقدرة على المجابهة والانتصار ، مصورين بذلك رحله الحياة نفسها وما فيها من خير وشر .

ويـــبدو أنّ الشـــعراء أنفســـهم كانوا يصرّحون بشيء من ذلك في تلك القصص ؛ فالـــثور مـــتوجّس محمّل بالشكوك والحذر ، خائف من المجهول ، والظلام والأمطار ، يطـــلق الأمنيات ، يفضل الضياء على الظلام ، والاشراق على الغروب ، يشعر بالغربة داخـــل نفسه كما يشعر بها في الخارج ، تماماً كالشاعر الذي يكيد له الأعداء ، ويحاولون الإيقاع به ، في الظلام ، لكنّه يصمد أمام غدرهم ، كالثور تماماً .

وكـــان الشـــاعر يعـــلن ذلـــك أحياناً كثيرة ، وخاصّة في تشبيهات الثور – داخل القصّـــة – كمـــا لاحظنا ، وكان يشبهه – في الغالب – بالإنسان في حركاته وسكناته ، وفـــي مـــا يجـــول بخاطـــره وقلبه ، حتى أنّه كان يتناول الثور – في تلك التشبيهات – مصـــوراً حالـــته النفســـيّة ، ومصـــوراً مشاعر القلق ، والخوف ، والبؤس ، والتردد ، والشـــكوى ، وغيـــرها ممـــا يضـــفي عـــليه صفات إنسانية واضحة ، فكأنّه أسير مقيّد بالسلاســـل ، أو راهـــب متبـــتل إلى الله ، أو رَمِـــدّ استكان لشكوى عينه ، وغيرها من التشبيهات .

وكـــان الشـــاعر حيـــن تحدّث عن معركته مع الكلاب ، كان كأنه يصف معركة إنســـانية محضة ، فقد كانت دوافعه نحو القتال ، وطريقة قتاله ، وما يحركه لخوض هذهِ المعـــركة ، تشـــبه الدوافـــع الـــتي تزجُّ بالعربي في ساحات القتال ، وتشبه طريقته في الاســـتماتة ، والدفاع في سبيل عرضه وشرفه ، وثأره ، كل ذلك بمهارة فائقة في القتال ، فكأنـــه الفارس الماهر ، ويلوح للباحث –من ذلك – أنّ الثور كان يمثّل موقف الشاعر ، بـــل يقـــوم به خير قيام ، وما قصّة الثور إلا قصّة الشاعر في دفاعه عن نفسه ، وعن قبيلـــته ، ضدّ خصومه وخصومها ، مبرزاً قضية في غاية الأهمية ، وهي أن هذا الثور – الشـــاعر – لـــم يكن يمارس العدوان والطغيان على غيره ، وأنه لا يثور لأيّ سبب ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــم يكن في حسبانه ردّ الإساءة ، بل كان يهرب عن الشر والبغي ، يصبر على الإساءة مـــن الجميـــع ، لكـــنّه حين يشعر بتهديد يمسُّ وجوده على هذه الأرض ، فإنّه يقف لهم بالمرصـاد ، فيقتل من اراد قتله ،ويفتك بهم أشدّ الفتك ، فقد أجبر على ذلك رغما عنه .

ويلحظ أنّ الشاعر الجاهلي كان يظهر نوعا من التعاطف مع الصائد والكلاب في تـــلك القصّة ، فكانت صـفات الصائد تحمل السامع إلى التعاطف معه ، فقد كان ضامراً ، نحيـــلاً ، دقيـــق العظام ، فقيراً كثير العيال ، تلومه زوجته إذا لم يعد باللحم ، لم يكن له عمـــل أو مصـــدر رزق غيـــر ما تجلبه الكلاب له ، رثّ الثياب جائعاً عطشاً ، وكانت كلابـــه مجوّعـــة ضامرة ، يحمرُّ الغضب في أحداقها ، ولكنّ ذلك في حقيقة الأمر ليس تعاطفاً مع قضية ذلك الصائد، بل يصب في إبراز وإظهار بطولة الثور وشدّة مقاومته .

وكـــان هـــدف الشاعر من ذلك ، هو تصوير مدى الحرص الذي سينتهجه الصائد فـــي صـــيده للـــثور ، وأنّ الثور للصائد ، يمثّل استمراره في الحياة ، بل هو ما يحتاجه الصـــائد للعيش مع أبنائه ، فكان مقتل الثور حياة للصائد والكلاب ، وهو كالشاعر الذي يشّـــكل مقـــتلهُ حياةً لأعدائه وخصومه ، وحياة الثور فيها مقتل الصائد أو بؤسه وفقره ، تماماً كالشاعر الذي إن بقي حياً سيسكت الخصوم والأعداء .

إذن ، فـــإن شدّة الحرص من الصائد والكلاب على صيد الثور – بحيث يكون لهم بمـــثابة المســـلك الوحيـــد للحياة – سينعكس في تصرّفات الثور الذي كلما اشتد حرصهم عـــلى الـــنيل مـــنه ازداد عنفاً وفتكاً بالكلاب ، فتزداد مقاومته بأقصى طاقة ممكنة له ، فيكون نجاح الشاعر ؛ في تهيئة الظروف الملائمة ، التي تؤلّب الصّراع وتلهبه بين ذلك الصـــائد بصفاته المذكورة تدعمه الكلاب ، وبين الثور المسالم الذي يبتعد عن العدوان ، قاســـى مـــا قاســـى من البرد والأمطار ، وطغيان الصائد والكلاب ، كل ذلك ينفجر في أعماقه ، فيدافع عن نفسه ببسالة وقوّة .

ولكـــن هل كان الربط الذي اتخذه الشاعر بوساطة التشبيه بين الناقة والثور نابعاً مـــن إعجابـــه بثور الوحش وقوته وسرعته ونشاطه ، فرأى فيه مشبهاً به ناجحاً لناقته ، يحقـــق لهـــا مـــا أراد تحقيقـــه بالكلام المباشر عنها في قصّة هذا الثور ؟ يقول نوري حمـــودي القيســـي فـــي الإجابة عن هذا السؤال : (... إذ حاولوا أن يقابلوا بينها وبين الحيوانـــات الأخـــرى القويّـــة والسريعة ، كالثور الوحشي ، والحمار الوحشي ، ليضفوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـليها طـابع الشـدّة ، ويؤكدوا صفة السرعة التي كانوا يسعون إلى تصويرها) [١] ، ولكـن إذا كـان يـريد تصـوير سرعة الثور بما ينعكس في سرعة ناقته ، لماذا تكون الكـلاب أسـرع منه حين تلحق به ، فتجبره على القتال . إذن لم يكن الشاعر يسعى من وراء ذلـك تصوير السرعة فقط ، فلم تكن شغله الشاغل داخل القصّة ، بل إنّها تأتي في موقفيـن للـثور ، الأول منهما حين يشعر بالصائد والكلاب ، والثاني حين ينتصر على الكـلاب ، فمـا الهدف من ايراد بقيّة القصّة – وفق هذه النظرة – هل كانت دافعاً للثور كـي يسرع حين يدهمه خطب ما ، أم إنّها عملية شحن مستمرة للثور تبقيه متيقظاً حذراً ومتوتراً يتوقع حدوث الأخطار في كل وقت ؟ .

أمّـا عـن ورود هذه القصّة في اطار محدّد ضمن تشبيهات النّاقة ، وعن تكرار هـذا التشبيه عند كثير من الشعراء الجاهليين ، فيجب البحث عن الصلة بين النّاقة والثور ، ويـبدو أن الإعجـاب بالـثور لم يكن الدافع الوحيد لتشبيه النّاقة به ، كما لا يمكن أن يكـون التشابه دافعهم أيضاً للتشبيه ، فمن غير المقبول أن يكون جميع الشعراء معجبين بمـنظر الـثور وقوته وسرعته ونشاطه ، وتشابهه مع النّاقة ، ولكن هل كان هذا التشبيه تقـليداً فـنياً مارسه الشعراء في قصائدهم ، التي لا يجب أن تخلو منه ، فكان لزاماً على كـل شاعر أن يتعرض لهذه القصّة ، لأنها أصبحت من آيات تكامل القصيدة الجاهلية ، وضـرورة مـن ضـروراتها ، فكان لا بد أن يثبت مقدرته الفنيّة التي تزيد من فحولته وتفوقه في قول الشعر وإتقانه لهذا الأسلوب .

ونـحى باحثون آخرون منحىً آخر يمثّل نظرة جديدة للشعر الجاهلي ، فقد حاولوا دراسـته وفـق رؤية أسطورية تتصل بالدّين القديم ، فتلمّسوا الومضات الأسطوريّة في هـذا الشعر ، فأزاحوا عنه بعض الغموض الذي يعتريه ، وسيمرُّ الباحث في هذا المنهج مروراً سريعاً ، لأنه يتطلب بحثاً أو بحوثاً منفردة خاصّة به تفيه حقه .

ولعـلّ مـا جعل اولئك الباحثين ينتهجون مثل هذا المنهج ، هو تلك الأسئلة التي ليـس لها جواب شافٍ يزيل غومضها وهي : لماذا أولى الشعراء الثور اهتماماً واسعاً ، وكذلـك الحمـار ، والبقرة ، والظليم ، والقطاة ... وغيرها ؟ ولماذا لا يرد الثور مشبهاً

---

[١] الطـبيعة فـي الشـعر الجاهـلي ، ص ١٠٣ . وينظر للمؤلف ذاته وآخرون – تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام ، ط٢ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م ، ص١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــه إلا للناقة ؟ ولماذا فضّل الشعراء في صورته فقصّوا قصته ؟ بل لماذا تكررت قصّة هـــذا التشـــبيه عـــند كثير من الشعراء ؟ ولماذا كانت القصص – معظمها – متشابهة ، وكـــأن الشعراء يرددون المعاني نفسها ، والصور نفسها ، في قوالب تبدو مختلفة ، لكنها شـــبه متطابقة ، حتى أصبحت القصّة تسير وفق نمطية خاصّة متوحدة ، فما وجه الإبداع إذن في ذلك والشعراء لا يكاد واحد منهم يتميز في قصّته عن الآخرين ؟ !

اتجـــه أغلب اولئك الباحثين ، إلى قصّة الثور ، لأنه يحتفظ بخصوصيّة تميزه عن غيـــره ، وذلك لصلته الوثيقة بالديانات القديمة ، التي كانت سائدة في العصور السابقة ؛ فقـــالوا بـــأنّ هـــذا الاهـــتمام الواسع من الشعراء ، ما هو إلا دليل على القيمة الروحيّة والديـــنية لهذا الثور ، ودليل على قدسيته ، وتأكيد لتأثيره في الأشياء والظروف ؛ إذ من غيـــر المعقول أن يورد الشعراء قصصاً تكاد تكون متطابقة في كثير منها دون أن يكون لذلـــك ســـبب ، وســـبب يلامـــس معتقداً روحياً وعقائدياً كان عند من يسبقهم ، وظهر اهتمامهم – الشعراء – في هذه الصور المتبقية من صور ذلك التقديس في أشعارهم .

وحيـــن يُـــنظر إلى مكانـــة الـــثور عند الشعوب القديمة ، يُلحظ بأنّه احتلّ مكانة عظيمـــة ، فقـــد أحـــاطوه بقدسية كبيرة ظهرت في معظم شؤون حياتهم ، فقد كان الثور (إنـــليل) إله الخصب والقوّة والعواصف عند السومريين ، الذين عبدوا البقرة معه [١] ، وكـــان إلهـــاً يعـــبده الأشوريون [٢] ، وكذلك كان للحثيين إله للمطر والبرق والعواصف الـــرعديّة منذ القرن الرابع قبل الميلاد [٣] ، وكان عنيفاً مخصباً يرمز للقوّة التناسليّة [٤] ، وكـــان العـــبرانيون يرسمون " يهوه " بصورة ثور [٥] ، وكان الثور إلهاً يسمى " بعلاً "

---

[١] عبد الجبّار المطلبي – مواقف في الأدب والنقد ط١ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص٨٠ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٨٦ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ٨٧ .

[٤] جيمـــس فريـــزر – أدونيس ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٠٥ .

[٥] ديتـــلف نيلســـن – الـــتاريخ العـــربي القديـــم ، ترجمة فؤاد حسنين ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ومطبعة لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ٢٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحيـــن يُـــنظر إلى مكانـــة الـــثور عند الشعوب القديمة ، يُلحظ بأنّه احتلّ مكانة عظيمـــة ، فقـــد أحاطوه بقدسية كبيرة ظهرت في معظم شؤون حياتهم ، فقد كان الثور (إنـــليل) إله الخصب والقوّة والعواصف عند السومريين ، الذين عبدوا البقرة معه [١] ، وكـــان إلهـــاً يعـــبده الأشوريون [٢] ، وكذلك كان للحثيين إله للمطر والبرق والعواصف الـــرعديّة منذ القرن الرابع قبل الميلاد [٣] ، وكان عنيفاً مخصباً يرمز للقوّة التناسليّة [٤] ، وكـــان العـــبرانيون يرسمون " يهوه " بصورة ثور [٥] ، وكان الثور إلهاً يسمى " بعلاً " عـــند الســـاميّين الشماليّين ، وكان رمزاً للخصب والمطر [٦] ، تقول الأسطورة بأن بعلاً فـــي – الاعتقاد الكنعاني – حين استقبل الإلهة " عناة " ذبح لها ثوراً ، فازدهرت الطبيعة ، وكثرت النباتات ، والحيوانات [٧] ، وكان بعل إلهاً للخصب عند التدمريين أيضاً [٨] .

وقـــد عبد المصريون الثور رمزاً للخصب [٩] ، أما " إيل " إله الكنعانيين ، فهو يشـــبه ثوراً في قطيع من البقر والعجول [١٠] ، وكان " حاداد " وهو إله الرّعد والخصب والمطـــر على هيئة ثور في سوريا [١١] ، وكان الثموديّون واللحيانيون يرمزون لإلههم "

---

[١] عبد الجبّار المطلبي – مواقف في الأدب والنقد ،ط١ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص٨٠ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٨٦ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ٨٧ .

[٤] جيمـــس فريـــزر – أدونيس ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٠٥ .

[٥] ديتـــلف نيلســـن – الـــتاريخ العـــربي القديـــم ، ترجمة فؤاد حسنين ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ومطبعة لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ٢٣٧ .

[٦] مواقف في الأدب والنقد ، ص ٨٧ .

[٧] خـــزعل الماجدي – ميثولوجيا الاردن القديم ، تقديم زليخة أبو ريشة ، منشورات وزارة السياحة والآثار ، ط ١ ، ص١١٢ ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧ م .

[٨] أنـــور بو سويلم – المطر في الشعر الجاهلي ، ط ١ ، دار عمار ، عمان ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧م ، ص ١٥٧ .

[٩] مواقف في الأدب والنقد ، ص ٩٣ .

[١٠] المرجع ذاته ، ص ٨٩ .

[١١] أدونيس ، ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ود " بالثور [١] ، واتخذ منه العرب الجنوبيّون رمزاً لإلههم القمر ، حين دعي القمر ثوراً أحياناً [٢] . وقد كان السبئيون يقدّمون الثيران قرابين لإلههم " المقة " الذي يرمز للقمر [٣] ، وكان " ذو شرى " إله الأنباط على هيئة ثور [٤] .

هذا هو الثور في معتقدات عددٍ من الشعوب التي سكنت المنطقة العربية منذ أقدم العصور ، إلهٌ مقدّس يرتبط بالمطر والخصب والقوّة ، كان له تأثير كبير في الحضارات تلك ، ونظرتها نحو الحياة والكون ، بكلّ ما أثّر ذلك في الحضارة الإنسانية بشكل عام ، من هنا لاحظ الباحثون في قصّة الثور –عند الشعراء الجاهليين – بقايا ذلك التراث الديني القديم الذي اختفت طقوسه ، ولم يتبق منه إلا إشارات متفرّقة تشير إلى تلك القدسيّة ، التي كان الثور محاطاً بها عند أسلافهم ، وعند من سبقهم من الأمم ، تماماً كما يلحظ في حاضرنا من أشياء مطبوعة عند كثير من الناس ، لا يعلمون مصدرها ، وهي تعود بهم إلى عصور موغلة في القدم ، فليس قولها إيماناً ثابتاً بها بل لأنها أصبحت بمثابة الأشياء البدهية التي لا يسأل عنها .

وتتّضح بعض ملامح ذلك التراث الديني والأسطوريّ في قصّة الثور وعلاقته بأشياء كانت من الأمور المقدّسة عند اولئك الأقوام .

يرتبط ظهور الثور في القصّة بالمطر بشكل واسع ، فلا بدّ للثور – عند أغلب الشعراء الجاهليين – من قضاء ليلته تحت المطر والريح الشديدة والبرد ، ودويّ الرعد ولمعان البرق ، وذلك واضح في أشعارهم ؛ وكأن الشعراء يربطون ما هو معروف عن الثور قديماً بوصفه إله الخصب والمطر والعواصف الرعديّة ... وغيرها ، يربطون بين ظهور الثور ونزول المطر والبرد ولمعان البرق وقصف الرعد في إشارة واضحة منهم إلى تلك الطقوس التي مارسها القدماء قبلهم ، فارتبط – لذلك – ظهور

---

[١] جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٣ .

[٢] نيلسن ديتلف – التاريخ العربي القديم ، ص ٢٠٧ .

[٣] جواد علي – تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٤٣ .

[٤] مواقف في الأدب والنقد ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثور في القصّة بذكر المطر ، لِمَ لا ؟ ! وقد كان من عاداتهم قديماً أن يستسقوا بالبقر ، وفيه ما يدّل على تلك الديانات التي تتصل بعبادة الثور كإله جالب للمطر والسحاب [١] .

وحين ينظر إلى ما ورد من تشبيهات الثور داخل القصة ، يُلحظ بأنّ الشعراء أضفوا عليه هالة من القداسة المحاطة بالتبجيل ، من ذلك مثلاً أنهم شبهوه بقاضي النذور الذي يمضي ليلته بالصلاة حتى الصباح ، يقضي فيها نذراً قطعه على نفسه ، فلا بدّ من قضائه ، كما في قول النابغة [٢] :

فبات كأنّه قاضي نذورٍ ... شرى لله ينتظر الصباحا

وقول لبيد [٣] :

فبات كأنه قاضي نذورٍ ... يلوذ بغرقد خضل وضال

يبين هذان البيتان بأن مبيت الليل مفروض على الثور في هذه القصّة ، فكان كمن عليه نذر يجب أن يقضيه رغماً عنه ولكن ربط الثور في مبيته بصورة من عليه نذر ما ، شيء له علاقة بعادات دينيّة قديمة ما زالت مستمرة إلى أيامنا هذه .

وقد ربط الشعراء في تشبيهاتهم تلك بين الثور والسماء ، فالثور له نظير في السماء [٤] ، وكذلك الصائد والكلاب [٥] ، يقول ابن الصوفي مؤكداً ذلك [٦] :

يتبعه الثور من كواكبه ... كواكب تشرق فوق غاربه

تجعله الروم له سناماً ... والعرب فيه تكثر الكلاما

وقد تسمى العرب النجمين ... المتلاصقين بالكلبين

وهكذا تلمع قصّة الثور في السماء ، فُترى أصداؤها ، وتلمح العلاقة بين ما أورده الشعراء وما يلامس المعتقدات القديمة ، ولكنّ هل كان ذلك مقصوداً لذاته ، أم

---

[١] مواقف في الأدب والنقد ، ص ١٠٧ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢١٥ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٧ .

[٤] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص ١٣٤ .

[٥] باركر – ما وراء المجموعة الشمسية ، ترجمة ادوارد رياض ، دار المعارف ، مصر ،ص١٣ .

[٦] الصوفي ، أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر (ت ٣٢٢هـ) ، صور الكواكب الثمانية والأربعين ، ط١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٩٥٤ ، ص ١٧ ، الأرجوزة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقصـــود مـــنهم ، بـــل قـــد يشير إلى ذلك الدين الذي كان سائداً ، فلم يبق منه إلا هذه المخلّفات ، من ربط الثور بالسماء ،من أجل الخصب والإرواء والاستسقاء بهذا الثور .

وكذلـــك شـــبهوا الـــثور بالراهب المتعبد [١] . في اشارة دينية واضحة في ربط الثور بالمعتقدات الدينية وصورها .

وقـــد شـــدّد الشـــعراء على قرني الثور في قصته ، فوصفوهما بالقوّة والاستقامة والطـــول ، وأنّهمـــا كالـــرماح أو كالســـيوف ، وغيرها ، في دلالة إلى أن قرني الثور يشبهان الهلال أو القمر النامي ، والقمر معبودٌ مشهور [٢] ، ولذلك (يجعلون الثور مكباً على روقيه ، يتطهّر بماء المطر) [٣] .

مكباً على روقيه يحفر عرقها على ظهر عريان الطريقة أهيما [٤]

---

[١] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٤ . وديوان بشر بن أبي خازم : ص ١٠٣ .

[٢] أنـــور أبو سويلم – المطر في الشعر الجاهلي ، ص ١٥٩ ، وينظر : جورج غيرستر – الصحراء الكبرى ، ترجمة خيري حمّاد ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦١ ، ص٦٤ ،.

[٣] المطر في الشعر الجاهلي ، ص ١٧٣ .

[٤] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
تشبيه النّاقة ببقرة الوحش

يمر تشبيه النّاقة تشبيهاً ملحمياً ببقرة الوحش عند مجموعة من الشعراء الجاهليين [١] ، فقد جاءت هذه التشبيهات محدودة ، ليس من الصعب حصرها واستخراجها ، من هنا تكون البقرة هي الصورة الثالثة للناقة في أهميتها من حيث الدوران في الشعر بعد الثور والحمار .

يأتي الشاعر بالبقرة مشبهاً به في معرض حديثه عن سرعة ناقته وقوتها وصلابتها ، فيتّخذ من التشبيه وسيلة لقصّ قصة هذه البقرة ، متناسياً ناقته التي هي أساس حديثه ، فتتجه حواس الشاعر من تصوير النّاقة إلى تصوير البقرة ، فيسلّط أنظاره عليها ، ويشنّف أسماعه لكل صوت تصدره ، فلا يرجع إلى ناقته إلا بعد أن يستكمل قصته تلك ، فتكون نهاية هذه القصة سبباً في بداية موضوع جديد .

ولعلّ قصّة بقرة الوحش – على قلتها مقارنة مع الثور والحمار – ذات تأثير عميق فيمن يستمع إليها ، فهي تتعرّض لكل ما يتعرض له الثور الوحشي من أخطار ، بل إنها تتجاوزه إلى فاجعتها بمقتل ابنها الصغير ، ذاك الذي يميّز قصتها عن بقية تلك القصص .

---

[١] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٥ – ٢٣١ ، و ص ٢٧٣ – ٢٧٥ ، وديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ، وديوان الأعشى ، ص ٦٧ ، ص ٧٣ ، و ص ١٠٥ – ١٠٦ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٧ – ٢٨ ، و ص ٦٧ – ٦٩ ، و ص ٣٠٧ – ٣١٢ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهـــر بقرة الوحش في هذه القصّة بأنها : ذات أنف قصير متأخّر [١] ، عيناها واســـعتان [٢] ، بيضاء اللون ، كالسحابة [٣] ، أو كالقميص الأبيض المخطّط بالسواد [٤] ، أو كصحيفة من الجلد الأبيض [٥] ، فتضيء كجمانة البحري [٦] .

ويظهر السواد في خدّيها [٧] ، ويكون خطاً أسودَ على متنها [٨] ، وحول قوائمها [٩] .

وتظهـــر البقرة أيضاً ، بأنّها ذات ولد ، تفقده دائماً [١٠] ، فإمّا أن يكون الفرقد قد ضلّ عنها ، كما قال الأعشى [١١] :

كعيناء ضلّ لها جؤذر بقنة جوّ فأجمادها

---

[١] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بن أبي سلمى ، ص ٢٢٥ (كخنساء ...) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ (... خنســـاء ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٧ (خنساء ...) ، و ص ٣٠٨ (خنساء ضيعت ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٣ (... خنساء تتبع ...) .

[٢] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٦ (وناظرتين تطحران قذاهما كأنهما مكحولتان بإثمد) ، وديوان الأعشى ، ص ٦٧ (أثارت بعينيها القطيع ...) ، و ص ٧٣ (كعيناء ...) .

[٣] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٥ (... وكأنها غرّاء من قطع السحاب الأقهد) .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٢٢٨ (... وكأنها مسربلة في رازقي معضّد) .

[٥] المصدر ذاته ، ص ٢٣١ (... أطبّة صرف في قضيم مسرّد) .

[٦] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ،ص ٣٠٩ (وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سلّ نظامها) .

[٧] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بـــن أبـــي ســـلمى ، ص ٢٢٥ (... سفعاء الملاطم حرّة ...) ، و ص ٢٧٤ (... تحسب أنها طليت بقارٍ ، أو كحيل معقد) ، وديوان الشمّاخ ،ص٢٦٣(... سفعاء وقّفها السواد ...) .

[٨] يـــنظر : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٤ (... تحسب أنّها طليت بقارٍ أو كحيل معقد) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٩ (يعلو طريقة متنها متواتر ...) .

[٩] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٤ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٣ (سعفاء وقّفها السواد ترى لها زمعاً وصلن شوى لهنّ دقاقا) .

[١٠] يـــنظر ، ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٥ (... مزعودة أمّ فرقد) ، و ص ٢٧٣ (... ظلّت تتبع مـــرتعاً بالفـــرقد) ، وديـــوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ (... يحنو خلفها جؤذر) ، وديوان الأعشى ، ص ٦٧ (مهـــاة بدكـــداك الصفيين فاقدا) ، و ص ٧٣ (... كعيناء ضل لها جؤذر) ، و ص ١٠٥ (... مهاة تبـــتغي ذرعـــا) ، وديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٧ (... تبغي بكثمان جؤذراً عطبا) ، و ص ٦٧ (... خنســـاء مســـبوعة ...) ، و ص ٣٠٧ (أم وحشـــيةٌ مسبوعة ...) ، و ص ٣٠٨ (خنساء ضيّعت ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٣ (... خنساء تتبع نائياً مخراقا) .

[١١] ديوان الأعشى ، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإما أن تكون السباع قد افترسته [١] ، كما يقول لبيد [٢] :

كأنها بعد ما أفنيت جبلتها خنساء مسبوعة قد فاتها بقر

وتظهر شخصية السباع في قصة هذا التشبيه ، وهي تراقب البقرة ، وتتحين الفرصة للانقضاض على الصغير ؛ إذ إنها لا تستطيع قتله على مرأىً من البقرة (لأنّ البقرة إذا كانت بحضرة ولدها لم تضيعه ، ومنعت السباع منه ، وقاتلت دونه ، بقرونها أشدّ القتال ، حتى تنجيه أو تعطب) [٣] ، لكنّ السباع لا تيأس ، ولا يصيبها الملل ، إذ لا بدّ أن البقرة ستجوع ، فتذهب للرعي ، كي ترضع صغيرها أيضاً ، وما من شك في أنها ستلهو مع الثيران ، فتغفل – وقتذاك – عن الفرقد .

ويحدث ذلك بعد ترقّب شديد ، فتنقضُّ السباع إليه في مرقده ، كما يقول زهير ابن أبي سلمى [٤] :

طباها ضحاء أو خلاء فخالفت إليه السباع في كناس ومرقد

ويصوّر الأعشى تربص السبع بالصغير ، فيصف حركاته ، ونهمه للّحم وخداعه للبقرة ، وأكله الفرقد ، فيقول [٥] :

أهوى لها ضابئ في الأرض مفتحص للحم قدماً خفيَّ الشخص قد خشعا
فظلَّ يخدعها عن نفس واحدها في أرض فيءٍ بفعلٍ مثله خدعا
حانت ليفجعها بابن وتطعمه لحماً فقد أطعمت لحماً وقد فجعا
فظلَّ يأكل منها وهي راتعة حدَّ النهار تراعي ثيرة رُتعا

ويقول لبيد بأنها آثرت اللهو مع الثيران فخسرته :

قد آثرت فرقة البغاء وقد كانت تراعي ملمّعاً شببا [٦]

---

[١] لم يمت الفرقد عند الشمّاخ ولم يضل ، بل إن الشاعر وجه اهتمامه إليه دون البقرة ، الديوان ، ص ٢٦٣ – ٢٦٦ .
[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٧ .
[٣] الحيوان ، ج٢ ، ص ١٩٩ .
[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٧ .
[٥] ديوان الأعشى ، ص ١٠٥ . وبهامشه : ضابئ : لازق ، مفتحص : متخذاً فحوصاً ، حجراً يأوى إليه ، الفيئ : الظل .
[٦] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٨ . وبهامشه : البغاء : الطلب ، تراعي : ترعى معه ، ملمّع : به توليع من سواد ، شبب : تام ضخم ، وقيل مسن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكده مرةً أخرى ، فيقول بأنها غفلت عنه ، فأصابه سهم المنيّة

صادفن منها غِرّة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها [١]

ثم ترجع البقرة إلى صغيرها ، بعد أن ثابت من غفلتها ، وبعد أن تجمّع اللبن في ضرعها ، كي ترضعهُ وتحنو عليه ، يقول الأعشى [٢] :

حتى إذا فيقةٌ في ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شقَّ النفس لو رضعا

فلا تجده ، فيصيبها الشكُّ ، وتتقاذفها الظنون ، فتجول حول نفسها ، وتبحث عنه بين الخمائل ، وتفتش عنه خبايا الأمكنة ، فلا تجده :

فجالت على وحشيّتها وكأنّها مسربلة في رازقي معضّد

وتنفض عنها غيب كل خميلة وتخشى رماة الغوث في كل مرصد [٣]

فتعيد الكرّة ، فتجيل النظرات وتطيلها ، علّها تجده :

حتى إذا ما انجاب عنها ليلها وتلدّدت بالرمل أيّ تلدد [٤]

فتتطوف باكية عليه ونائحة عليه ، وباحثة عنه ، فلربّما يسمعها :

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها [٥]

لكنها تصدم بالفاجعة الكبيرة ، عندما لا تجد (...إلا الإهاب تركنه بالمرقد) [٦] ، حيث لا تجد إلا أشلاءً ممزقة ، وبقعاً من الدم المعجون بالتراب ، وبقايا لحم تآكلتها الجوارح :

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقت بياناً عند آخر معهد

دماً عند شلو تحجل الطير حوله وبضع لحامٍ في إهاب مقدّد [٧]

---

[١] المصدر ذاته ، ص ٣٠٨ .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ١٠٥ . وبهامشه : الفيقة : اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ، شق الشيء : شطره .

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٢٢٨ .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

[٥] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٨ . وبهامشه : خنساء : وهو تأخر الأنف وقصره ، الفرير : ولد البقرة ، بغامها : صوتها .

[٦] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٤ .

[٧] المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الأعشى [١] :

عجلاً إلى المعبد الأدنى ففاجأها أقطاع مسك وسافت من دم دفعا

ويقول لبيد بن ربيعة [٢] :

لمعفّر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمنّ طعامها

هـذا ما وجدته البقرة ، قطعاً ممزقة من الجلد ، دماءً سالت على التراب ، قطعاً من اللحم المتناثر هنا وهناك ، ولكنّها لا تصدّق ما تراه ، ويبقى في نفسها أمل محاط بالأوهام ، ففرقدها لا يغيب عن بالها ، تستمّر في البحث عنه ، فلا تجده ، تنتظره مدةً طويلة لترضعه ، فلا يؤوب ، فيتملكها اليأس والقنوط ، فيجفُ ضرعها ويتيبس بعد ما كان ممتلئاً ، يرد ذلك في قول لبيد [٣] :

علهت تردد في نهاء صعائد سبعاً تؤاماً كاملاً أيّامها

حتى إذا يئست واسحق حالق لم يبله إرضاعها وفطامها

فتلوم نفسها – أخيراً – بعد أن أدركت أنّها لن تراه مرة أخرى ، فتنصرف يلفها الحزن على فراق صغيرها ، يقول الأعشى [٤] :

فانصرفت فاقداً ثكلى على حزن كل دهاها وكل عندها اجتمعا

وذاك أن غفلت عنه وما شعرت أن المنيّة يوماً أرسلت سبعا

وهكذا تنتهي فاجعة البقرة – (الأم) بإبنها (الفرقد) الذي افترسته السباع – انتهت نهاية مآساوية للبقرة ، ولكنّ الشاعر في كثير من تلك القصص لا يكتفي بهذه المحنة ، بل يعود إلى إكمال القصّة ، على نحو ما رأينا في قصة ثور الوحش .

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ١٠٥ .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٨ . وبهامشه : القهد : الأبيض ، الغبس : الذئاب والكلاب ذات اللون الأغبر ، شلو : كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية ، القاموس المحيط (شلو) .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٣١٠ . وبهامشه : علهت : جزعت وقلقت ، النهاء : مجتمع الماء ، صعائداً : اسم مكان ، اسحق : أخلق وذهب ما فيه اللبن ، خالق : الضرع الذي كان يمتلئ ، لم يبله : أي لم يذهب بكل ما فيه من لبن .

[٤] ديوان الأعشى ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــنا تظهـــر الـــبقرة ، حين يداهمها الظلام ، تعصف بها الرّيح والأمطار[١] ، فتـــبحث لهـــا عن مبيت تحت شجرة [٢] ، أو كثيب من الرمل [٣] ، فتمضي ليلتها تقاسي الـــبرد ، والخـــوف ، والسهر ، وطول الليل ، فتحفر بأظلافها وقرنيها التراب في أصل الأرطاة .

يقول لبيد بن ربيعة في ذلك [٤] :

باتت إلى دفّ أرطاة تحفـــرّه ... وفي نفسها من حبيب فاقد ذِكـــرُ

إذا اطمأنت قليلاً بعدما حفرت ... لا تطمئن إلى أرطاتهـــا الحفـــر

تبني بيوتاً على قفر يهدمهـــا ... جعد الثرى مصعب في دفّه زور

ليلتها كلّها حتى إذا حســـرت ... عنها النجوم وكاد الصبح ينسفـــر

حـــاول لـــبيد في هذه الأبيات ، تصوير حزن البقرة ، وما أصابها من هم وغم ، فتـــبدأ بحفـــر الـــتراب وتسويته لتنام ، فتتذكر صغيرها الذي فقدته ، فيزداد حزنها ، فلا تســـتطيع النوم ، فتظل تحفر في الرمال المبللة ، التي كلّما حفرتها ، انهدمت مرة أخرى ، فتـــبقى عـــلى هذا الحال ، حتى الصباح ، ويبدو أن الشاعر كان يقصد من وراء هذه الحركات بيان قلق البقرة التي تمضي وقتها بلعبة تلهيها في ليلها الطويل الحزين .

---

[١] ينظر : ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ (باتت عليها ليلة لثق ... أولها شنانة ومطر) ، وديوان لبيد بن ربيعـــة ، ص ٦٧ (... ريـــح الشمال وشفّان لها درر) ، و ص ٣٠٩ (باتت وأسبل واكف من ديمة يروي الخمـــائل دائمـــاً تسجامها) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٣ ، (... تيب عليهما نكباء تبجس وابلاً غيداقا) ، و (من صوب سارية أطاع جهامها ... نكباء تمري مزنها أوداقها) .

[٢] يـــنظر : ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ (... في دفّ غرقده ... يحوطها من البروق سدر) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٨ (باتت إلى دف أرطاة ...) ، و ص ٣٠٩ (تجتاق أصلاً قالصاً متنبذاً ...) .

[٣] ديوان الشماخ ، ص ٢٦٣ (باتا إلى حقف ...) .

[٤] ديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٨ - ٦٩ . وبهامشه : جعد الثرى : رمل فيه ندوة ، مصعب : صعب ، في دفه زور : في جنبه ميل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمـــا إن يـــأتي الصباح ، حتى تشعر البقرة باقتراب الخطر ، فيصبّحها الصائد الـــذي يسعى بكلابه[١]، فكان نسب الصائد يتصل بقبيلة الغوث عند زهير[٢]، وكان اسمه مشـــجعة الجـــرمي ، ونأثر عند طرفة [٣] ، وذؤال نبهان عند الأعشى [٤] ، ويظهر بأنه رام ماهـــر [٥] ، ثيابـــه خـــلقة باليـــة [٦] ، أصابعه قصيرة وغليظة [٧] ، يكمن للبقرة في الأماكن المخفيّة [٨] .

وتظهر الكلاب بأنها مسترخية الآذان[٩]،ضامرة البطون[١٠]، واسعة الأشداق[١١]

---

[١] يـــنظر : ديـــوان طـــرفة بـــن العبد ، ص ١٦٢ (باكرها غدواً بأكلبه ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٧٣ (فصـــبحها لطلوع الشروق ...) ، و ص ١٠٥ (حتى إذا ذرّ قرن الشمس صبحها ذؤال نبهان يبغي صحبه المـــتعا) ، وديـــوان لـــبيد بـــن ربيعـــة ، ص ٦٩ (... لاقـــت أخا قنص يسعى بأكلبه ...) ، و ص ٣١١ (و توجست زر الأنيس فراعها ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٥ (فتوجسا في الصبح ركز مكلّب ...) .

[٢] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٨ .

[٣] ينظر : ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٢ .

[٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ١٠٥ .

[٥] يـــنظر : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٨ ، (... وتخشى رماة الغوث من كل مرصد) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١١ (حتى إذا يئس الرماة ...) .

[٦] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٥ (سمل الثياب له ضوار ضمّر ...) .

[٧] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٩ (شثن البنان لديه أكلب جسر) .

[٨] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بن أبي سلمى ، ص ٢٢٨ (وقد قعدو أنفاقها كل مقعد ... وثاروا بها من جانبيها كـــليهما) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١١ ،(فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٥ (... ويوفي النجاد يبادر الإشراقا) .

[٩] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١١ (... غضفا ...) .

[١٠] يـــنظر : ديـــوان الأعشـــى ، ص ١٠٦ (بأكلب كسراع النبل ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٥ (له ضوار ضمّر ... يعدو بها قبّاً ...) .

[١١] ينظر : ديوان الشماخ ، ص ٢٦٥ (... وفي أشداقها سعة ... يجلجل خصرها الأشداقا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سريعة العدو [١] ، متعوّدة على الصيد [٢] ، مطوقة الأعناق [٣] ،

يورد الشعراء بعض أسمائها ، كسخام وكساب عند لبيد بن ربيعة [٤] :

فتقصدت منها كساب فضرّجت بدمٍ وغودر في المكرّ سخامها

ويبدو أن دور الصائد في معركة البقرة مع الكلاب – على قلة نصوصها – أكثر أهميـــة من دور الصائد في معركة الثور مع الكلاب ، فقد قصر الشاعر فعل الصائد في إطـــلاق الكـــلاب عـــلى الثور ، أمّا في هذه القصة ، فقد ورد عند بعض الشعراء ، أن الصـــائد ، ينصب للبقرة كميناً يحقق له عنصر المفاجأة ، فهو لا يهاجم البقرة على الفور ، بـــل يتركها تمرّ قرب الكمين الذي نصبه لها من جهته ، وقد لا يكون الصائد وحده ، بل قد يكونون مجموعة من رماة السهام أو الرماح الماهرين المشهورين بالرماية ، وهو ما لا يظهر في قصة الثور إلا نادراً .

أمـــا البقرة الوحشية ، فتتوقع – أحياناً – وجود القانصين ، وقد تراهم أو تسمعهم ولكـــنها تفاجأ حينما يكمنون لها ، فلا تشعر إلا وهي في مرمى نبالهم ، يقول زهير بن أبي سلمى في تصوير ذلك المشهد [٥] :

وتنفض عنها غيب كل خميلـــة وتخشى رماة الغوث من كل مرصد

---

[١] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٩ (... وإن تتقدمها السوابق تصطد) ، وديوان الأعشى ، ص ٧٣ (ولكـــن إذا أرهقتها السراع ...) ، و ص ١٠٦ (بأكلب كـــراع النبل ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٩ (ولّت فأدركها أولى سوابقها ...) .

[٢] يـــنظر : ديـــوان الأعشـــى ، ص ١٠٦ (... ضـــارية ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٩ (... لديه أكـــلب جســـر) ، و ص ٣١١ (غضفاً دواجن ...) وديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٥ (له ضوار ... يرجو ويأما أن تصيد ضراؤه ...) .

[٣] يـــنظر ديـــوان الأعشى ، ص ١٠٦ (... ترى من القدّ في أعناقها قطعا) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١١ (... قافلاً أعصامها) .

[٤] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١٢ .

[٥] ديـــوان زهيـــر بـــن أبي سلمى ، ص ٢٢٨ – ٢٣١ . البذّ : الغلبة ، القاموس المحيط (بذّ) ، ذب : عنه دفع ومنع ، القاموس المحيط (ذب) ، الأسحم : الأسود ، القاموس المحيط (سحم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تدر وشك البين حتى رأتهم ... وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد
وثاروا بها من جانبيها كليهما ... وجالت وإن يجشمنها الشدّ تجهد
تبذُّ الأولى يأتينها من ورائها ... وإن تتقدمها السوابق تصطد
فأنقذها من غمرة الموت أنها ... رأت أنها إن تنظر النبل تقصد
نجاء مجدّ ليس فيه وتيرة ... وتذبيبها عنها بأسحم مذود
وجدّت فألفت بينهن وبينها ... غباراً كما فارت دواخن غرقد
بملتئمات كالخذاريف قوبلت ... إلى جوشن خاظي الطريقة مسند
كأنّ دماء المؤسدات بنحرها ... أطبّة صرفٍ في قضيم مسرّد

يصوّر زهير البقرة ، وهي تفتش عن فرقدها ، الذي افترسته السباع ، بين الخمائل والرمال ، ويتحدث عن خوفها من رماة الغوث المعروفين بالمهارة في القنيص ، لكنها لم تدرِ أنهم قد أحاطوا بها من كل جانب ، فسدّوا منافذ السبل عليها ، وأحكموا الطوق فأصبحت تحت وابل نبلهم الذي يأتيها من كل مكان ، فتزيد في سرعة قوائمها ، فقد أرغموها على ذلك .

فيطلق الصائدون كلابهم وراءها ، فتشتد بالعدو السريع ، فتسبق الكلاب ، ومن صادفها في طريقها تطعنه ، فلا تلوي على شيء ، فلم تكن الكلاب تشكّل خطراً كبيراً عليها ، بل كان كل همّها الابتعاد عن الصائدين ، فلو توانت قليلاً لقتلت ، وتستمر في الركض على وتيرة واحدة ، تدافع الكلاب بقرنيها السوداوين ، حتى تتسع المسافة بينها وبين الكلاب ، فيعلو الغبار وراءها كأنه دخان شجر الغرقد حين يشتعل ، وقد أنجاها قوائمها السريعات المكتنزات باللحم ، والقوة ، فلا ترى على نحرها إلا دماء الكلاب التي صرعتها بقرنيها .

وترد عند لبيد صورة مشابهة لما ورد عند زهير بن أبي سلمى ، يقول فيها لبيد [1] :

---

[1] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١١ - ٣١٢ . وبهامشه معاني الكلمات ، الرز : الصوت الخفي ، الفرج : الواسع من الأرض أو الثغر ، مولى : أولى ، الغضف : المسترخية الآذان ، دواجن : المعودة للصيد ، قاقل : يابس ، أعصامها : قلائدها ، اعتكرت : كرّت ، المدرية : الحربة ، السمهرية : الرماح ، تقصدت ، قصدت ، كساب : اسم كلبة ، وسخام : اسم كلب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجّست رزّ الأنيس فراعهـــا عن ظهر غيب والأنيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنـّه مولى المخافة خلفهـــا وأمامهـــا
حتى إذا يئس الرماة وأرسلـــوا غضفاً دواجـــن قافلاً أعصامها
فلحقن واعتكرت لهـــا مدريّـــة كالـــسمهريّـــة حدّهـــا وتمامهـــا
لتذودهن وأيقنـــت إن لـــم تذد أن قد أحمَّ من الحتوف حمامهـــا
فتقصدت منها كساب فضرّجت بدمٍ وغودر في المكر سخامهـــا

ويلحظ في قصة هذا التشبيه – البقرة – أن دور القانصين لم يقتصر على إطلاق الكـــلاب وحســـب ، بل تعدى ذلك إلى رمي البقرة بالسهام ، وذلك خلافاً لما رأيناه في قصـــة الـــثور ، ويـــرى الـــرماة بعـــد أن مكنّوا أنفسهم في مخابئ تخفى على البقرة ، فيفاجئونها ، وقد أحاطوا بها .

ولكـــن بـــرغم كل ذلك ، تنجو البقرة من الموت ، الذي يكون قدر الكلاب ، فقد أنجاهـــا سرعتها في الجري معتمدة على قوائم صلبة قوية ، فكان هذا يمثل سلاح البقرة الأول في انتصارها على الكلاب والرماة .

فجالت وجال لها أربع جيدن لها مع إجهادها [١]

وإنهـــا لشدّة سرعتها ، تصدر صوتاً يزعج الظباء في كناسها ، ويوقظ القطا من سباته .

تبزُّ يعافير الصريم كناسها وتبعث بالفلا قطاها اليواجدا [٢]

أمـــا ســـلاحها الـــثاني الذي تدافع به عن نفسها ، فهو قرناها الحادّان الطويلان الأسودان ، وقد عبّر زهير عن هذا المعنى بقوله [٣] :

غدت بسلاح مثله يُتقى به ويؤمن جأش الخائف المتوقّدِ

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٧٣ .

[٢] المصـــدر الســـابق ، ص ٦٧ ، وبهامشه : بز : سلب ، اليعفور : الظبي الأغفر بلون التراب ، الصريم : الرمـــلة المـــنقعة ذات شـــجر ، الكناس : شجر تستكن فيه وحوش الصحراء من الحر ، القطا : طائر بحجم الحمام .

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الأعشى في ذلك أيضاً [١] :

ولكن إذا أرهقتها السرا ع كرّت عليه بميصادها

فورّع عن جلدها روقيا يشك ضلوعاً بأعضادها

فيقول بأنها إذا ما هوجمت من الكلاب ، دافعت عن نفسها بقرنيها ، فتمنع أنياب الكلاب من الوصول إلى جلدها بذلك القرن ، فتنفذه في ضلوعها وأعضادها .

تتعرض البقرة في هذه القصّة لأربع محن ، تحاول الخلاص منها بطرائق متعددة ومختلفة ، وأول محنة تصيب هذه البقرة ، هي محنة الوحدة أو الفقدان ، التي تتمثل في انفرادها عن القطيع ، وفقدها فرقدها ، فقد وردت البقرة فاقداً لفرقدها الذي ضل أو أكلته السباع ، عند جميع الشعراء الجاهليين إلا الشمّاخ الذي كان عنده الفرقد مرافقاً للبقرة في مبيتها وصراعها مع الكلاب ، ونجاتها من القانصين ، وهو ما يشكل خروجاً عن النمط المألوف لدى الشعراء .

وتبدأ محنتها الثانية ، حين يلّفها الليل بسواده ، ويتملّكها الخوف ، ويلاحقها الشعراء في ذلك الموقف ، فينكشف الظلام أمام عيونهم فيرون كل شيء ، حين تعصف بها الريح والأمطار ، تبيت كأنّها السجين تحت الأرطاة تسرّي الليل عن نفسها ، فتعبث بالرمال ، هروباً من البرد والذكريات ، فتنتظر الصباح ، لكنّ الليل طويل ، وطيف الفرقد يلاحقها فيزداد حزنها وألمها .

ومع أول شعاع ترسله الشمس ، تبدأ محنتها الثالثة والرابعة ، وهما يتشكلان من موقف واحد ، والأولى منهما ، تتمثل في موقف الصائدين حين رصدوا البقرة من الجهات جميعها ، وقعدوا لها في طريق سيرها ، فأحاطوا بها ، فقذفوها بالسهام ، فأنجتها قوائمها القويّة ، ولكن اليأس لا يصيب قلوب الصائدين ، فتبدأ المحنة الأخيرة لبقرة الوحش ، فيطلق الصائدون الكلاب الشرسة المدربّة وراءها ، فتهرب ، لكن الكلاب تلحق بها ، فلا تجد بدّاً من القتال ، فتنبري للكلاب بقرنيها ، فتشك أعضادها

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٧٣ . وبهامشه : ميصادها : قرنها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفتك بها ، فتنجو بعد أن تركتها تتخبط مقتولة بدمائها ، هذا ما تتعرض البقرة له في قصتها تلك .

ولكن لماذا لم تحاول السباع افتراس البقرة . وحاولت الكلاب ذلك رغم أن السباع أشدُّ فتكاً وأكثر جرأة من الكلاب ؟ ألجبنٍ في السباع وهو بعيد ؟ أم جرأة في الكلاب ؟ ولماذا اختارت السباع الصغير ، وانقضت الكلاب على الأم الكبيرة ؟ .

ويظهر – حين يُجاب عن هذه الأسئلة – أن السباع كان يحركها نحو القتل جوعها ، فتصيد لنفسها ، حتى تستمر في البقاء والحياة ، وهي بهذا تختلف عن الموقف الذي اتخذته الكلاب التي لا تصيد لتطعم نفسها ، بل لتطعم غيرها ، فيكون مصدر العدوان هو محركها والمتحكم بها ، ويوصلنا ذلك إلى أن مصدر العدوان هو الانسان القانص الذي يحرّض الكلاب ، فلا يهمه مقتلها بعد ذلك ، بل إنه يعض أصابعه ندماً على هروب البقرة ، ونجاتها من سهامه وكلابه .

ويبدو أن الشاعر كان يهدف من وراء مقتل الفرقد إلى تصوير مبلغ الحزن الذي وصلت إليه البقرة ، وبالتالي حزنه هو ، فلم يجد صورة محزنة تجسد ذلك الحزن وتظهره أكثر من فقدان الأم لولدها الوحيد ، حين لا تجد إلاّ قطعه ، وهو ما ينعكس على الشاعر الذي تمثّله بقرة الوحش ، وترمز إلى كل شيء في حياته وكيانه ، من مصاعب يواجهها ، وأخطار تحيط به ، ومؤامرات تحاك له في الظلمات ، ومحاولات أعدائه المستمرة في النيل منه .

كانت البقرة في هذه القصة ، تمثل موقف المظلوم ، فقد حرمت من أعز ما تملكه في حياتها ، فرقدها ، وكانت في موقف الدفاع دائماً ، فلم تكن مبادرة في الهجوم والطغيان والبغي والتحدي ، وكان الصبر على الشدائد هاجسها على الدوام ، صبر على مقتل جؤذرها ، صبر على قسوة الطبيعة والأحزان والأيام ، تتجنب الشرور بالفرار ، ولكن حين يتعلق الأمر بمصيرها ووجودها ، تدافع عن نفسها بشدة ، فتقتل ، وكأنه يتكلم عن أنسان ما ، عن نفسه ، بل (إنه يصوّر وقع الحياة على مرآة وجدانه ، ويبين رأيه فيها ، ويحدد موقفه منها في إقبالها العريض ، وإدبارها القاسي) [١] .

---

[١] وهب رومية – الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكـــن السؤال الذي يفرض نفسه بقوّة هنا ، هو : لماذا شبه الشعراء النّاقة ببقرة الوحـــش ؟ قد تكون الإجابة سهلة ، حين يُقال : بأن الشاعر أراد أن يصوّر سرعة ناقته ، فشـــبهها بالـــبقرة لسرعتها ، فكان مراده من التشبيه المبالغة في سرعة ناقته ، ولكنها إجابـــة غير دقيقة إلى حد كبير ، لأن الشعر نفسه لا يؤيد ذلك ، فقد كانت الكلاب أسرع مـــن الـــبقرة فـــي كثير من تلك النصوص ، فقد لحقت بالبقرة وسبقتها ، فاجبرتها على العـــراك رغمـــاً عنها ، فهل كان الهدف من التشبيه السرعة ، ربما تكون إحدى دواعي التشبيه .

ولكنّ السؤال المحير فعلاً هو : لماذا تكررت القصّة عند شعراء كثيرين ؟ ولماذا أطـــال الشاعر التفصيل في صورة المشبّه به (البقرة) فأورد قصتها كاملة ، بما تحويه مـــن صـــراع وحـــزن وألـــم وقسوة وقتال ودماء ... ؟ هل كان مقصده الأساس البقرة وقصـــتها ، لأنه كان معجباً بهذا المشهد ؟ أم كان يتحدث عن ناقته بقصّة البقرة ؟ ام أنه كـــان يـــتحدث عن نفسه وعن رحلته وحياته ، فكانت هذه القصة التي حاكها من خياله ، تـــنعكس فـــي حياتـــه ومـــا يلاقيه من خصومه ومن أقدار حياته ، أم أنه أوردها ليجمع التعاطف مع قضيته في قلب ذلك الممدوح .

ويظهـــر أنها لم تكن مصادفة عند الشعراء ، أن تكون البقرة وحيدة ، أكل السبع ولدهـــا ، بل كانت تقليداً أو طريقة سار عليها الشعراء ، وذلك ما يزيد الأمر غموضاً ، وكـــل ذلـــك الغمـــوض ينجلي إذا أيقّنا أن الشاعر في هذه القصّة ، لم يكن يتحدث عن الـــبقرة لأنـــه كان معجباً بها ، أو لتصوير سرعة ناقته ، بل لأنه كان يتحدث عن نفسه وحياته ، وما فيها من تعقيد وأخطار ... وغيرها من الأمور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث
حيوانات أخرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تشبيه الناقة بحمار الوحش

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تشبيه النّاقة بحمار الوحش

لعلّ ما يسلفت الانتباه قبل كل شيء ، أن الشاعر الجاهلي ، كان يشبّه ناقته – كثيراً – بالحمار الوحشي [١] ، فيكون الحمار هو المشبّه به للناقة ، ولكن الشاعر الجاهلي شبه ناقته أيضاً بالأتان الوحشية [٢]، فتكون هي المشبه به للناقة ، رغم تحول الشاعر عنها إلى الكلام عن الحمار في بعضها .

كان عمرو بن قميئة الشاعر الوحيد – فيما يعلم الباحث – ، الذي شبه الجمل – وليس النّاقة – بحمار الوحش ، كما جاء عند أغلب الشعراء الذين أوردوا هذه القصّة في أشعارهم ، فقال[٣] :

كأني حين أزجره بصوتي زجرت به مدّلاً أخدريّا

---

[١] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ ، و ص ٧٩ – ٨١ ، و ص ١٨٠ – ١٨٤ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ – ٧٢ ، و ص ٢٧٠ – ٢٧٣ ، ص ٣٧٢ – ٣٧٨ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٦ – ١١٧ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ – ٧٣ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٥ – ٣٧ ، و ص١٨٧ ، وديوان الأعشى ، ص ٧ ، و ص ١١٩ – ١٢١ ، و ص ١٦٥ ، و ص ٣٢٥ ، وديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٠ – ١٤٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨١ – ٨٨ ، و ص ٩٦ – ٩٨ ، و ص ١١٦ – ١١٧ ، و ص ١٢٥ – ١٣٠ ، و ص ٢٣٥ – ٢٣٨ ، وديوان الشماخ ، ص ٦٨ – ٧١ ، و ص ٨٦– ٩٥ ، و ص ١٥٣ – ١٥٧ ، و ص ١٦٦ – ١٦٩ ، و ص ١٧٥ – ٢٠١ ، و ص ٢٢٨ – ٢٣٣ ، و ص ٢٤٥ – ٢٤٩ ، وص ٢٦٦ – ٢٦٨ ، و ص ٢٩٩ – ٣٠٣ ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ١٢٦ – ١٢٨ .

[٢] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ ، و ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٨ – ٢٩ ، و ص ٣٠٤ – ٣٠٧ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٨٠ – ٢٨٣ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٠ – ١٤٤ ، لأمرئ القيس بن جبلة السكوني ، و ص ١٥٦ – ١٥٧ ، لعبد الله بن ثور .

[٣] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٣٩– ١٥٤ . (والأخدرية أطولها عمراً وأحسنها شكلاً ، وهي منسوبة إلى أخدر فحل كان لكسرى ...) ، حياة الحيوان الكبرى : ج ١ ، ص٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتـبدأ قصّة الحمار عادة ، وهو يرعى النبت مع قطيع من الأتن الحوامل [١]، أو قطيـع مـن الأتن الحوائل [٢] – التي لم تحمل من الذكور – ، أو في قطيع من الأتن الحوائـل والحوامـل معاً [٣]، فلا يظهر الحمار في قطيع من الذكور على الإطلاق ، بل إنه كان مغرماً بتجميع أكبر عدد من الإناث الضرائر كما يقول امرؤ القيس [٤] :

عنيف بتجميع الضرائر فاحش شتيم كذلق الزج ذي ذمرات

ويقول الأعشى [٥] :

عنيف وإن كان ذا شرّة بجمع الضرائر شلاّلها

---

[١] يـنظر ، ديـوان امرئ القيس ، ص ١٨٠ (... حملن فأربى حملهنّ دروص) ، وديوان زهير بن أبي سـلمى ، ص ٦٥ (... له من كل ملمعة إباء) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٧ (... يقلبها إذ أعوزته الحلائـل) ، وديـوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (جون أضر بملمع يعلو بها ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٧ (... مـلمع لاعـة الفـواد إلى جحـش ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣٠٤ (أو ملمع وسقت لأحقـب لاحه ...) ، و ص ٣٠٤ (... قد رابه عصيانها ووحامها) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٩ (وسقن له بروضة واقصات سجال الماء في حلق منيع) ، و ص ٢٦٧ (جأبٌ خلا بحلائل وسقت له فحمـلن لم يغرم لهنّ صداقا) ، و ص ٢٦٨ (فصددن عنه إذا وحمن عواذلاً) .

[٢] يـنظر ، ديوان امرئ القيس ، ص ٧٩ (أرنّ على حقب حيال طروقه ...) ، و ص ١٨٢ (... طوالة أرسـاغ اليديـن نحـوص) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢٠ (نحوص قد تفلّق فائلاها ...) ، وديوان بشـر بـن أبي خازم ، ص ١٨٧ (... حيال يكدم فيها كداما) ، وديوان الأعشى ، ص ١٦٥ (نحائص شـتى عـلى عيـنه ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٨ (... علج تسرّى نحائصاً شسبا) ، و ص ٨١ (... أرنٌ عـلى نحـائص كالمقالي) ، و ص ٢٣٥ (... يفزّ نحوصاً بالبراعيم جائلا) ، وديوان الشماخ ، ص ١٧٥ (... مـن الحقـب لاحـته الجـداد الغـوارز) ، و ص ٢٢٩ (كقضـب النبع من نحص أواب صوت منهنّ أقراط الضروع) .

[٣] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٦٣ (... ألظّ بهن يحدوهنّ حتى تـبين حولهـنّ من الوساق) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٢ (وأمكنها من الصلبين حتى تبينت المخاض من الحيال) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٦٨ (أشذّ جحاشها وخلا بجون لواقح كالقسي وحائلات) .

[٤] ديـوان امـرئ القيس ، ص ٨٠ . وبهامشه : العنيف : الأخرق ، الشتيم : القبيح ، ذلق الزج : حده ، ذو ذمرات ، أي يذمرهن ويزجرهن مرة بعد مرة .

[٥] ديوان الأعشى ، ص ١٦٥ . وبهامشه : الشرة : الحدة والنشاط ، الشل : الطرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يرد الحمار منفرداً عن قطيعه المكوّن من الأتن إلاّ عند زهير بن أبي سلمى ، الـــذي خالف النمط الذي سار عليه أغلب الشعراء في قصيدته التي ظهر الثور الوحشي فيها مع قطيع من البقر ، وهذا مخالف للنمط ، كم جعل الحمار منفرداً حتى عن الإناث ، وكأنّـــه أراد أن يتميز عن الشعراء بخروجه عمّا أصبح مألوفاً لديهم ، ويظهر ذلك في تشبيهه الذي بدأه بقوله [١] :

وكأنّها صحل الشحيج مطرّد أخلى له حقب السوّار ومذنب

فقد قصر قصته على منظر الحمار وحده في صراعه مع الأخطار .

وتـــبدأ قصة حمار الوحش حين يظهر وهو يتحكم بالأتن تحكماً تاماً [٢] ، ويكون الآمـــر الـــناهي فيها ، فلا تستطيع واحدة أن تخالفه ، فإن فعلت ، فإنه يزجرها ويعضّها [٣] ، وخاصّـــة في ميقـــات وحامهـــا ، فالأتن تعصى أمـــر الحمـــار بسبب ذلك كمـــا

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٢ – ٣٧٨ .

[٢] يـــنظر : ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ٨٠ (عنيف بتجميع الضرائر فاحش ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٧ (... يقلـــبها إذ أعوزتـــه الحلائـــل) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ (يقلّب قيوداً ...) ، و ص ٦٨ (يقـــلّب حقباء العجيزة سمحجا ...) ، وديوان الأعشى ، ص ١٦٥ (عنيف وإن كان ذا شرّة بجمع الضـــرائر شلاّلها) ، و ص ٣٢٥ (يقلّب سمحجاً فيها إباء ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٥ (... يفزّ نحوصاً بالبراعيم جائلا) .

[٣] يـــنظر ، ديـــوان الـــنابغة الذبيـــاني ، ص ١١٧ (أضـــرّ بجـــرداء النسالة سمحج ...) ، و ص ٢٢٠ (ربـــاع قدأضـــر بهـــا رباع ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ (... بها ندبٌ من زرّه ومناسف) ، وديـــوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (جون أضرّ بملمع يعلو بها ...) ، وديوان الأعشى ، ص٧ (ذو أذاة عـــلى الخـــليط ...) ، وص١١٦ (... متى ما تخالفه عن القصد يعذم) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٨ (... لا تـــأمن مـــنه الحذار والعطبا) ، و ص ٩٦ (... تضمّنه جون السراة عذوم) ، و ص ٩٦ (أضر بمســـحاج ...) ، و ص ١٢٥ (... بســـراتها ندب له وكلوم) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٦٩ (يعضّ على ذوات الضغن منها كمـــا عضّ القناف على القناة) ، و ص ٩٠ (... أضرّ بملساء العجيزة سمحج) ، و ص ٩٠ (أضـــر بمقـــلاة كـــثير لغوبهـــا ...) ، و ص ١٦٨ (يـــزر القطا منها ...) ، و ص ٢٢٨ (كثـــحاج أضـــرّ بخانفـــات ...) ، و ص ٢٦٧ (... قـــرم يـــنهزها يعـــض حقاقـــا) ، و ص ٢٩٩ (علندى مصكاً قد أضر بعانة ... لما شذّ منها أو عصاه عذوم) ، و ص ٣٠١(... لنابيه في أكفالهنّ =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر في قول الشمّاخ [١] :

فصددن عنه إذ وحمن عواذلا حتى استمر وأنكر الأخلاقا

يرمحنه بعد اللمام أوابيا شمساً فقد أحنقنه إحناقا

ويضع رأسه على أكفالها [٢] ، وأحياناً يداعبها ، فيشمُّ بولها وأكفالها [٣] ، وهو شديد الغيرة على أتانه من الحمر ، حتى أنّه يغار من جحاشه هو ، فيضربها وينفيها عن أمهاتها [٤] ، يقول الدميري [٥] : (ومن عجيب أمره أن الأنثى إذا ولدت ذكراً ، كدّم الفحل خصيتيه ، فالأنثى تعمل الحيلة في الهرب منه حتى يسلم ، وربما كسرت رجل الستولب كي لا يسعى ، ولا تزال ترضعه إلى أن يكبر فيسلم من أبيه) ، وهو يفعل ذلك كي لا يكبر فينافسه على أمه .

= كلوم) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٠ (كأني على حقباء خدّ لحمها إران وشحّاج من الجون معجل) لامرئ القيس بن حجلة السكوني ، و ص ١٤٠ (... يجور بذات الضغن منها ويعدل) للسكوني أيضاً .

[١] ديوان الشماخ ، ص ٢٦٨ . وبهامشه : يرمحنه : يضربنه ، اللحام : اللقاء القصير ، أوابي : ممتنعات عليه ، شمس : نافرات ، أحنقنه : أغضبنه .

[٢] ينظر : ديوان أوس بن حجر ، ص ٧٣ (تواهق رجلاها يديه ورأسه لها قتب فوق الحقيبة رادف) ، وديوان الأعشى ، ص ١٦٥ (فلم يرض بالقرب حتى بكـ ون وساداً للحيية أكفالها) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٧ (ظلّت تخالجه وظلّ يحوطها طوراً ويرباً فوقها ويحوم) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٧ (... يعبُّ على مناكبها الصبيّا) ، وديوان الشمّاخ ، ص٩١ (إذا كان منها موضع الردف رنّقت بأسمر لام أرخٌ ولا وجي) .

[٣] ينظر : ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ (... له بجنوب الشيّطين مساوف) ، و ص ٧٣ (... كلا منخريه سانفاً أو معشّراً بما انفضّ من ماء الخياشيم راعف) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (فتصكُّ محجره إذا ما استافها ...) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٣ (... فساف لها أديماً أملصيّا) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٩٣ (متى ما يسف خيشومه فوق تلعة مصامة أعيار من الصيف ينشج) .

[٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨١ ، وديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٤ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٦٨ ، و ص ٢٤٦ ، و ص ٢٦٧ .

[٥] الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ) - حياة الحيوان الكبرى ، ط١ ، وضع هوامشه وقدم له أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف الأعشى حزن الأتان على جحشها الذي فُطم رغماً عنها ، في غير موعد الفطام جرّاء غيرة الحمار عليها [١] :

ملمع لاعة الفؤاد إلى جحش فلاه عنها فبئس الفالي

ويصف لبيد غيرته على أتنه ، ونفيه جحاشها [٢] :

نفى جحشانها بجماد قوٍّ خليط ما يلام على الزّيال

فيبعدها بعنف شديد ويعضّها ، كما يظهر عند الشمّاخ [٣] :

ينفي الجحاش كما يشذُّ بكاره قرم ينهّزها يعضُّ حقاقا

وقد يكون التخلّص من الجحش ، بالسرعة الشديدة التي يتخذها الحمار وسيلة للخلاص منه ، فإما أن يتخلف الجحش عن الحمار والأتن ، وإمّا أن يتعثر فتدق عنقه فيموت كما ورد عند امرئ القيس [٤] :

فجحش على أدبارهنّ مخلّف وجحش لدى مكرّهنّ وقيص

لكن الجحش يسرع وراءهما كالكوكب ، ولكن هيهات أن يلحق بهما في قول بشر بن أبي خازم [٥] :

العير يرهقها الخبار وجحشها ينقضُّ خلفهما انقضاض الكوكب

فتجاريا شأواً بطيناً ميله هيهات شأوهما وشأو التولب

فقد ابتعدا عن الجحش كثيراً ، فغادراه وحيداً ، ولكن الجاحظ أورد ملاحظة على هذه الأبيات ، فقال بأنّ الرواة طعنوا في نسبة هذا الشعر لبشر (فزعموا أنه ليس من

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٧ . وبهامشه : ملمع : استبان حملها في ضرعها ، لاعة الفؤاد : اشد الحزن ، فلاه : الفطام .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨١ . وبهامشه : الخليط : المخالط ، الزيال : المفارقة .

[٣] ديوان الشماخ ، ص ٢٦٧ . وبهامشه : ينفي : ينحي ، يشذ : يفرد ، البكار : جمع بكر وهو الفتي من الأبل ، القرم ، الفحل ، ينهزها : يدفعها بشدة ، الحقاق : أولاد الأبل .

[٤] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٣ .

[٥] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٧ ، وبهامشه معاني الكلمات : الخبار : الأرض اللينة الرخوة ، الشأو : الشوط والمدى ، بطين : واسع بعيد ، الميل : المسافة ، التولب : ولد الحمار . وانظر قول الأعشى ، الديوان ، ص ٧ (غادر الجحش في الغبار وعدّاها حثيثاً لصوة الأدحال) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاداتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب ، ولا بدن الحمار ببدن الكوكب) [١] ، بل إنّ هذا التشبيه عادة ما يقع في تشبيه الثور في لونه وعدوه بالكوكب وانقضاضه ونيس الحمار أو النجش .

أما صفاته فيبدو حمار الوحش : ضامر البطن [٢] ، غليظاً كبير الجسم [٣] ، ضخم الرأس [٤] ، وقد يبدو رأس بعضها صغيراً [٥] ، ويظهر الحمار عند

---

[١] الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ، عبد السلام هارون .

[٢] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ (أقب رباع ...) ، و ص ١٨٠ (طواة اضطمار الشدّ والبطن شازب معالىً على المتنين فهو خميص ، و ص ١٨٣ (... أقبّ كمقلاة الوليد شخيص) ، و ص ١٨٤ (... أقب ككرا الأندري محيص) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ (أقب البطن ...) ، و ص ٦٥ (أقب كصدر أسمر ذي كعوب ...) ، و ص ٧٠ (فأض كأنه رجل سليب على علياء ليس له رداء) ، و ص ٢٧١ (... وشتا كذلق الزجّ غير مقيّد) ، و ص ٣٧٣ (وحداً كمقلاة الوليد ...) ، و ص ٣٧٣ (... جأب حزابية أقب معقرب) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٦ (أقب كعقد الأندري مسحّج...) ، و ص ٢٢٠ (... مشحاج شنون) ، و ص ٢٢١ (كقوس الماسخيّ ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٧ (لاحه الصيف والصيال واشفاق على صعدة كقوس الضال) ، و ص ٣٢٥ (أذلك أم خميص البطن جأب ...) ، و ص ٣٢٥ (... وصار صعلاً ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٩ (فهو كقدح المنيح ...) ، و ص ٩٧ (أقبُ ككر الاندري ...) ، و ص ١٢٨ (ربذ كمقلاة الوليد شتيم) ، و ص ٣٠٤ (... وسقت لأحقب لاحه طرد الفحول ...) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٠ (... ذكرت به ممرّاً أندريا) ، وديوان الشماخ ، ص ٨٦ (أقب ترى عيد الفلاة بجسمه كعهد الصناع بالجديل المحملج) ، و ص ٨٧ (... مريرة مفتول ...) ، و ص ١٥٤ (وأحنق صلبه وطوى معاه وكشحيه كما طوي الحصير) ، و ص ١٥٥ (... أقب ...) ، و ص ٢٤٩ (فقد لحق البطن بالصلب ...) .

[٣] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ (أقب البطن جأب ...) ، و ص ٣٧٣ (... جأب أطاع له الجميم محنّب) ، و ص ٣٧٣ (... جأب حزابية أقب معقرب) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٦ (... حزابية ...) ، وديوان الأعشى ، ص ١١٩ (... جأب مكدم ...) ، و ص ٣٢٥ (أذلك أم خميص البطن جأب) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١١٦ (... إرقال جأب معلم بكدوم) ، و ص ٢٣٥ (... فوق جأب مطرّد ...) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص٤٧ (... فصكها صخب دعول ...) ، وديوان الشماخ ، ص٦٨ (... فوق جأب ... ضيع الجسم ، و ص ١٥٣ (على أصلاب جأب أخدري ...) ، و ص ١٧٥ (... فوق جأب مطرّد ...) ، و ص ٢٦٧ (... جأب خلا بحلائل ...) ، و ص ٢٩٩ (... علندي مصكاً ...) .

[٤] ينظر ديوان أوس بن حجر ، ص ٧٢ (ورأساً كدنّ التجر جأباً كأنما رمى حاجبيه بالحجارة قاذف) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤١ (... مصك حاتك عنه العقايق صندل) لامرئ القيس بن جبلة السكوني .

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ (يسوقها على الأشراف صعل ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ (بقي عيها المصيف وصار صعلاً ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير منهم مكدّماً معضضاً ، جرّاء صراعه مع الحمر الأخرى ، وصراعه مع الأتن التي يتحكم بها [١] ، فيصفه الشعراء بقبح الوجه والخلقة [٢] ، ويصوّرون تساقط شعره دلالة على سمنه وامتلاء جسمه [٣] ، أما لونه : فأبيض فيه سواد . فقد بدأ كثير من

---

[١] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٠ (بحاجبه كدح من الضرب جالباً وحاركه من الكدام حصيص) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٣ (... مكدم ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٦ (... قد كدّمته المساحل ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٧٣ (يصرّف للأصوات والريح هادياً تميم النضى كدحته المناسف) ، و ص ٧٣ (ورأساً كدنّ التجر جأباً كأنما رمى حاجبيه بالحجارة قاذف) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (فتصكّ محجره إذا ما استافها وجبينه بحوافر لم تنكب) ، و ص ١٨٧ (... حيال يكادم فيها كداماً) ، وديوان الأعشى ، ص ١١٩ (إذا دنا منيا التقته بحافر كأنّ له في الصدر تأثير محجم) ، و ص ١١٩ (... جأب مكدم ...) ، و ص ٣٢٥ (إذا ما ردّ تضرب منخريه وجبهته كما ضرب العضيد) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١١٦ (... جأب معلم بكدوم) ، و ص ٣٠٤ (أو مسلم وسقت لأحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدامها) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٩١ (إذا كان منها موضع الردف زيفت بأسمر لام لا أرح ولاوجى) ، و ص ١٥٦ (مدلٌ شرّد الأقران عنه عراك ما تعاركه الحمير) ، و ص ١٦٨ (يزر القطا منها فتضرب نحره ومجتمع الخيشوم منه نسورها) ، و ص ٢٢٩ (إذا ما استافهنّ ضربن منه مكان الرمح من أنف القدوع) ، و ص ٢٦٨ (يرمحنه بعد اللمام أوابيا شمساً فقد أحنقنه إحناقا) ، و ص ٢٩٩ (... بليته من زر الحمير كلوم) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤١ (ألد شديد الأخذعين بليته من الزر أبلاد جليب ومخضل) لإمرئ القيس بن جبلة السكوني.

[٢] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ (... شتيم كذلق الزجّ ذي ذمرات) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٥ (... على شتيم أحقب) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٧ (... أذلك أم عراقي شتيم ...) ، و ص ٩٧ (... أقبّ كعقد الأندري شتيم) ، و ص ١٢٨ (ربذ كمقلاة الوليد شتيم) .

[٣] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ (يطير عفاءً من نسيل كأنه سدوس أطارته الرياح وخوص) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٧١ (كأن بريقه برقان سحل جلا عن متنه حرض وماء) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ (له ثاد يهتز جعد كأنّه مخالط أرجاء الـ[illegible]) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٧ (حتى إذا انجرد النسيل كأنه زعلب يطير وترسف مجلوم) ، و ص ٢٣٧ (وزال النسيل عن زحالين متنه فأصبح ممتدّ الضريقة قافلا) ، وديوان سلامة [illegible] ، ص ١٤٢ (مستخرق [illegible] رماءه ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٠٧ (كأنّ نسالاً في المراغ وفوقه شماميط سربال عليه مزيق) ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ١٢٧ (مستنثل هلب العسيب خلافه وخلافها كلقى الخليف المعصر) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشـــعراء قصة تشبيهاته بنسبة الحمار الى لونه [١] ، أي من الجون . فأكثر الشعراء من وصـــف بطـــنه وعجيـــزته بالـــبياض [٢] ، كما كانو يكثرون وصف عجيزتها بالبياض ايضا [٣] .

ويظهـــر خطان أسودان على طرّة متنه[٤]، وقد أجمل الشمّاخ القول في لون حمر الوحـــش ، ففي بطونها ومؤخراتها بياض ، ويلتفُّ السواد حول رقابها . وعلى ظهورها وأذنابها ، فتبدو كأنها لابسة ثوباً مخططاً بلونٍ أبيض ولون أسود في قوله [٥] :

---

[١] يـــنظر ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ١٨٠ (أذلك أم جون بطارد آتناً ...) ، . وديوان النابغة الذبياني ، ص٢١٨ (... مـــن الجونـــي هاديـــة عـــنون) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٣٦(جون أضرُ بملمع ...) وديـــوان لـــبيد بـــن ربيعـــة ، ص ٩٦ (... تضمنّه جون السراة ...) ، و ص ١١٧ (جون تربع في خلى وســـميّه ...) ، و ص ١٢٦ (... جون بصارة ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٦٨ (... وخلا بجون ...) ، وص ٢٨٢ (... حتى استغاثت بجون فوقه حبك ...) ، وص ٢٩٩ (كأني كسوت الرحل جوناً رباعياً ...) .

[٢] يـــنظر : ديـــوان امرئ القيـــس ، ص ٤٥ (... على أبلق الكشحين ليس بمغرب) ، وديوان زهير بن أبي ســـلمى ، ص ٧١ (كـــأن بـــريقه بـــرقان ســـحل جلا عن متنه حرض وماء) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ (... كـــأنّ بيـــاض لبـــته سدين) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ (كأني كسوت الرحل أحقب قاربـــا ...) ، وديـــوان بشر بن أبي خازم (... على شتيم أحقب) ، و ص ١٨٧ (كأنّ قتودي على أحقب ...) ، وديـــوان الأعشـــى ، ص ١١٩ (كأحقب بالوفراء ...) ، و ص ١٦٥ (تراها كأحقب ذي جدتين ...) ، وديـــوان لـــبيد بـــن ربيعة ، ص ٣٠٤ (أو ملمع وسقت لأحقب لاحه ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ (كـــأني كســـوت الـــرحل أحقب ناشطاً) ، و ص ١٦٦ (كأنّ قتودي فوق أحقب قارب ...) ، و ص ٢٤٥ (كـــأني كســـوت الرحل أحقب سيوقاً) ، و ص ٢٦٦ (... أم أحقب قارب ...) ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ١٢٧ (وكأن رحلي فوق أحقب قارح ...) .

[٣] يـــنظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٧٩ (أرنٌ على حقب حيال ...) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٠ (كمصلصـــل يعـــدو على بيدانةٍ حقباء ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ (يقلّب حقباء العجيزة ســـمحجا ...) ، وديـــوان الشمّاخ ، ص ١٧٥ (... من الحقب لاحته الجداد الغوارز) ، و ص ٢٦٧ (في عانـــة حقـــب ...) ، و ص ٢٨٠ (كـــأنّ رحـــلي على حقباء قارية) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٠ (كـــأني عـــلى حقـــباء خـــدّ لحمها ...) لامرئ القيس بن جبلة السكوني ، و ص ١٥٦ (كحقباء من عون السراة رجيلة ...) لعبد الله بن ثور العامري .

[٤] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ (كأنّ سراته وجدّة متنه كـــنائن يجـــري بيـــنهنّ دليص) ، وديـــوان الأعشـــى ، ص ١٦٥ (تـــراها كـــأحقب ذي جدتين ...) ، وديوان الشمّاخ ، و ص ٢٣٨ (كأنّ متونهنّ مولياتٍ عصي جناح طالبة لموع) .

[٥] ديـــوان الشـــمّاخ ، ص ٢٦٧ . وبهامشـــه : العانة : قطيع من حمر الوحش ، حقب : في بطونها بياض ، الجدد : الخطوط السوداء ، البرد : ثوب به خطوط ، أخلاق ، باليات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في عانة حقب علت أصلابها جدد وحان سوادها الأعناقا

سالت على أذنابها وتخالها برداً على أكتافها أخلاقا

أمّا صوته ، فقد اهتمّ الشعراء الجاهليون به وأولوه اهتماماً خاصاً ، فنسبوا الحمار لهذا الصوت في بداية تشبيهاتهم الملحمية [١] ، كقول زهير بن أبي سلمى في بداية التشبيه [٢] :

وكأنّها صحل الشحيج مطرّد أخلى له حقب السّوار ومذنب

يستخدم الحمار صوته في تجميع الأتن وسوقها ، فنراه وهو يصيح بها بأعلى صوته [٣] ، فنراها تستجيب بسرعة لطلبه ، يقول امرؤ القيس [٤] :

---

[١] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٠ (كمصلصل ...) ، و ص ٣٧٢ (وكأنّها صحل الشحيج ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢٠ (... من الجونيّ مشحاج شنون) ، وديوان الأعشى ، ص ٧ (... كعدو المصلصل الجوّال) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٦ (أضرّ بمشحاج ...) ، و ص ١٢٥ (أو مسحل سنق) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٨ (كمشحاج ...) ، و ص ٢٤٧ (قطوف شحوج ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٠ (إران و شحّاج من الجون ... من الحقب صلصل ...) لأمرئ القيس بن جبلة الكوني .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٢ .

[٣] ينظر : ديوان أمرئ القيس ، ص ٧٩ ، و ص ١٨٢ (أرنّ عليها قارباً وانتحت له ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة (أرنٌ على نحائص كالمقالي) ، و ص ٨٥ (... يرنّ عليها تارة ويصوم) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٧ (أرنّ فصكها صخب دعول ...) ، و ديوان الشماخ ، ص ١٥٥ (أقبٌ كأنّ منخره إذا ما أرنٌ على تواليهنّ كير) ، و ص ١٥٧ (فلمّا أن تغمرٌ صاح فيها ...) ، و ص ١٦٨ (فصاح بقبٍّ كالمقالي ...) ، و ص ١٩٩ (حداها برجع من نهاق ...) ، وص ٢٦٦ (... صحل يرجّع خلفها التنهاقا) ، و ص ٢٤٧ (... له حين يستولي بهنّ نهيق) ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ١٢٧ (لم يعدُ أن فتق النهيق لهاته ...) .

[٤] ديوان امرئ القيس ، ص٧٩ . وبهامشه : أرنٌ : صوّت ، الحقباء : البياض العجز ، الحيال : جمع حائل : وهي التي لم تحمل ، الطروقة : التي يضربها الفحل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرنّ على حقب حيال طروقة كذود الأجير الأربع الأشرات

ونسمعه وهو يجيب بصوته على أصوات الحمر الأخرى ، كما قال سلامة بن جندل [١] :

متخرّق سلب الربيع رداءه صخب الظلام يجيب كل نهاق

حتى أنّ الشعراء شبّهوا الحمار وهو يردّد النهيق ويطيل فيه ويقصر ، بشارب خمرٍ يتغنّى ، يقول في ذلك امرؤ القيس[٢] :

يغرّد بالأسحار في كلّ سدفة تغرّد ميّاح الندامى المطرّبُ

فكأنّ الحمار – حين يرسل نهيقه في الاتجاهات كلها – شارب خمر أطرب ندمانه بصوته وتمايله . وترد هذه الصورة عند لبيد بن ربيعة فيفصّل فيها أكثر من ذلك[٣] :

يطرّب آناء النهار كأنّه غوي سقاه في التّجار نديم

أمليت عليه قرقف بابليّة لها بعد كأسٍ في العظام هميم

فكأنّه وهو يردّد النهيق رجل سقاه نديمه خمراً بابلية ، سريعة التأثير فيمن يشربها ، فيظهر تأثيرها في صوته وحركاته ، فلا يتحكّم بنفسه ، بل يفعل ما يخطر بباله ، وقد تكرّر مثل هذا التشبيه عند لبيد بن ربيعة أيضاً[٤]، وعند الشمّاخ الذبيانيّ[٥] .

فهل كان حقاً منظر الحمار وهو يغرد شبيهاً بمشهد شارب الخمر ، أم أنّ الشاعر أراد تبيان علو صوت ذلك الحمار وقوته واستمراريّته في التصويت ، وبما انعكس في حركات جسمه التي كانت تتوافق مع الأصوات التي كان يصدرها ، بمنظر

---

[١] ديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٢ . متخرّق : طال سفره ، القاموس المحيط (خرق) ، صخب : شدة الصوت ، القاموس المحيط (صخب) .

[٢] ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ . السدفة : الظلمة تميميّة والضوء : قيسية ، القاموس المحيط (سدف) ، مياح : الذي يميح في جانبيه .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٦ – ٩٧ . وبهامشه : هميم : دبيب .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٨٥ .

[٥] ديوان الشماخ ، ص ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــتحقّق فـــي ذاكرة الجميع ، بل أمام عيونهم ، وهو مشهد المخمورين الذين يصدرون أصواتاً قويّة بعفويّة تامّة ، فكانت هذه الصورة هي ما يقرّب ما أراد الشاعر تصويره .

وشـــبّه لـــبيد الحمار وهو يرجّع النهيق مرّات عديدة ، وهو يرفع رأسه ويخفّضه فيشـــتدّ جســـمه تـــبعاً لذلـــك ويرتخي ، برئيس يُعلم قومه بأنّ هناك جيشاً سيهجم عليهم ويغتالهم :

كأنّ سحيله شكوى رئيس يحاذر من سرايا واغتيال [١]

ويشبهه زهير برجل يدعو صاحبه من بعيد ، وهو يصرخ بأعلى صوته :

كأنّ سحيله في كل فجر على أحساء يمنود دعاء [٢]

ويظهـــر أن الحمار يستعدُّ للنهيق حين يشمُّ ثرى أبوال الأتن والحمر ، كما يقول الشمّاخ [٣] :

متى ما يسف خيشومه فوق تلعة مصامة أعيار من الصّيف ينشج

وقوله أيضاً [٤] :

دءول إذا ما استاف منها مصامة له من ثرى أبوالهنّ نشيق

ويكـــون صوته إذا طلب أنثاه كصوت حادي الإبل الذي يتغنّى ويحدو أو كصوت مزمار ، في قول للشمّاخ [٥] :

له زجل تقول أصوت حادٍ إذا طلب الوسيقة أوزمير

ويصوّر الشعراء همهمته وصوته داخل جوفه وحشاه ، فلا تخرج نهيقا :

بهمهمة يردّدها حشاه وتأبى أن تتمّ إلى اللهاة [٦]

---

[١] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٤ .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٧٠ . السحيل : الصوت يدور في صدر الحمار ، القاموس (سحل) .

[٣] ديـــوان الشمّاخ ، ص ٩٣ . وبهامشه : مصامة : موضع أروات الأعياء في الصيف ، نشج : تهيأ للنهاق ، التلعة : الأرض المرتفعة .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٢٤٧ . وبهامشه : دءول : مشية فيها ضعف وعجلة ، استاف : شم .

[٥] المصدر ذاته ، ١٥٥ . وبهامشه : الزجل : صوت فيه حنين وترنم ، الوسيقة : إنثاه التي يضمها .

[٦] المصدر ذاته ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو أنّ صوته القوي ، ينتهي بحشرجة داخل جوفه ، فيهمهم :

بعيد المدى التطريب أولى نهاقه سحيل وأخراه خفيّ المحشرج [١]

ويهـــدف مـــن هذه الحشرجة أو الهمهمة إخافة الأتن بصوت غير عالٍ ، فيجعل الصوت داخل جوفه :

يحشرجها طوراً وطوراً كأنّما لها بالرّغامى والخياشيم جارز [٢]

فكأنّه حين يفعل ذلك مخنوق الأنفاس :

صخب الشوارب والوتين كأنّه مما يغرّد موهناً بخناق [٣]

قطوف شحوج باليفاع كأنّه لما ردّ لحياة السحيل خنيق [٤]

فالصـــوت إذن مهـــمٌّ جداً للحمار ، إذ إنّه يطبّق به قانونه على الأتن ، فيناديها ، ويزجـــرها ، ويداعبها ، ويسوقها ، ويحذّرها من الخطر فيحميها ، ويظهر به فحولته ، يقول الدميري [٥] : (ويقال للحمار الوحشي الحاد الصوت صال وصلصال ، كأنّه يريد الصـــحيحة الأجساد ، الشديدة الأصوات ، لقوّتها ونشاطها) ، فالصوت القوي إذن دليل عـــلى قوّة الحمار ونشاطه ، ودليل على اشتياقه للأتن فيطلب به التواصل الودي معها ، فيكـــون الصـــوت ســـلاحاً لتفاهمه مع الأتن ، وسلاحاً في انقاذها من الأخطار ، وميزة تتميّز بها الحمر عن بعضها .

---

[١] المصدر السابق ، ص ٨٨ . وبهامشه : السحيل : أشد نهيق الحمار .

[٢] المصـــدر ذاته ، ص ١٩٦ . وبهامشه : الحشرجة : تردد الصوت في الصدر ، الرغامى : الكبد أو الرئة ، الجارز : السعال أو النخس .

[٣] ديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٣ .

[٤] ديـــوان الشـــمّاخ ، ص ٢٤٧ . وبهامشـــه : قطـــوف : بطـــيء ، شحوج : كثير الشحاج ، اليفاع : التل المشرف .

[٥] حياة الحيوان الكبرى ، ج١ ، ص٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتـبدأ القصّة حين يظلُّ الحمار ينعم بنبت الربيع ، حتى إذا جاء الصيف بشمسه الحارقـة نشفت الأعشاب ويبست . وقلّ الماء وجفّت الغدران ، فيفتك به الظمأ [١] ، كما يقول زهير بن أبي سلمى [٢] :

حتى إذا لوح الكواكب شفّة من الحرائر والسقا المتنصّب

أو كقول لبيد بن ربيعة [٣] :

وتصيفا بعد الربيع وأحنقا وعلاهما موقوده المسمومُ

فـلا يجـد الحمار وأتنه ماء يشربونه ، أو نباتاً يأكلونه إلا اليابس القليل ، فحين يـرى الحمـار بأنّ الأمور أصبحت سيئة ، بحيث أصبح من غير الممكن العيش في هذا المكـان ، يـنهمك في التفكير العميق ، فيجهد نفسه في تعيين أقرب موارد المياه إليه ، يقول أوس بن حجر في وصف عملية التفكير تلك :

وأخلفه من كل وقطٍ ومدهـنٍ نطـاق فمشروب يباب وناشـف

وحلأهـا حتى إذا هي أحنقت وأشرف فوق الحالبين الشراسف

---

[١] يـنظر : ديـوان امرئ القيس ، ص ١٨١ (تصيفها حتى إذا لم يسغ لها ...) ، و ص ١٨٢ (تغالبن فيه الجـزء لولا هواجر جنادبها صرعى لينّ فصيص) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ (ترتع صارة حـتى إذا ما فنى الدحلان عنه والإضاء) ، و ص ٢٧١ (صافا يصوف بها على قل الصوى ...) ، و ص ٢٧٤ ، وديـوان أوس بـن حجر ، ص ٦٨ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (... حدب الإكام وكل قـاع مجدب) ، وديوان الأعشى ، ص ٧ (لاحه الصيف ...) ، و ص ١٢١ (فلمّا علته الشمس واستوقد الحصى ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٢ (شهور الصيف واعتذرت عليه نطاف الشيطين من السمل) ، و ص ١٢٦ (وتصيفا ...) ، و ص ٢٣٦ (فلمّا اعتقاه الصيف ماء ثماده وقـد زايل البهمى سـفا العـرب ناصلاً) ، و ص ٣٠٦ (ورمى دوابرها السقا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٦ (فلمّا قنصت عنه البقايا وأعـوز من مراتعه اللوّيا) ، وديوان الشـمّاخ ، ص ١٥٤ (فـلمّا أن رأى القـريان هـاجت دوابرها ولاحته الحرور) ، و ص ١٦٧ (فلمّا فنى الأسـمال غاضـت وقلصـت ثمائلها وتابع الشمس صورها) ، و ص ١٧٥ (طوى ظمأها في بيضة القيظ بعدما جـرت في عنان الشعريين الأماعز) و ص ٣٠٠ (إلى أن علاه القيظ واستنّ حوله أهابي منها حاصب وسموم ، وأعوزه باقي النطاق وقلّصت ثمائلها وفي الوجوه سهوم) .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٤ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخبٍّ سفا قريانه وتوقّدت ... عليه من الصمّانتين الأصالف

فأضحى بقارات السّتار كأنّه ... ربيئة جيش فيه ظمآن خائف

يقول له الرّاعون هذاك راكب ... يؤبّن شخصاً فوق علياء واقف

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه ... كما صدّ عن نار المهوّل حالف [١]

فبعد أن أصبح الماء شحيحاً ، وجفّت الحفر من الماء ، ويبست النباتات ، وبعد أن أصاب الأتن النحول والضمور ، حين توقدّت الشمس وارتفعت الحرارة ، انفرد الحمار عن الأتن ، واعتلى قمّة ، فظهر كأنّه الجندي الذي يسبق الجيش ، فيستطلع أخبار العدو ، يفتك به الظمأ ، والخوف من الوقوع في أيدي الأعداء ، فكأن الحمار – وهو على القمّة – لا يظهر جسمه كاملاً ، حتى لا يستبين ، فرأسه متوجّه نحو الأرض مرة ونحو السماء مرّة أخرى ، لانهماكه في التفكير والتذكّر ، في رواحه ومجيئه ، حتى إذا رآه الراعون قالوا بأنه رجل يؤبّن ميتاً فوق قمّة ذلك الجبل ، حيث تظهر هذه التشبيهات حركة حمار الوحش ، حين يرفع رأسه إلى أعلى ثم انزاله إلى أسفل ثم إلى يمينه وإلى شماله ، كل ذلك لتصوير الحمار وهو منشغل بالبحث عن رأي صائب ، ويؤكد الشاعر هذه الحركة في البيت التالي ، فيقول بأن الحمار إذا صادفت عيناه ضوء الشمس – في إحدى هذه الحركات – فإنه يشيح بوجهه وعينيه عن إشعّتها ، مثله في ذلك مثل الرجل الذي يصدّ عن نار المهوّل حين يطلب منه أن يحلف بها ، يصدُّ عنها هيبة لها ، وخوفاً من الحلف بها إذا كان مذنباً .

والحمار يقلّب الأمور ؛ ليختار أحسنها وأسلمها له ولأتنه ، فنراه كأنه يفكّر فوق أحناء ساق ، في قول لبيد :

يقلّب أطراف الأمور تخاله ... بأحناء ساق آخر الليل ماثلا [٢]

---

[١] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ – ٦٩ . وبهامشه معاني الكلمات : الوقط : حفرة في الجبل يجتمع فيها ماء السماء ، وكذلك المدهن ، نطاف الماء القليل ، يباب : لا ماء فيه ، حلأها : طردها ، أحنقت : ضمرت ، الشراشف : أطراف الأضلاع ، خب السفا : أرتفع وطال ، القريان جمع قري وهو سيل الماء ، الأصالف : الصلب من الأرض فيه حجارة ، القارات : حبيل مستدق ملموم في السماء ، الربيئة : الطليعة .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيبقى صامتاً ، كأنّه الفارسيّ وضع عليه التاج ، فلم يتحرّك ، ولم يتكلم ، في قول للشمّاخ [١] :

يظلّ بأعلى ذي العشيرة صائماً عليه عليه وقوف الفارسي المتوّج

وصورة استغراق الحمار في التفكير هذه تتكرّر عند الشعراء الجاهليين إضافة إلى ما ورد سابقاً [٢] .

ولا ينزل الحمار عن قمّة الجبل أو المرتفع ، حتى يتذكر المشرب أو المورد القريب الذي سيرتاده مع الأتن [٣] ، كما قال أوس بن حجر [٤] :

تذكّر عيناً من غمازة ماؤها له حبب تستنُّ فيه الزخارف

فيسوق الأتن [٥] إلى الماء الذي تذكّره بسرعة شديدة وخبرة كبيرة ، كما يقول امرؤ القيس :

---

[١] ديوان الشمّاخ ، ص ٩٤ .

[٢] وترد أيضاً ، في : ديوان الشمّاخ ، ص ١٦٨ (فظلّ على الإشراف يقسم أمره أينظر جنح الليل أم يستثيرها) ، و ص ١٧٧ (لبنٌ صليل ينتظرن قضاءه بضاحي عذاه أمره وهو صامز) ، و ص ٣٠٠ (فظلّ سراة اليوم يقسم أمره مشتّ عليه الأمر أين يروم) ، (وأفلقه هم دخيل ينوبه وهاجرة جرّت عليه صدوم) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ (يؤامر نفسيه ...) لأمرئ القيس بن جبلة السكوني .

[٣] ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٥ (ارتاع يذكر مشرباً بثمده ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ ، وديوان الأعشى ، ص ١٢١ (... تذكّر أدنى الشرب للمتيمّ) ، و ص ٣٢٥ (... وقد كثر التذكر والفقود) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٢ (وذكّرها مناهل آجنات ...) ، و ص ٢٣٦ ، (ولم يتذكر من بقيّة عهده من الحوض والسوبان إلا صلاصلا) ، و قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ (يؤامر نفسية أعين غمازة يغلّس أم حيث النباج وثيل) لامرئ القيس بن جبلة السكوني .

[٤] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ . وبهامشه : غمازة : بئر معروفة بين البصرة والكوفة ، الزخارف : الثياب .

[٥] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ (فأوردها ماءً قليلاً أنيسه ...) ، و ص ١٨٢ (فأوردها من آخر الليل مشرباً) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٧ (فأوردها حياض صنيعبات ...) ،و ص٢٧١ (فأجازها تنفي سنابكه الحصى متحلب الوشلين قارب ضرغد) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ (يسوقها على الاشراف صعل ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ (فأوردها التقريب والشدّ منهلاً =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأوردها من آخر الليل مشرباً بلائق خضراً ماؤهنّ قليصُ [١]

وكما يقول الأعشى [٢] :

فأوردها عيناً من السيف ريّة بها برء مثل الفسيل المكمم

وحتى هنا تشارف قصّة حمار الوحش على النهاية ، ويختار الشاعر نهاية قصّته بإحدى طريقتين ؛ فإمّا أن يترك الأتن تشرب الماء وتعوم فيه سعيدة مسرورة وإما أن يضع الشاعر الحمار في محنة أخرى ، فيضع صائداً بقرب مورد الماء ، فتكون النهاية حزينة .

صورة صائد حمار الوحش والنهاية المأساوية

يورد الشعراء الجاهليون في قصّة حمار الوحش ، أسماء صائدين اشتهروا بمهنة الصيد ، ورد من أسمائهم عند أمرئ القيس : عمروٌ صاحب القترات [٣] ، وعند زهير : عميرة وابن البليدة [٤] ، وصائد من قبيلة صباح عند أوس بن حجر [٥] ، وصائد من

= ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (جون أضرّ بملمع يعلو بها حدب الإكام وكل قاع مجدب) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٣ (وذكرّها مناهل آجنات ...) ، وص٨٣ (واقبلها النجاد وشيّعتها ...) ، و ص ٩٧ (فأوردها مسجورة تحت غابة ...) ، و ص ١٢٨ (قرباً يشجُّ بها الخروق عشيّة ...) ، و ص ٢٣٧ (فهيجها بعد الخلاج فسامحت ...)، و ص ٣٠٦ (فمضى وقدّمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت إقدامها) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٨ (فأوردها على طمل يمان ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ (... فأوردها أواجن طاميات) ، و ص ١٥٥ (فطلّ بهن يحدوهنّ قصداً ...) ، و ص ١٥٦ (فأوردهنّ تقريباً وشدّاً شرائع لم يكترها الوقير) ، وص١٦٨ (فأزمع من عين الأراكة مورداً ...) ، وص١٧٩ (ويممها من بطن ذروة رمّة ...) ، وص١٩٨ (فأقبلها نجاد قوين وانتحت ...) ، و ص ١٩٩ (فأوردهنّ المور مور حمامة) ، و ص ٢٨٢ (فطرقت مشرباً تهوى وموردها من الأسيحم فالرنقاء مشمول) ، و ص ٣٠١ (فأوردها ماءً بعضور آجناً ...) .

[١] ديوان امرئ القيس ، ص١٨٢ . وبهامشه : البلائق : المواضع فيها المياه ، قليص : كثير .

[٢] ديوان الأعشى ، ص١٢١ . وبهامشه : السيف : ساحل البحر والوادي ، ريّة : غزيرة ، برءة : جمع برءة وهي بيت الصائد ، الفسيل : جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة ، المكمم : الذي غطي حتى يشتد .

[٣] ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧١.

[٥] ديوان أوس بن حجر ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك عند الأعشى [١] ، وطمل يمان عند عمرو بن قميئة [٢] ، وأبو بشر وأبير ، وجبار بن جزء عند امرئ القيس بن جبلة السكوني [٣] ، وعبيدٌ عند عبد الله بن ثور [٤] ، وأورد الشمّاخ من أسمائهم : صائداً عامرياً [٥] ، والعكراش ، وكعب بن سعد [٦] ، وعثلب وبني عمّار [٧] ، وعامراً أخا الخضر [٨] .

ويظير صائد حمار الوحش ، بأنّه : غائر العينين ، أحرقت جلده أشعة الشمس الملتهبة ، وشقّقت لحمه الريح القادمة من الشرق (السموم) ، حتى أصبح جلده يابساً وناشفاً وأسوداً [٩] بانت عظام ساعديه من قلة اللحم عليهما ، وهو ليس بذي جسم ضخم ، لذلك كانت أصابعه قصيرة وخشنة وغليظة ، ليس له طعام إلا ما تصيده سهامه ، فهو متعوّد على أكل اللحم ، فيتغرّب عن أهله طويلاً في سبيل ذلك [١٠] .

والصائد فقير ، ليس له مهنة غير الصيد [١١] ، له زوجة وصبية صغار ، ينتظرون عودته باللحم الوفير ، لكنّه في قصّة حمار الوحش لا يؤوب باللحم ، فتلومه زوجته على ذلك ، فتلطم وجهها ، يقول عمرو بن قميئة [١٢]

وراح بحرّةٍ لهفاً مصاباً ... ينبّئ عرسه أمراً جليّاً
فلو لطمت هناك بذات خمسٍ ... لكانا عندها حتفين سيّا
وكانوا واثقين إذا أتاهم ... بلحمٍ إن صباحاً أو مسيّا

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ١٢١ .
[٢] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٨.
[٣] قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٢.
[٤] المرجع ذاته ، ص ١٥٦ .
[٥] ديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ .
[٦] المصدر ذاته ، ص ٩٥ .
[٧] المصدر ذاته ، ص ١٨١ ، وقيل في عثلب أنه موضع للماء ، الصفحة ذاتها .
[٨] المصدر ذاته ، ص ١٨٢ .
[٩] ينظر مثل هذا المعنى : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٦ (... رام بعينيه الحظيرة شيزب) .
[١٠] ديوان أوس بن حجر ، ص ٧٠ – ٧١ .
[١١] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ص ١٨٣ (قليل تلاد المال غير قوس وأسهم ...) .
[١٢] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الشمّاخ [١] :

أبو خمس يطفن به صغار غداً منهنّ ليس بذي بتات

وصائد حُمر الوحش ليس كلاّباً كما يظهر في قصّة الثّور والبقرة ، سلاحه الوحيد قوسه ونباله [٢] ، وقد نالت القوس اهتماماً خاصاً عند الشمّاخ ، فقد أولاها عناية كبيرة ، فتكلّم عنها في قصّة طويلة ، فقد لاحق هذه القوس مع القوّاس الذي تحمل في سبيلها مشاق كثيرة ، حين نمت في مكان بعيد ، مشيراً إلى الشجر الذي أخذت منه ، وكيف أنّه أبقاها سنتين تتشرّب ماء لحائها ، وبعد أن تمّت له ، قام بصنعها ، فذهب بها كي يبيعها ، وقد تحدّث الشمّاخ عن تهافت المشترين على الصانع ، ودفعهم الأثمان الباهضة له ، وهو يرفض وهم يترددون ، حتى باعها أخيراً ففاضت عيناه بالدموع ، ثم يأخذ الشمّاخ بوصف تلك القوس ، وتعداد مزاياها [٣] .

يظهر الصائد عند موارد الماء ، حيث ينصب كميناً للحمر عند ورودها الماء ، فيعدُّ له (قتراً أو برأة) ، وهو مكان يختبئ فيه ليرصد الحمر [٤] ، كي لا تراه فتهرب

---

[١] ديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ .

[٢] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٦ – ٣٧٨ ، صورة القوس مفصّلة ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ – ٧٣ ، وديوان الأعشى ، ص ١٢١ ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٨ – ١٥٤ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ – ٧١ ، و ص ٩٥ ، و ص ١٨٣ – ١٩٣ ، و ص ٣٠١ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، لامرئ القيس بن جبلة السكوني ، و ص ١٥٦ – ١٥٧ ، لعبد الله بن ثور .

[٣] ديوان الشماخ ، ص ١٨٣ – ١٩٣ .

[٤] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ (... يحانرن عمراً صاحب القترات) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧١ (... وأبن البليدة قاعدٌ بالمرصد) ، و ص ٣٧٦ (... وعلى الشريعة رابئٌ متحلّس رام بعينيه الحظيرة شيزب) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٧٠ (... ولناموسه من الصفيح سقائف) ، و ص ٧٠ (... أخو قترات) ، وديوان الأعشى ، ص ١٢١ (... بها برء مثل الفسيل المكمّم ... بناهنّ من ذلاّن رام أعدها ... وصادف مثل الذئب في جوف قتره ...) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥١ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٢ (فلاقى أبا بشر على الماء راصداً) لامرئ القيس بن جبلة السكوني ، و ص ١٤٣ (عليه أبير راصداً ما يروقه) السكوني أيضاً ، و ص ١٥٦ (تخاف عبيداً لا يزال ملبداً رصيداً بذات الجرف والعين تطرف) لعبد الله بن ثور ، وديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ (فوافقهنّ أطلس عامري بطي صفائح متساندات) ، و ص ٩٥ (تواصى بها العكراش في كل مشرب ...) ، و ص ١٨١ (وصدّت صدوداً عن ذريعة عثلب ...)وص ٣٠٢ (بحضرته رام أعدّ سلاجماً ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، ويكـــون هـــذا القـــتر عـــادة من الصفائح الصخريّة الرقيقة المغطّاة بأغصان الشجر ، فيجعـــل الصـــائد فيه مكاناً له ، لمراقبة الحمر ، واطلاق السهام عليها حين ترد الحمر ذلك المكان المليء بالماء ، يقول الأعشى [١] :

فأوردها عيناً من السّيف ربّة بها برء مثل الفسيل المكمّم

بناهنّ من ذلاّن رام أعدّهـــا لقتل الهوادي داجن بالتوقّم

فعلى هذه العين أوكار كأنّها النخل الصغير ، بناهنّ صائد من ذلاّن ، خبير بصيد هذه الحيوانات ، يقول عمرو بن قميئة في تصوير ذلك المشهد [٢] :

تردّى برأة لمّا بناها تبوّأ مقعداً منها خفيّا

بعـــد ذلك تقبل حمر الوحش على الماء بحذر شديد في الظلام قبل طلوع الفجر ، فتنـــتظر الأتـــن الحمار ريثما يصل إلى الماء ، ليعرف إن كان آمناً ، فيراقب المكان ، وهو خائف متوجّس من وجود صائد ، يقول زهير : [٣]

فاعتامه عند الظلام فسامه ثم انتهى حذر المنيّة يرقب

ويقول الأعشى في ذلك أيضاً [٤] :

فلمّا عفاها ظنّ أن ليس شارباً من الماء إلاّ بعد طول تحرّم

ويقول عمرو بن قميئة [٥] :

فلمّا لم يرين كثير ذعر وردن صواديا وردا كميّا

لكـــنّ الحمـــار مـــا إن يهم بالشّرب أو الارتشاف ،حتى يرسل الصائد سهمه نحو مقـــاتل الحمـــار، فيطيـــش السهم دون أن يصيب ، يقول أوس بن حجر في تصوير هذا الحدث [٦] :

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ١٢١ .

[٢] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥١ .

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٦ .

[٤] ديوان الأعشى ، ص ١٢١ .

[٥] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥١ .

[٦] ديـــوان أوس بـــن حجر ، ص ٧١ – ٧٢ . وبهامشه : معاطي : مناول ، الشراشف : أطراف الأضلاع ، جائف : يصير السهم إلى الجوف ، النضي : اسم للقدح إذا لم يرش ولم يجعل له نصل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأمهلــه حتى إذا أن كأنّه معاطي يد من جمّة الماء غارف
فأرسله مستيقن الظنّ أنــّه مخالط ما تحت الشراسيف جائف
فمرّ النضيّ للذراع ونحره وللحين أحياناً عن النّفس صارف

فأخطــأ الســهم الحمار ، ومرّ ما بين ذراعه ونحره ، فلم يصبه فطاش السهم ، وهــو مشــهد يتكرر في هذه القصص كثيراً [١] ، فيتحسر الصائد ويلهّف أمّه ، ويعضّ على أصابعه ندماً على إفلات الحمار ، وطيشان السهم .

يقول الشمّاخ [٢] :

فلهّف أمّه لما تولّت وعضّ على أنامل خائبات

وتتكرر أيضاً صورة ندمه على فشله بإصابة ذلك الحمارعند بعض الشعراء [٣] .

فيهــرب الحمــار ، وتهرب الأتن معه ، مبتعدة عن الصائد بسرعة كبيرة ، فتثير الغبار الكثيف الساطع ، ويتناثر الحصى جرّاء ركضها السريع ، يقول زهير [٤] :

فرمى فأخطأه وجال كأنه ألم على برز الإماعز يلحب

فقــد دار الحمــار حــول نفســه ، كأنّــه موجوع جرى من غير هدى ، فقطع المــرتفعات بسرعة كبيرة ، لكنّه رغم هذه الأخطار ، ورغم خوفه الشديد ، لا ينسى أتنه ، بــل يجمّعهــا ويســوقها أمامه ، فيشتد في طلب النجاة بسرعة هائلة ، كأنه طائر في الهــواء ، يــتطاير الحصى لشدة وقع حوافره ، يحثّ الأتن على الإسراع ، فيضع رأسه على مؤخراتها كي تكون أمامه .

فيــترك ذلــك المكــان ، ليبحث له ولأتنه عن مكان أكثر أماناً ، يكون بعيداً عن الصــائدين ، فكــان ســلاحه الوحيد في هذه المحنة ، سرعته الشديدة في الخلاص من الموت .

---

[١] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ١٢١ (فمرّ نضيُّ السهم تحت لبانه وجــال عــلى وحشــيّة لم يثمّم) ، وديــوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥٣ (فخرّ النصل منقصعا رثيماً وطار القدح أشتاتاً شظيا) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٧٠ (فسدد إذ شرعن لهنّ سهماً يــؤمّ به مقاتل باديات ، فلهّف أمّة لمّا تولّت ...) ، و ص ٣٠٢ (فــأنفذ حضــنيها وجــال أمامها طميل يفرّي الجوف وهو سليم) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٥٧ (فأعجله رجع اليمين انصرافها وأخطأها حتف هنالك مزعف) لعبد الله بن ثور .

[٢] ديوان الشمّاخ ، ص ٧١ .

[٣] يــنظر : ديــوان عمــرو بن قميئة ، ص ١٥٣ (وعضّ على أنامله لهيفاً ولاقى يومه أسفاً وعيّا) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٥٧ (فباتت بملتدّ تعشّى خليسة وبات قليلاً نومه يتلهّف) لعبد الله بن ثور .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حمار الوحش والنهاية السعيدة

كل ذلك إذا كان مراد الشاعر أن ينهي قصّة الحمار بنهاية صعبة تعيسة ، يظهر العنف فيها بظهور الصائد ، الذي يطلق سهامه نحو الحمار ، ولكن كثيراً من قصص الحمار هذه ، جاءت دون أن يذكر الشعراء الصائد فيها . فكأنّ الشاعر اكتفى بالأحداث التي أوردها ، من تنعّم الحمار بالربيع ، ومن محنته في الصيف ، وعطشه وجوعه ، وتذكره ، وبحثه عن الماء ، فلم يورد صورة الصائد في قصته لتلك الأسباب ، واختار نهاية سعيدة للحمر ، حتى إذا وجدت الماء عامت فيه ، وشربت منه مبتهجة فرحة .

وأكثر ما ترد هذه النهاية السعيدة ، عند لبيد بن ربيعة ، الذي لم يذكر الصائد في تشبيهاته ، بل كان يكتفي بما مرّ على الحمر من أحداث خطرة ، فها نحن نرى الحمر – عنده – ترد ماءً يخرج من غار في أسفل جبل ، وهو ماء غزير الموج ، يحيط به القصب ، ويسمع عنده نقيق الضفادع الغرقى فيه لغزارته ، فما إن يصله الحمار وأتنه ، حتى يخوض الحمار الماء الذي يغطيّ صدره ، وتتبعه الأتن فتعوم فيه سعيدة مبتهجة أخيراً [١] :

فتضيّقا ماءً بدحل ساكناً ... يستنُّ فوق سراته العلجوم

غللا تضمّنه ظلال يراعة ... غرقى ضفادعه لهنّ نئيم

فمضى وضاحي الماء فوق لبانه ... ورمى بها عُرض السّريّ يعوم

ويقول الشمّاخ في تصوير مشهد سعادة الحمار والأتن حين فازت بالماء [٢] :

فأوردهنّ تقريباً وشدّاً ... شرائع لم يكترها الوقير

فخاض أمامهنّ الماء حتىّ ... تبيّن أن ساحته قفير

فلمّا أن تغمرّ صاح فيها ... ولمّا يعله الصّبح المنير

---

[١] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٣٠ . وبهامشه : دحل : غار يكون في أسفل جبل ، العلجوم : الضفدع أو الموج . ، الغلل : الماء الظاهر الجاري ، النئيم : الصوت الضعيف ، لبانه : صدره ، السري : النهر .

[٢] ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ . وبهامشه : التقريب : ضرب من العدو ، الشد : السرعة في العدو ، الشرائع : موارد الشاربة ، الوقير : الغنم السائمة الكثيرة ، التغمّر : شرب دون الري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحمـــار يسرع بأتنه ، فيوردهنّ ماءً صافياً لم تكدره الأغنام ، فيخوض أمامهن المـــاء ، ليتـــبيّن بأن المكان خال من الصائدين ، فيشرب وتشرب الأتن ، لكنه لا يطيل المكوث حتى يسوقها أمامه مبتعداً عن الأخطار .

ويظهـــر من هذه الصورة المتكررة عند الشعراء [١] ، بأنّ الحمار كان يضع نفسه هو في موضع الخطر فلا يعرّض الأتن له قدر استطاعته ، فحينما يبحث عن مورد ماء ، يكـــونّ خـــلفها ، ويســـوقها ، لـــتكون عيـــنه على الجميع ، فيرى القطيع كله ، وعند الوصول إلى الماء ، تراه يتقدمها ، فالخطر في المقدّمة هناك ، فيضحي بنفسه ، ويكون عرضة لسهام الصائدين القاتلة ، فيخوض الماء ، فإن رآه آمناً شربت الأتن ، وإن قذف الصـــائد بسهمه نحو الحمار ، فإن الحمار ماهر في الإفلات ، فلن يصاب ، فيجري بها بعيداً عن المكان حيث يجعلها أمامه ، فهو لا ينجو بنفسه ، بل إنّه يُنجي الأتن معه .

ويســـوق الباحث نموذجين على قصّة الحمار ، يضع من خلالهما تصوّراً لقصّته الـــتي وردت عـــند كـــثير من الشعراء الجاهليين ، ويمثّل كل نموذج توجهاً مختلفاً عن الآخر فيما يخصُّ نهاية القصّة ؛ بظهور الصائد فيها أو اختفائه .

الـــنموذج الأول لأوس بـــن حجر الذي شبه ناقته بحمار الوحش [٢] ، حيث يبدأ بقوله :

كأنّي كسوت الرّحل أحقب قارباً ... له بجنوب الشيّطين مســـاوف
يقلّـــب قيداداً كـــأنّ سراتهـــا ... صفاً مدهن قد زحلفته الزّحالف
يقـــلب حقبـــاء العجيزة سمحجاً ... بهـــا ندبٌ من زرّه ومناســـف

يـــتخيّل أوس بـــن حجـــر بأنّه حين كسا ناقته رحله ، فأسرعت به – تخيّل وكأنّه وضع هذا الرّحل على حمار وحشي في بطنه بياض ، عجول حين يرد الماء ليلاً ، يشمُّ أبـــوال الحمـــر والأتـــن في ذلك المكان (جنوب الشيطين) ، ثم يمضي أوس مع قصّة الحمار متناسياً نفسه وناقته ، حتى يقصَّ تلك القصّة الطويلة إلى نهايتها .

---

[١] يـــنظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٢ – ١٨٣ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٧ – ٩٨ ، و ص ١٣٠ ، و ص ٣٠٧ ، وديـــوان الشـــنّاخ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ ، و ص ١٦٦ – ١٦٩ ، و ص ٢٢٦– ٢٣٣ ، و ص ٢٤٥ – ٢٤٩ ، و ص ٢٦٦ – ٢٦٨ ، و ص ٢٨٠ – ٢٨٣ .

[٢] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ – ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيقـــول : هذا الحمار يتحكم بالأتن الممتلئة السّمينة المنعّمة ؛ فيقلّبها كيفما شاء ، ويصـــرّف الأتـــان ذات العجيـــزة البيضاء ، التي تظهر الندوب والجروح على ظهرها ومؤخـــرتها مـــن عضّه وزجره ، حتى هنا تكون هذه الأبيات مدخلاً للقصّة التي سيتمّها الشـــاعر بكـــل ما تحمل للحمار من متاعب ، فقد ظهر الحمار إلى الآن منعماً يلهو مع الأتن التي تناسب مزاجه الخاص .

ولكـــن الأمـــور لا تـــبقى عـــلى تلك الحال ، بل تبدأ بالتغيّر والتبدّل ، فتتحرك الأحداث بعكس ما كانت عليه ، فها هي المياه تجفُ حتى من الحفر ، وتقلّ على الحمار وأتـــنه ، فيصاب بالعطش الشديد ، ولم تجد الأتن شيئاً تأكله ، فيصيبها الضمور والهزال ، والضعف :

وأخلفه من كل وقطٍ ومدهن ... نطاف فمشروب يبـــاب وناشف
وحلأها حتى إذا هي أحنقت ... وأشرف فوق الحالبين الشراسف
وخبَّ سفا قريانه وتوقـّدت ... عليه من الصمّانتين الأصـــالف

فقـــد يبســـت النـــباتات ، وبدت الأرض جرداء من الحياة ، يزيد في بؤسها ذاك شـــمس محـــرقة توقـــد الحجارة تحت حوافرها ، فينشب الصراع بين الحمار وظروف الطـــبيعة القاســـية ، التي ما من مجابهتها مهرب ، فلا بدّ للحمار من إنقاذ نفسه ، وإنقاذ أتـــنه ، لأنه مسؤول عنها ، ومن واجبه تخليصها من الأخطار ، ثم يعتلي الحمار جُبيلاً بـــ (قارات الستار) :

فأضحى بقارات الستّار كأنّـــه ... ربيئة جيش فهـــو ظمآن خائف
يقول له الراءون هذاك راكب ... يؤبّن شخصاً فوق علياء واقف
إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه ... كما صدّ عن نار المهوّل حالف

فيـــتأجج الصـــراع داخـــل نفســـه القلقة ، فلا بدّ من التفكير بحلٍ لهذه المحنة ، فتتضـــارب الأفكـــار في رأسه ، فيبدو مرتبكاً منهمكاً في إيجاد حل ما ، فبدا كأنه عين الجيـــش عـــلى الأعداء ، ذهب ليرصد تحركاتهم ، حتى إذا رآه أحد ظنّ أنه رجل يؤبن ميـــتاً فوق تلك القمة ، في تشبيهين يظهران حركة الحمار المرافقة للتفكير ، حيث يظهر رأســـه أحياناً ، وأحياناً يختفي ، كأنّه عين لجيشه على الأعداء ، ويظهر كأنه يدعو لميت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، ويعـدّد حسناته ، ويندبه ويبكي عليه ، فيبدو أن الحمار منهمك في التفكير في حركاته بيـن المجـيء والذهاب والنظر يمنةً ويسرة ، والنظر إلى أعلى وإلى أسفل ، فكان إذا صـادفت عيناه الشمس أشاح بوجهه عنها ، كما يشيح بوجهه عن نار المهوّل من طلب منه الحلف بها إذا كان مذنباً ، وهذا ما يوضّح حركة الحمار تلك .

وينـتج مـن صراع الحمار مع الذاكرة ، وانهماكه في التفكير ، إلى تذكّر مورد الماء الذي اعتاد وروده :

تذكّر عيناً من غمازة ماؤها ... له حبب تستنُّ فيه الزّخـارف

لـه ثأد يهتزُّ جعـد كأنّـه ... مخالط أرجاء العيون القراطف

فأوردها التقريب والشدُّ منهلاً ... قطاة معيد كرّة الورد عاطـف

فهـي عيـن مـاء في " غمازة " غزيرة الماء ، يطير فوقها الذّباب ، ذات تراب طيـني مـتجعّد ليّـن ، كأنـه قطيفة المخمل ، كل هذه الصورة كانت في ذهن الحمار ومخيلـته ، فمـا إن تكتمل الصورة وتتوضح عن ذلك المكان الذي اعتاد وروده ، حتى يسوق الأتن أمامه بسرعة شديدة ، لأنها – العين – بعيدة .

إلى هـنا كـانت الأحداث تحرك الحمار وفق سيرها السريع في القصّة ، فبعد أن كـان الـزمان ربيعـاً مخصباً ، تحوّل إلى صيف حار حارق لكل شيء ، والتحول في الـزمان مـن الربيع إلى الصيف ؛ وجفاف الغدران من الماء ، وتيبّس النباتات ، هي ما حـدا به إلى التفكير بمواقع المياه ، لذلك كان مجبراً على تلك التصرفات ، كي ينقذ نفسه وأتـنه مـن هـذه المحنة الشديدة ، فيلجأ إلى التفكير والتذكرّ ، فيخرج من هذا الصراع منتصراً على الظروف بتذكر عين من غمازة ماؤها .

ثـم ينعطف الشاعر في قصّة تشبيهه ، فيضع صائداً قرب الماء ، وهو صائد من قبيـلة " صـباح " ، كمـن في قترة المسقوف بالصفائح الحجرية ، ثم يمضي أوس في وصـف هـذا الصـائد ، فهو ظمآن غائر العينين ، تشقق لحمه من الحر الشديد ، حتى بـانت عظام ظهور ساعديه ، وهو ليس بذي جسم ضخم بل قصير غليظ وخشن البنان ، يقول أوس :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلاقى عليها من صباح مدمراً ... لناموسه من الصفيح سقائف
صدٍ غائر العينين شقّق لحمه ... سمائم قيظ فهو أسود شاسف
أزبُّ ظهور الساعدين عظامه ... على قدر شثن البنان جنادف
أخو قترات قد تيقّن أنّه ... إذا لم يُصب لحماً من الوحش خاسف
معاود قتل الهاديات شواؤه ... من اللحم قصرى بادنٍ وطفاطف
قصيُّ مبيت الليل للصيد مطعم ... لأسهمه غارٍ وبارٍ وراصف
فيسّر سهماً راشه بمناكب ... ظهار لؤام فهو أعجف شارف
على ضالة فرع كأنّ نذيرها ... إذا لم تخفّضه عن الوحش عازف

وهو صائد متخصص في صيد حمر الوحش ، فهو أخو قترات ، حيث لا يظهر القتر إلا في قصّة الحمار ، هذا الصائد يعتمد في عيشه على الصيد ، الذي إن لم يأت به ، فإنه في جوع وهزال دائم ، لأنّه متعوّد أكل اللحم وشواءه ، واصطياد هاديات القطيع من الحمر الوحشية ، وهو لا يبيت مع أهله ، بل بين الوحوش ليصيدها ، ليس له إلا سهامه الحادة المحكمة الصنع ، جهّز السهم المريّش القوي ، ووضعه في القوس التي تصدر أصواتاً عالية دليلاً على أصالتها وجودتها .

ثم يعود الشاعر بعد وقفته الطويلة مع وصف الصائد وأحواله إلى إكمال القصّة ، فحين يصل الحمار ، يتقدم الأتن نحو الماء ، ليتأكد من خلوّ المكان من الأخطار ، فيفدي الأتن بنفسه ، ويجعل الخطر نصيبه هو لا نصيبها ، وينتظر الصائد اللحظة المناسبة لإطلاق السهم ، فيقترب الحمار من الماء كثيراً ، حتى كأنّه سيغرف منها بفمه ، وهنا تحين لحظة الاطلاق ، فيطلق الصائد سهمه متيقناً أنّه سيستقر في جوفه بعد اختراقه صدر الحمار وأطراف أضلاعه :

فأمهله حتى إذا أن كأنّه ... معاطي يدٍ من جمّة الماء غارف
فأرسله مستيقن الظنّ أنّه ... مخالط ما تحت الشراسيف جائف
فمرّ النضيُّ للذراع ونحره ... وللحين أحياناً عن النفس صارف
فعضّ بإبهام اليمين ندامة ... ولهّف سراً أمّة وهو لاهف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكـنّ الســهم يمــرُّ بين ذراعه ونحره فلا يصيب ، فلمّا يرَ الصائد ، ذلك يعضُ إبهامــه اليميــن – لامساكه القوس بالشمال – يعضه ندماً على نجاة الحمار ، فلهّف أمّه ســراً فــي نفسه كي لا تسمعه الأتن ، ففي نفسه بعض الأمل في قذف سهم آخر ، لكن الحمــار يدفــع أتــنه بسرعة عن مكان الخطر أمامه ، فلا تتخلف واحدة ، ويستمر في الإســراع بها حتى كأنّ قوائمه زعانف لا تمسُّ الأرض من السرعة ، يضرب الحجارة بحافــريه بقــوّة فيتطاير الحصى بجانبه ، فيسوقها – بسرعة – أمامه بيديه ورأسه فوق مؤخراتها ، ليحثها على الإسراع ، مصوّتاً بأعلى صوته عليها :

وجــال ولــم يعكم وشيّع إلفــه ... بمنقطــع الغضــراء شدٌّ مؤالف
فما زال يفري الشدَّ حتى كأنما ... قوائمــه في جــانبيه الزّعانــف
كأنّ بجنبيه جنابين من حصــى ... إذا عــدوه مــرّا بــه متضايــف
تواهق رجــلاها يديه ورأســه ... لهــا قتب فــوق الحقيبــة رادف
يصرّف للأصوات والرّيح هادياً ... تميم النضــيّ كدّحتــه المنــاسف
ورأساً كدنّ التّجر جاباً كأنّمــا ... رمى حــاجبيه بالحجــارة قــاذف
كلا منخريه سائفــاً أو معشّراً ... بما انفضّ من ماء الخياشيم راعف

فيبدو وجهه مكدّماً معضّضاً كريهاً برأسه الكبير كالدنّ ، وجسمه الغليظ المكدّم ، فكــأنّ حاجبيه رميت بالحجارة ، فيشم أبوال الأتن ، ويتابع النهيق عشر مرّات ، فيسيل الماء من منخريه ،وينهي أوس قصة تشبيهه بانتصار الحمار على الظروف والصائد .

حيــن يظهر الصائد ، ينتقل الصراع بين الصائد والحمار ، لكنه صراع خفيٌّ في صــدر الصــائد ؛ يــدور في ذهنه ويتأجج ، أما الحمار فإنه متعوّد على وجود الصائد ومصــادفته عــند موارد الماء ، لكنّه يتخلّص من هذه المحنة ، لأنّه كان محظوظاً حين طــاش الســهم ، ولم يكن له في مواجهة هذا الخطر إلا الحذر والفرار بأتنه والنجاة بها بعيداً .

لكــنّ الشــاعر يشــعل فتيل الصراع النفسيّ في نفس الصائد ، مثلما أظهرها في ذاكــرة الحمار من قبل ، حين جفّت الغدران ويبست النباتات ؛ فالصائد فقير سيء الحال ليــس له مــن قــوت إلا مــا تصبه سهامه ، فلا بدّ من إتقان الرمية ، والتصويب بدقّة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متـــناهية ، فزوجـــته وصغاره في انتظار عودته باللحم ، وهو رث الثياب ، متغرّب عن أهله في سبيل صيد الحمار ، لذلك لا مجال للخطأ عند هذا الصائد . فيتأزم الصراع في نفســـه ، فيـــزيد من حرصه وتصويبه ، وتعيين اللحظة الملائمة الحاسمة ، فيطلق سهمه واثقـــاً أنه قاتل سيستقر في جوف الحمار ، ويطيش السهم فيعضّ الصياد إبهامه ، وكأنها الـــلحظة التي ينفجر فيها منفّساً عما اعتمل في صدره جراء ترقبه وترصده مظهراً تأثير ذلـــك الصـــراع ، فيلهّف أمّه سراً كي لا تسمع بقية الأتن ، ففي نفسه بقية أمل ، ولكن هيهات فالحمار يهرب بأتنه مبتعداً عنه .

أمـــا الـــنموذج الثاني فإنه للبيد بن ربيعة ، حين شبّه ناقته بأتان وحشيّة [1] حملت مـــن حمـــار في حقيبته بياض ، غيّره كثرة الصراع مع الحمر التي تضربه بحوافرها ، وتعضّه بأسنانها :

أو ملمع وسقت لأحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدامها

ويمضـــي لـــبيد في قصّة الحمار حتى يستكملها ، فيبرز دور الحمار غير مهمل تـــلك الأتـــان ، فيظهر الحمار بأنه يتحكم بالأتن تحكماً تاماً ، لكن هذا الحمار المعضّض المكـــدم حيـــن يعـــلو بها مرتفعاً من الأرض ينكر عصيانها له ، بعد أن كانت مطيعة ، فيرتاب في ذلك بعد أن أصابها الوحام ، ويظل هذا الحمار يعلو بها فوق " أحزّة الثلبوت " خوفاً عليها من الحجارة التي تلوح من بعيد ، لأنه يتوهّم أنّها ممّا يخيف :

يعلو بها حُدب الإكام مسحّج قد رابه عصيانها ووحامها
بأحزّة الثلبوت يرباً فوقهـــا قفر المراقب خوفها آرامها

حـــتى إذا ذهـــب الشـــتاء ببرده ، وشارف الربيع على النهاية أيضاً ، صاما عن المـــاء واكتفيا بالرطوبة ، حينها يبدأ الحمار بالتفكير بعد أن رجعت الأتن إليه في ذلك ؛ لأنـــه ذو رأي سديد محكم ، فعزما على ورود الماء بعد طول انتظار فيحل الصيف على الحمار وأتنه ، فتصيب دوابرها أشواك السقا اليابسة ، وهاجت الريح الحارّة عليها ، فلم يبق أمامهم إلا الرحيل :

---

[1] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣٠٤ – ٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى إذا سلخـــا جمادى ستةً جزءاً فطال صيامه وصيامها
رجعا بأمرهما إلـــى ذي مرّةٍ حصدٍ ونجح صريمة إبرامهـــا
ورمى دوابرها السّفا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

فيجـــري الحمـــار بأتنه بأقصى سرعة لهما ، فأثار هذا الركض غباراً ارتفع في الســـماء حتى حجب الشمس ، فكأنه دخان نارٍ مشتعلة أججتها الرّيح الشمالية ، هذه النار خـــلطت بنبات العرفج الأخضر الغض الطري الذي لم ييبس ، فهو أكثر للدخان ، فكأنه دخان نار ساطع مرتفع وعالٍ .

فتنازعا سبطاً يطير ظلالـــه كدخان مشعلة يشبُّ ضرامها
مشمولة غُلثت بنابت عرفج كدخان نارٍ ساطع أسنامهـــا

فيمضي الحمار مقدماً أتنه عليه :

فمضى وقدّمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت إقدامها

ومـــن عادته أن يقدمها كي لا تضل عن الطريق ، أو تنفصل عن القطيع ، حتى يصل الحمار بها عين ماء مملوءة ، طال فيها النبات كثيراً لغزارة الماء :

فتوسّطاً عرض السرى وصدّعا مسجورة متجاوزاً قُلامها
محفوفـــة وسط اليراع يظلّهـــا منه مصرّع غابة وقيامها

يحيـــط بهـــذه العين أشجار القصب الطويلة المائلة والمعتدلة ، تلقي بالظلال على المـــاء ، فيـــنهي لـــبيد قصته على هذا النحو ، فلا يعرّض الحمار وأتنه لمحنة الصائد ، مكـــتفياً بمـــا قاساه الحمار من العطش والجوع والتفكير بمورد ماء قريب ، ينجي الأتن من العطش والحرّ الشديد .

ويكـــون الصـــراع بين الحمار من جهة والطبيعة القاسية من جهة أخرى ، ولعلّ الأحـــداث وتـــناميها داخـــل نفسيّة الحمار هي ما يلهب الصراع فتحركه وفق جريانها ، وتتحكم في منطق الحمار الذي يحاول معالجة كلّ ظرف أو خطر يلمُّ به بفعل مناسب .

ونـــتيجةً لصـــراعه مـــع الحمر المنافسة ، ومعالجته الأتن المصابة بالوحام ، بدا مكدمـــاً معضضاً ، ووحيداً ، وحين يرحل الربيع ، ويقلّ الماء ، وتجف النباتات وتتيبس ، يضـــطر الحمـــار إلى الـــتفكير والكدّ الذهني الواضح من أجل حلّ المشكلة ، فينشب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصـــراع مـــع الـــذات من أجل تذكرّ مورد ماء قريب ، فيسوق الأتن المتمرّدة بمهارة كـــبيرة ، حـــتى يوصـــلها المـــاء ، فينتهي صراعه المرير مع العطش والجوع بسعادة غامرة ؛ حين يعوم في الماء المظلل بالأشجار ، المحاط بالخضرة .

ولكـــنّ ، لمـــاذا شـــبّه الشاعر الجاهلي ناقته بحمار الوحش أو الأتان الوحشيّة ؟ ولماذا أطال الشاعر في صورة المشبّه به (الحمار) وترك المشبّه (النّاقة) ؟

يـــرى بعـــض الباحـــثين أن التشـــبيه ليس إلا معبراً وذريعة للحديث عن الحمار الوحشـــي ، الـــذي يحـــتمل الطاقات التعبيرية لدى الشاعر لم تحتملها النّاقة [١] ، ورأى آخـــرون بـــأن المشـــبه بـــه يخدم المشبّه ، لأن الشعراء أسرفوا في تصوير المشبه به (الحمـــار) وتـــأكيد صـــفة الســـرعة والإعيـــاء فيـــه بمـــا ينعكس في صورة المشبّه (الـــنّاقة) [٢] ، ويـسبدو أن الشعراء كانوا يسعون إلى شيء من ذلك ؛ فالحمار ليس له ســـلاح في مواجهة الأخطار إلا السرعة التي تميّز بها عن غيره ، فحين يصيبه العطش يجـــري نحـــو الماء بأنته ، وحين يرسل الصائد سهمه يدفع الأتن أمامه بسرعة هائلة ، فهـــو حمـــار قوي مفتول ضامر البطن ، انتصر على الفحول الأخر ففاز بالأتن ، وهذه الصـــفات وغيـــرها تؤكد – في حقيقة الأمر – أن الشاعر كان يضفي هذه الصفات على الحمار كي يستخرج أقصى سرعة له ، والسرعة تخدم موقف النّاقة ؛ التي من مزاياها الجيـــدة ســـرعتها الشديدة ، وما هذه الأخطار التي يذكرها الشعراء ويوردونها في هذه القصـــص إلا لإظهـــار مقدرة الحمار العالية في الركض السريع ، كما ظهر عند أوس ولبيد ، وكما يظهر عند الأعشى [٣] :

---

[١] يـــنظر مـــثلاً : محمـــد عـــبد المطـــلب – قراءة ثانية في شعر امرئ القيس ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون والشـــركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، ١٩٩٦ ، ، ص ١٩٥ . ووهب روميّة – بنية القصيدة العربية ، ص ١٢٩ .

[٢] يـــنظر مثلاً : محمد محمد حسين – أساليب الصناعة في شعر الخمر والاسفار بين الأعشى والجاهليين ، ط١ ، دار النهضـــة العـــربية ، بيـــروت ، ١٩٧٤ ، ص ٥٣ . ونوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص ١٠٣.

[٣] ديوان الأعشى ، ص ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمرّ نضيُّ السهـــم تحـــتَ لبانـــه وجال علـــى وحشيّة لم يثمثم

وجال وجالت ينجلي التّرب عنهما له رهج في ساطع اللون أقتم

كأنّ احتدام الجوف في حمي شدّه وما بعده من شدّة غلي قمقـــم

ولكـــن ، إذا كـــان مـــراد الشاعر سرعة الحمار ، فلماذا يذكر الأتن وتحكّمه بها وذكـــره لمـــوارد الماء ؟ وما فائدة ذلك وغيره في تصوير سرعة الحمار والنّاقة إلا إذا كان الشاعر يهدف إلى شيء آخر إضافة إلى تصوير السرعة .

مـــن ذلـــك يـــبدو أن قصـــة الحمار تلقى بتفاصيلها على حياة الشاعر ، وآماله وتطـــلّعاته ؛ فالحمار سيّد القطيع ، تماماً كالشاعر الذي يمثّل سيّد القبيلة [١] الذي يحرص على حياتها ، ويهتم بأمور أفرادها ، يدافع عنهم في الحرب والسلم ، ويرعى شؤونهم ، فيوجههم إلى الطريق الصحيح ، يعاقب المتمرّد والمذنب ، يعرّض نفسه للخطر دون أن يعرضـــهم ، يـــبحث لهـــم عن المكان الخصيب والماء الغزير ، فقد كان الاهتمام بذكر مـــوارد المياه واضحاً في قصّة الحمار ، قال الهمداني لمن أراد أن يتعرّف إلى مواضع ميـــاه العـــرب : (فليتّبع صفات العرب لمواقع الغيث ، وموارد حمير الوحش ، فهذان الفـــنان يجمعان أكثر مياه العرب وأوطانها) [٢] ، وتكون بذلك قصّة الحمار ذات أهمية كـــبيرة لأنهـــا ترســـم للسامع خريطة جغرافية لموارد الماء في الجزيرة العربية ، مبينة خـــبرة الشاعر الجاهلي ومعرفته الواسعة بخفايا الأمكنة ، ممّا يدل على كثرة ترحّله من مكان إلى آخر .

---

[١] سعيد الأيوبي ، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ، ص ٤٤٦ – ٤٤٧ .

[٢] يـــنظر : لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ط ٣ ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أحصى الباحث ما استطاع من تلك الموارد التي ذكرها الشعراء في قصة حمار الوحش ، كأباطح واسط [١] ، والأبانين [٢] . وأبلى [٣] ، والأجاول [٤] ، وأحزة الثلبوت [٥] . وأحساء الذناب [٦] ، وأحلياء [٧] ، وأحناء ساق [٨] ، وأريك [٩] ، والأسيحم [١٠] ، والإضاء [١١] ، والأعابل [١٢] ، وإير [١٣] . وأيّل [١٤] . والبراعيم [١٥] ، والبرعوم [١٦] ، وبطن ذروة [١٧] ، وثادق [١٨] ، وثميل [١٩] ، وثيتل [٢٠] ، وجفير [٢١] ، وجماد قوٌ [٢٢] ، والجنان [٢٣] ، وحائل [٢٤] ، وحاجة [٢٥] ،

---

(١) ديوان الشمّاخ ، ص ١٩٧ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٨٠ .
(٣) المصدر ذاته ، ١٥٤ .
(٤) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٥ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ٣٠٥ .
(٦) ديوان الشمّاخ ، ص ١٩٤ .
(٧) المصدر ذاته ، ٢٨١ .
(٨) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٧ .
(٩) ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٤ .
(١٠) المصدر ذاته ، ص ٢٨٢ .
(١١) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ .
(١٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٣٦ .
(١٣) ديوان الشماخ ، ص ١٥٣ .
(١٤) قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤١ ، (لامرئ القيس بن جبلة السكوني) .
(١٥) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٥ .
(١٦) المصدر ذاته ، ص ١٢٦ .
(١٧) ديوان الشمّاخ ، ص ١٧٩ .
(١٨) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٩ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ .
(١٩) قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ ، (لامرئ القيس بن جبلة السكوني) .
(٢٠) المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها ، الشاعر نفسه .
(٢١) ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٤ .
(٢٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨١ .
(٢٣) ديوان الشماخ ، ص ٨٦ .
(٢٤) ديوان امرئ القيس ، ١٨١ .
(٢٥) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحـــوض[١] ، والدحـــل [٢] ، والدحـــلان [٣] ، والدكادك [٤] ، وذي هـــاش [٥] ، وذات الجـــــرف [٦] ، وذات الجـــــــزع [٧] ، وذي أبـــــــان [٨] ، وذي الأراك [٩] ، وذي الأراكـــــة [١٠] ، وذي رقـــــد [١١] ، وذي نجـــــار [١٢] ، ورامـــتين [١٣] ، ورحـــرحان [١٤] ، ورمّة [١٥] ، والرنقاء [١٦] ، والسؤبان [١٧] ، والستار [١٨] ، السّراة [١٩] ، والستـــرار [٢٠] ، والستـــوار[٢١]، والشـــرج [٢٢] ، والشـــريعة [٢٣] ، والشـــهاق [٢٤] ،

---

[١] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ .

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٣٠ ، و ص ٢٣٨ .

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ .

[٤] ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٤ .

[٥] المصدر ذاته ، ص٢٨١ .

[٦] قصائد جاهلية نادرة ، ص١٥٦ ، لعبد الله بن ثور .

[٧] ديوان النابغة الذبياني ، ص٢٢٠ .

[٨] ديوان الشمّاخ ، ص١٥٤ .

[٩] ديوان الشمّاخ ، ص ١٨٠ .

[١٠] المصدر ذاته ، ص ١٨٢ .

[١١] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٦ .

[١٢] ديوان الشماخ ، ص ١٦٦ .

[١٣] المصدر ذاته ، ص ٢٤٥ .

[١٤] المصدر ذاته ، ص ١٧٩ .

[١٥] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[١٦] المصدر ذاته ، ص ٢٨٢ .

[١٧] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٦ ، ٢٣٦ .

[١٨] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ .

[١٩] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٦ .

[٢٠] المصدر ذاته ، ص ٢٣٨ .

[٢١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٢ .

[٢٢] ديوان الشمّاخ ، ص ١٨٠ .

[٢٣] المصدر ذاته ، ص ١٩٣ .

[٢٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشيطين[١]، وصارات [٢] ، وصارة [٣] ، والصمّان[٤] ، والصمّانتين[٥]، وصنيعبات [٦] ، وضاحي غذاه [٧] ، وضرغد [٨] ، وطحلاء الشرائع [٩] ، وعاقل [١٠] ، وعشاوز [١١] ، وعويرصات [١٢] ، وعين الاراكة [١٣] ، وعين نخل [١٤] ، وغضور [١٥] ، وغمازة [١٦] ، وقارات الستار [١٧] ، والقرنتين [١٨] ، والقنان [١٩] ، والقنتين [٢٠] ، وقوّ [٢١] ، والكديد [٢٢] ،

---

[١] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ .

[٢] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٧ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٣١ .

[٣] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٥ ، ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٦ ، ص ٢٣٦ ، وديوان الشماخ ، ص ٢٩٩ .

[٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ .

[٥] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ .

[٦] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٧ .

[٧] ديوان الشمّاخ ، ص ١٧٧ .

[٨] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧١ .

[٩] قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٤ ، (لامرئ القيس بن جبلة السكوني) .

[١٠] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١١٦ .

[١١] ديوان الشمّاخ ، ص ١٩٨ .

[١٢] المصدر ذاته ، ص ٢٣١ .

[١٣] المصدر ذاته ، ١٦٨ .

[١٤] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ .

[١٥] ديوان الشمّاخ ، ص ٣٠١ .

[١٦] ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٩ .

[١٧] المصدر ذاته ، ص ٦٨ .

[١٨] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٧ .

[١٩] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٠ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ ، و ص ٢٩٩ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٥٦ ، لعبد الله بن ثور .

[٢٠] ديوان الشماخ ، ص ١٨١ .

[٢١] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[٢٢] ديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومأسل [١] ، وماوان [٢] ، ومدّان [٣] ، ومذنب [٤] ، ومنقطع الغضراء [٥] ، ومنكف [٦] ، ومـــور حمامة [٧] ، وميث النيّر [٨] ، والنباج [٩] ، ونجاد قوّين [١٠] ، ونشز حمامة [١١] ، ونطـــاف الشـــيّطين [١٢] ، ونعـــف القـــنان [١٣] ، والنواصف [١٤] ، وواقصات [١٥] ، والوفراء [١٦] ، ويأجج [١٧] ، ويمنود [١٨] ، واليفاع [١٩] .

مـــن هـــذا وغيره ، فإنّ قصّة حمار الوحش ذات فائدة كبيرة لأنّها تثبت مواضع المـــاء في الجزيرة العربية ، وما هذا الاهتمام الواسع بهذه المواضع إلاّ لأنّ هذه القصة بتفصـــيلاتها تـــنعكس فـــي حياة ذلك الإنسان الجاهلي ؛ فهجرته كانت بحثاً عن الماء ، والصـــراع الذي كان ينشب بين كثير من أحياء العرب كان عند الماء أو من أجل الظفر

---

[١] قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ – (لامرئ القيس بن جبلة السكوني) .

[٢] ديوان الشمّاخ ، ص ٢٩٩ .

[٣] المصدر ذاته ، ص ١٩٥ .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٢ .

[٥] ديوان أوس بن حجر ، ص ٧٢ .

[٦] قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٥٦ لعبد الله بن ثور .

[٧] ديوان الشمّاخ ، ص ١٩٨ .

[٨] المصدر ذاته ، ص ١٦٧ .

[٩] قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ ، (لامرئ القيس بن جبلة السكوني) .

[١٠] ديوان الشماخ ، ص ١٩٨ .

[١١] المصدر ذاته ، ص ٢٠١ .

[١٢] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٢ .

[١٣] المصدر ذاته ، ص ٢٣٥ .

[١٤] ديوان الأعشى ، ص ٣٢٥ .

[١٥] ديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٩ .

[١٦] ديوان الأعشى ، ص ١١٩ .

[١٧] ديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ .

[١٨] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٧٠ ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٧٦ ، و ص ١٩٦ .

[١٩] ديوان الشمّاخ ، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــه ، فحياتهم – كغيرهم من الشعوب – تعتمد على الماء اعتماداً يكاد يكون كلياً ، فهو الغاية وهو الأمل المنشود في هذه القصّة [١] .

ولعـــلّ هـــذه القصّـــة أقـــدر على التعبير عن حالة الشاعر النفسيّة من القصص الأخـــرى [٢] ، فقـــد صـــور الشعراء قلق الحمار على الأتان ، وصوروا حذره وتوجسه وتفكيـــره وتذكـــره ، وتجاربـــه فـــي الحياة ، وخبرته في معالجة أمورها ، وحكمته في الإفـــلات مـــن أخطارها ، كما بينوا إطاعة الأتن له ، فصوّروا منافسيه وغيرته ، ويبدو أن كـــل ذلك يؤكد أنّ الشاعر كان كأنّه يتكلم عن انسان حكيم مجرّب هو سيد قومه ، بل أنـــه يتكـــلم عـــن نفســـه هو ، فقد اتخذ من تشبيه ناقته بالحمار وسيلة لقصّ قصته مع الآخـــرين ، وأنّـــه كان يذود عن قومه ، ويحميهم من كل خطر يتربص بهم ، فيعرّض نفســـه لـــلموت بســـهم الـــرامي – عدو الشاعر والقبيلة – لكن تضحية حمار الوحش – الشـــاعر – بنفسه تفشل خطط ذلك العدو ، فيجنب الحمار " الشاعر " أتنه – قومه – تلك السهام القاتلة بسرعة كبيرة .

ومـــا صفات الصائد التي تحمل القارئ على التعاطف معه إلا محاولة من الشاعر لتصـــوير مـــدى حرص ذلك الصائد على قتل الحمار والنيل منه ، تماماً كأعداء الشاعر الذيـــن يـــرون بأنّ في استمرار حياة الشاعر مقتلاً لهم ، لذا فإنّ حياتهم مرهونة بموته ؛ فقـــد شكل الحمار – الشاعر – بالنسبة لهم الطعام الذي يأكلونه ، العمل الذين يقومون به ، المرأة والصغار الذين ينتظرون لحمه ، المكسب المادي الذي يزيح فقرهم ، كان مقتل الحمار يشكّل استمرار حياة الأعداء القانصين .

لكـــنّ هذه القصّة تقصر مقاومة الحمار للصائد على الفرار فقط ، سلاحه الوحيد قوائـــم قويـــة ســـريعة العـــدو ، إضافة إلى قوة حاسة السمع ، والحذر الشديد والتفكير والتذكّر ، فلم يجابه القانص بالهجوم عليه كما اضطرّ الثور مع الكلاب ؛ فقد قاوم الثور الكـــلاب وفـــتك بها فتكاً رهيباً ، لكنه لم يجابه الصائد نفسه مثل الحمار، الذي رأى أن

---

[١] ينظر : أنور أبو سويلم ، المطر في الشعر الجاهلي ، ص ٢٠٤ .

[٢] وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ص ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــرار هـــو طريق النجاة الوحيدة ، ولعلَّ السبب أن الثور كان ذا قرنين يذود بهما عن نفسه ، أما الحمار فلم تكن وسيلة الدفاع هذه متوفرة في جسمه ، لذلك كان اعتماده على السرعة أكثر من الثور .

ويـــبدو أن الحـــظَّ – فـــي رؤية الشعراء – كان يحالف الحمار في الإفلات من الســـهام ، فهـــو لـــم يسبق السهم ، بل إنه طاش وأخطأ ، فهرب الحمار بعد ذلك ونجاة الحمار نجاة للشاعر وقومه من الأخطار التي تحيط بهم وتلاحقهم .

أمّـــا عن تكرار هذا التشبيه عند كثير من الشعراء الجاهليين حتى كأنهم يرددون القصّـــة نفســـها في قوالب لفظية متشابهة كثيراً تبدو مختلفة أحياناً ، فيبدو أن ذلك أصبح تقـــليداً فـــنياً يمارسه الشعراء لإثبات مقدرة شعريّة وفنية تجعلهم من الشعراء الفحول ، فـــتزداد قـــوة الشاعر وتأثيره في المجتمع ، بحيث لا يستطيع تجنبها – القصص – في قصائده ، فارتبطت هذه الصورة بالنّاقة ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك منه على الإطلاق ، وأن الخـــروج على ذلك يشكّل شذوذاً واضحاً عن أصول القصيدة الجاهلية ، فلم يشبّه الشاعر فرســـه بالحمـــار مثلاً فقصَّ قصته ، بل كانت النّاقة محوراً لعدد من الحيوانات الأخرى كالـــثور والـــبقرة والحمار والظليم والنعامة ... ، مما يشكل تحديداً وتقعيداً في القصيدة الجاهلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

تشبيه الناقة بالظليم والنعامة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
تشبيه النّاقة بالظّليم والنّعامة

يـــرد النعام مشبهاً به للناقة عند كثير من الشعراء الجاهليين ، وهو من التشبيهات التي تناولوها بالتفصيل في إطار التشبيه الملحمي إلى جانب الثور والبقرة والحمار .

فقـــد ورد هذا التشبيه عند امرئ القيس [١] ، وزهير بن أبي سلمى [٢] ، وبشر بن أبـــي خازم [٣] ، وعلقمة الفحل [٤] ، وعنترة العبسي [٥] ، والأعشى الكبير [٦] ، وعبيد بن الأبـــرص [٧] ، والحارث بن حلِّزة اليشكري [٨] ، وقيس بن الخطيم [٩] ، ولبيد بن ربيعة [١٠] ، وثعلبة بن صعير المازني [١١] ، والشمّاخ [١٢] .

وتظهـــر قصّة هذا التشبيه عادة قصيرة مختصرة وموجزة ، فلا يطيل الشاعر بها كـــثيراً ، فســـرعان ما يتركها بعد التعرّض لها في بيتين أو ثلاثة ، وقد جاء بعضها في صـــورة تفصـــيليّة موسّعة قليلاً ، إلا أنها نماذج محدودة في الشعر الجاهلي ، سيتعرض البحث لدراستها .

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ١٧٠ – ١٧١ ، و ص ١٧٩ .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٣ – ٦٤ ، و ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، و ص ٣١٦ .

[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ .

[٤] ديوان علقمة الفحل ، ص ٥٧ – ٦٣ .

[٥] ديوان عنترة ، ص ١٩٩ – ٢٠١ ، (المولوي) .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ .

[٧] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٨٤ .

[٨] أبـــو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ، ط٢ ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٤٤١ – ٤٤٣.

[٩] ديوان قيس بن الخطيم ، ص ٢١٤ .

[١٠] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٧ – ١٤٩ .

[١١] المفضليات ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

[١٢] ديوان الشمّاخ ، ص ٢٧٧ – ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــا إن يعقـــد الشاعر الجاهلي تشبيهه هذا ، حتى يأخذ بإيراد صفات هذا النعام ، فيقـــصّ قصـــته التي جاءت متشابهة عند أغلب الشعراء ، وكان ما يفرّق بين تشبيهاتهم إطالـــة التشـــبيه ، وإيجـــازه ، فمـــن أطال منهم فقد فصّل القول تفصيلاً يعطينا تصوّراً واضـــحاً عـــن قصـــة الـــنعام تلك ، ومن أوجز فيعطي الخطوط العامة للقصّة دون أن يخوض في تفصيلاتها ، فيكون تصوّرنا للقصّة عاماً نفهمه من النماذج المكتملة .

وصـــف الشعراء جسد النعام ، فذكروا بأن رأسه صغير [١] ، وأن أذنيه مصلّمتان [٢] ، وأن أرجلـــه : قليـــلة الرّيش مخضّبة بسبب خصب الربيع فصار لونها أحمر [٣] ، وتبدو مناقيرها كشقّ العصا [٤] وكالخراطيم [٥] .

---

[١] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٣ (كأن الرحل منها فوق صعل ...) ، وديوان بشر بن أبي خـــازم ، ص ١٥٤ (... صـــعل هـــبلّ ...) وديـــوان علقمة الفحل ، ص ٦٣ (صعل كأن جناحيه ...) ، وديـــوان عنـــترة ، ص ٢٠٠ (صـــعل يعـــوذ ...) ، المولـــوي ، وديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ (أو صعلة بالقـــارتين ...) ، وديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٧ (أفذاك أم صعل ...) ، و ص ١٤٨ (صعل كسافلة القناة ...) .

[٢] يـــنظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٤ (أصكّ مصلّم الأذنين ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ (يـــبرى له خـــرب المشـــاش مصلّم ...) ، وديوان علقمة الفحل ، ص ٥٩ (... أسكّ ما يسمع الأصـــوات مصـــلوم) ، وديوان عنترة ، ص ١٩٩ (... بقريب بين المنسمين مصلّم) ، المولوي ، وديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ (أو صعلة بالقارتين ...) .

[٣] يـــنظر : ديـــوان زهيـــر بن أبي سلمى ، ص ٢٤٨ (... على خاضب الساقين أزعر نقنق) ، وص ٢٤٩ (... ســـماوة قشـــراء الوظيفيـــن عوهـــق) ، و ص ٣١٦ (... تخدي كوخد ظليم خاضب زعر) ، وديـــوان بشـــر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ (... يأوى إلى خرق زعر قوادمها) ، وديوان علقمة الفحل ، ص ٥٨ (كأنهـــا خاضب زعر قوادمه ...) ، وص٦١ (يأوى إلى خرق زعر قوادمها ...) ، وديوان عبيد بن الأبـــرص ، ص ٨٤ (كـــأنهنّ نعام نفّر معط ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٧ (كأن عفاءه أوزاع إلقـــاء عـــلى أغصان) ، و ص ١٤٨ (كلف بعارية الوظيف شملّة ...) ، والمفضليات : ص ١٢٩ (بيري لـــرائحة تســـاقط ريشـــها ...) ، (ثعلبة بن صعير المازني) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٧٧ (... ورجلاً خاضب سنق ...) ، و ص ٢٧٧ (... زعراء ريش ذنابها هراميل) .

[٤] ديوان علقمة الفحل ، ص ٥٩ (فوه كشق العصا لأيا تبيّنه ...) .

[٥] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٩ (تحطمّ عنها قيضها عن خراطم ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّـا تفصـيلات هذه القصّة ، فيظهر الظليم ، وحيداً في مرعاه ، وقد يظهر مع عرسـه ورئالـه ، وقـد يكون بطل القصّة الأنثى ، وقد يكون الذكر ؛ فمن الشعراء من شبه ناقته بالظليم ، ومنهم من شبهها بالنعامة .

ويظهـر الـنعام فـي قصّة هذا التشبيه ، وهو يرعى التّوم [١] والآء [٢] وينقف الحنظل [٣] ، يقول زهير في ذلك [٤] :

أصكُّ مصلّم الأذنين أجنى له بالسيّ تتّوم وآء

ويقول علقمة الفحل [٥] :

كأنهـا خاضـب زعر قوادمـه أجنى لـه باللوى شري وتتّوم

يظلُّ في الحنظل الخطبان ينقفه وما استطفّ من التّوم مخذوم

فقد انبت الشجر ثماره ، فظلّ الظليم يكسّر الحنظل ليستخرج حبّه وثمره ، ويقطع التّوم من أغصانه .

ويقول لبيد بن ربيعة [٦] :

سبداً من التّوم يخبطه النّدى ونوادراً من حنظل الخطبان

---

[١] شـجيرة غبراء تنبت حباً دسماً : ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص ٦٤ ، والنعام يحبّه كثيراً ، ديوان بشر بن أبي خازم ، ص١٥٤ .

[٢] الواحدة آءة : ثمر السرح ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٤ .

[٣] يـنظر : ديـوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٤ (أجنى له بالسيّ تتّوم وآء) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ، ص ١٥٤ (أكـال تتوم النّقاع ...) ، وديوان علقمة الفحل ، ص ٥٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٨ (... يمشي خلال الشري في خيطان) ، و ص ١٤٨ (سبداً من التّوم يخبطه الندى ونـوادراً مـن حنظل الخطبان) ، والمفضليات ، ص ١٣٠ (... وغرّد سقبها بالآء والحدج الرواء الحادر) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٧٧ (... كأنّه من جناة الشري مخلول) .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦٤ .

[٥] ديوان علقمة الفحل ، ص ٥٨ .

[٦] ديـوان لـبيد بـن ربيعة ، ص ١٤٨ . وبهامشه : سبدٌ : حين نبتٍ ، يخبطه : يصيبه ، الخطبان : صفرة الحنضل وخضرته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالظـــليم يـــرعى فـــي مكـــان مليء بأشجار التّوم الذي أصابه الندى ، ومليء بالحـــنظل المتـــاقط على الأرض بعد أن بدت فيه طرائق خضراء وصفراء من النضوج فينقفه ، ويأكل منه حتى يشبع .

يبقى الظليم في ذلك المرعى ينعم بالخصب ، ناسياً كل شيء ، حتى تكاد الشمس أن تغيـــب ، أو تتكاثر الغيوم في السماء ، أو تمطر مطراً خفيفاً ، فيشعر باقتراب الخطر منه ، فيتذكّر بيضه وعرسه ، فيسرع إليهما بأقصى سرعته ، يقول زهير بن أبي سلمى [١] :

هل تبلغنّي إلى الأخيـــار ناجيـــة ... تخدي كوخد ظليم خاضـــب زعر

في يوم دجن يوالي الشدّ في عجل ... إلى لوى حضنٍ من خيفة المطر

ويقول علقمة الفحل [٢] :

حتى تذكّر بيضات وهيّجة ... يوم رذاذ عليه الريح مغيوم

ويقـــول لـــبيد بن ربيعة بأنّهما رجعا بعد أن داهمها الظلام ، فكاد أن يحلّ بهما ، فـــتذكّرا بيضهما الذي باضاه في أول الربيع ، فقد طالت إقامة البيض في ذلك المكان ، فهو على وشك أن يفرّخ ، فخافوا عليه من المطر الذي قد يفسده :

حتى إذا أفد العشيّ تروّحا ... لمبيت ربعي النتاج هجان

طالت إقامته وغيّر عهده ... رهم الربيع ببرقه الكبوان [٣]

ومشـــهد تذكّـــر الظليم والنعامة بيضهما ، من المشاهد التي نالت عناية الشعراء الذين وقفوا عند هذه القصّة ، فالبيض على وشك أن يفرّخ ، فجـــاء عند بعضهم قبل أن

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣١٦ .

[٢] ديوان علقمة الفحل ، ص ٥٩ .

[٣] ديـــوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٩ ، وأنظر أيضاً : (ديوان امرئ القيس ، ص ١٧١ (... وتسحقه ريح الصّـــبا كل مسحق) ، والمفضليات ، ص ١٣٠ (فتروحا أصلاً بشدّ مهذّب ... ثرّ كشؤبوب العشيّ الماطر) ، ثعلبة بن صعير المازني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفقس [١] ، وجاء عند بعضهم الآخر ، وقد بدأت الفراخ بكسر القشور عنها [٢] .

ويلحظ على هذه الصورة بعد ذلك أنّ الشاعر يبدأ بتهيئة ظروف خاصة ، القصد من ورائها . افزاع الظليم أو انعامة وإخافتها مما يجعلها تجري بأقصى سرعة [٣] ، وقد كانت وسائل الشاعر في تحقيق هذا الهدف هي : إمّا أن يظهر الغيوم التي تنبئ بقدوم المطر ، أو أن يصوّر الشمس وهي تميل إلى الغروب مؤذنة بحلول الظلام ، أو أن يتذكر البيض الذي سيفسده المطر إن لم يلحق به ، أو الوصول إلى أدحيّة في الضوء ، أو أن يضع الشاعر قانصاً يفزّع النعام وهو نادر في هذه الصورة كما ورد في قول الحارث بن حلّزة [٤] :

آنست نبأة وأفزعها القنّاص عصراً وقد دنا الإمساء

ويؤيد ذلك ما أورده الجاحظ حين تحدث عن طباع هذا الحيوان ، فقال (والظليم يوصف بالجبن ، ويوصف بالنّفار والتّوحّش) [٥] ، ويستغل الشاعر هذا الجبن ، فينصب في قصّته ما يخيف الظليم ، ويزيد في نفوره ، فيستخرج – آنئذٍ – أقصى ما عنده من سرعة .

فيظهر الشعراء الظليم والنعامة ، وهما يجريان – نتيجة الخوف والنفور – بسرعة شديدة ، يتسابقان في الوصول إلى الأدحيّ ، يقول امرؤ القيس [٦] :

---

[١] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٧٩ (... بيض رصيص) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣١٦ (إلى لوى حضن ...) ، وديوان علقمة الفحل ، ص ٥٩ (حتى تذكّر بيضات ...) ، و ص ٦٢ (... فيه البيض مركوم) ، وديوان عنترة ، ص ٢٠١ (بذي العشيرة بيضه ...) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٩ (... لمبيت ربعي النتاج هجان) ، والمفضليات ، ص ١٣٠ (فتذكرت نفلاً رثيداً بعدما ...) .

[٢] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٧٠ (... حول بيض مفلّق ...) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٩ (... من قيضها المتفلّق) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٧٩ (فصادفا البيض قد أبدت مناكبها منه الرئال لها منه سرابيل) .

[٣] نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص ١٤٩ .

[٤] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات ، ص ٢٤٢ .

[٥] الحيوان ، ج٤ ، ص ٣٣٣ ، عبد السلام هارون .

[٦] ديوان امرئ القيس ، ص١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا راح للأدحي أوباً يفنّها تحاذر من إدراكه وتحيص

ويقـول الأعشـى فـي وصـف هذا الجري السريع من النعامة والظليم ، بأنهما يتسابقان في الوصول ، فطوراً تسبقه وطوراً يسبقها :

أو صعلة بالقارتين تروّحت رداء تتّبع الظليم الأربـدا

يتجاريان ويحسبان إضاعة مكث العشاء وإن يغيما يفقدا

طوراً تكون أمامه فتفوتـه ويفوتها طوراً إذا ما خوّدا [١]

أو قول ثعلبة بن صُعير المازني [٢] :

فتروّحا أصلاً بشدّ مهذّب ثرّكشؤبوب العشي الماطر

فـلا ترى خلفها من شدة رجع رجليها ووقعهما إلاّ غباراً يتطاير ، كأنّ أحداً يثير التراب ويذريه :

فترى خلفها من الرجع والوقـ ـع منيناً كأنّه إهباء [٣]

فيصـلان مكـان الـبيض فيجدان الرئال قد كسرت البيض ، فظهرت رؤوسها ، فينكـبان يقشّـران الـبيض عن الفراخ فتخلصها منه ، فتصدر الفراخ أصواتاً ، يقول الشمّاخ [٤] :

فصادف البيض قد أبدت مناكبها منه الرئال لها منه سرابيل

فنكّبا ينفقـان البيض عن بشـر كأنّه ورق البسباس مغسول

ثم استمرّا بحفـّان لـه زجـل كالزّهو أرجلها فيها عقابيل

---

[١] ديـوان الأعشـى ، ص ٢٢٩ . وبهامشه : صعلة : صغيرة الرأس ، الأربد : الأبيض المشوب بسواد ، الظليم : ذكر النعام . التخويد : ضرب من العدو .

[٢] المفضليّات ، ص ١٣٠ . في الهامش : الأصل : العشي ، ثر : شديد ، الشؤبوب : الدفعة من المطر .

[٣] شـرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٤٣ ، الحارث بن حلزة اليشكري . وفي الشرح : المنين ، الغبار الدقيق .

[٤] ديـوان الشـمّاخ ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ . وفـي هامشه : نكبّا : مالا ، ينقفان : يقشران ، البسباس : ورق طيـب الـريح ، الحفّـان : فـراخ النعام ، الزجل : الصوت ، الزهو : نور النبت ، العقابيل : قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــي صورة وردت قبل ذلك عند زهير بن أبي سلمى ؛ فحينما تروّحت النعامة والظـــليم ، يدفعهمـــا الحنان إلى البيض الذي توشك فراخه على الخروج ، وجدا الفراخ وقد تقشّر البيض ، فبانت مناقيرها ، وظهرت أعينها :

تحنُّ إلى مثـــل الحبـــابير جثّم ... لدى سكن من قيضها المتفلّقِ
تحطّم عنها قيضها عن خراطم ... وعن حدقٍ كالنبج لم تتفتّقِ [١]

وقـــد يصـــوّر الشـــاعر الظليم والنعامة حين يصلان البيض فيغطّيانه ويحوطانه بالحنان ، والحماية والدفـــء ، كما يقول ثعلبة بن صعير المازني [٢] :

فبنت عليه مع الظلام خباءها ... كالأحمسيّة في النّصيف الحاسر

وقـــد يظهر الشاعر الظليم ، حين تستقبله أنثاه ، فيوحي لها بنقنقة غير مفهومة ، كأنّهمـــا روميـــان يرطـــنان ، فـــلا يفهم كلامها ، فتحوطه النعامة ذات العنق الطويل ، والساقين الحمرواين ؛ تستقبله بصوت رقيق عذب ، تترنّم ، وتتدلل عليه :

يوحي إليها بإنقاض ونقنقة ... كما تراطن في أفدانها الروم
تحفّه هقلة سطعاء خاضعة ... تجيبه بزمـــار فيه ترنيـــم [٣]

وللنظر في تشبيه علقمة الفحل الذي يقول فيه [٤] :

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٩ .

[٢] المفضليات ، ص ١٣٠ .

[٣] ديوان علقمة الفحل ، ص ٦٢ – ٦٣ .

[٤] المصـــدر ذاتـــه ، ص ٥٨ – ٦٣ . الخاضب : الظليم الذي أكل الربيع واحمرت قوائمه ، الزعر : القليلة الـــريش ، الشـــرى : شـــجر الحنضـــل ، ينقفه : يكسره ، المخذوم : المقطوع ، استطفّ : ارتفع ، السّكك : صـــغر الأذن وضـــيعتها ، المصـــلوم : المقطـــوع الأذن ، التزيد : فوق المشي ، النقف : الذاهب المنقطع ، الـــزفيف : دون الشـــدّ ، المســـؤوم : الممـــلول ، منسمه : ظفره ، المشهوم : الفزع ، خرق : فراخ لوازق بـــالأرض ، الجـــرثومة : أصل الشجرة ، وضاعة : يضع في سيره ، الشرع ، الأوتار ، الجؤجؤ : الصدر ، العـــلجوم : الـــليل أو الجمل الضخم ، الأدحي : مبيض النعام ، المركوم : الذي ركب بعضه بعضاً لكثرته ، الانقـــاض والنقـــنقة : صوته ، الأفدان : القصور ، الصعل : الرقيق العنق الصغير الرأس ، الخرقاء : المرأة الـــتي لا تحســـن العمـــل ، المهجـــوم : الساقط المهدوم ، السطعاء : الطويلة العنق ، الزمار صوت النعامة والعرار : صوت الظليم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنّها خاضـــب زعر قوادمـــه أجنى لـــه باللوى شري وتنّـــوم
يظلُّ في الحنظل الخطبان ينقفه ومـــا استطفّ من التّوم مخذوم
فـــوه كشـــقّ العصـــا لأيا تبيّنه أسكُّ ما يسمع الأصوات مصلوم
حتـــى تذكّر بيضـــات وهيّجـــه يومٌ رذاذٌ عليـــه الرّيـــح مغيوم
فـــلا تزيّده فـــي مشيـــه نفـــق ولا الزفيف دوين الشدّ مســـؤوم
يكـــاد منسمـــه يختـــلُ مقلتـــه كأنّـــه حـــاذر للنخس مشهـــومُ
يأوي إلى خرّق زُعر قوادمهـــا كأنّهـــن إذا بركّـــن جـــرثـــوم
وضنّاعة كعصيّ الشّرع جؤجؤه كأنّه بتنـــاهي الرّوض عُلجـــوم
حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع أدحيٌّ عرسين فيه البيض مركوم
يوحي إليهـــا بإنقـــاض ونقنقـــة كمـــا تراطن في أفدانهـــا الرّوم
صعـــل كأنّ جناحيـــه وجؤجؤه بيت أطافت بـــه خرقاء مهجـــوم
تحفّه هقلة سطعـــاء خاضعـــة تجيـــبـــه بزمـــار فيـــه ترنيـــم

يمـــثّل هذا التشبيه أطول التشبيهات التي تناولت قصّة الظليم في الشعر الجاهلي ، حيـــث شـــكّل التفصيل في صورة المشبّه به قصّة يندر وجودها بهذا الزخم الشعري عند غيره من الشعراء فلقد (أطنب في تشبيه إيّاها بالظليم) [١] .

ينطـــلق عـــلقمة بعد ابتداء التشبيه ، إلى قصّ قصّة الظليم في اثني عشر بيتاً من الشعر ، واضعاً في ذهن السامع تصوّراً شاملاً لقصة ذلك الظليم ، فهو ظليم أكل الربيع حـــتى شـــبع ، قـــليل الـــرّيش ، محمرُّ القوائم ؛ لما كان فيه من الخصب حيث الحنظل والتـــنّوم الناضـــج ، يـــنقف الحـــنظل المخطط بالأخضر والأصفر ، ويتناول التّوم من الأغصان العالية فيقطعه .

---

[١] الحيوان ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ ، عبد السلام هارون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـبدو منقاره كشقّ العصا ، ملتصقاً ببعضه فلا يكاد يظهر ، ليس له أذنان فهو لا يسمع الأصوات لأنه مصلّم الأذنين [١] .

ويستمرُّ علقمة في بيان المزيد من أحوال هذا الظليم ، فقد طال مقامه في هذا المرعى الخصيب ، إلى أن تذكّرَ بيضات له ، وقد زاد في هياجه : سقوط المطر الخفيف عليه ، وخوفه من فساد البيض ، فما أن يشعر بذلك حتى يأخذ في الجري بأقصى سرعة دون كلل أو تعب ، لأنه أراد إدراك البيض أو الفراخ ، حتى أن أظافر رجليه تكاد تمزّق مقلتيه لاتساع خطواته ، فمدّ رأسه إلى الأمام كأنه بعير يسرع في عدوه خشية نخسه ووخزه بقضيب حاد في صفحته .

ويصل الظليم مسكنه ، ويأوى إلى فراخه الصغيرة الملتصقة بالأرض كأنها أوراق أشجار متساقطة ، فيبدو عنقه وصدره كعصي الشرع المتقوسات ، فكأنه لسواده : الليل المظلم ، أو البعير الطويل المطلي بالقطران .

تدارك هذا الظليم – قبل مغيب الشمس – أدحيَّه المليء بالبيض المركوم فوق بعضه ، فوجد أنثاه هناك ، فقام بإصدار أصوات كأنها تعبّر عن اشتياقه ، فكأنهما روم يتكلمون في قصورهم ، فلا يفهم من كلامهم شيئاً .

وهو ظليم صغير الرأس ، كأنّ جناحيه – حين ينشرهما – بيت شعر طافت به امرأة خرقاء لا تحسن رفع أعمدته ، فتحيطه أنثاه الطويلة العنق ، فتميل برأسها عليه ، وتجيب إنقاضه ونقنقته بترنّم ، ودلال أنثوي مليء بالدفء والحنان .

ينتهي تشبيه علقمة بعد أن أنفذ فيه طاقة شعرية كبيرة ، فقصَّ قصّة الظليم حتى فصّل في أحوال هذا الحيوان تفصيلاً لم يسبقه إليه شاعر ، فكانت لوحة شعرية رائعة ، تتصف بالشمول والدقّة .

ولكن ، لماذا أطال الشاعر في صورة المشبه به ، حتى قصَّ قصّة الظليم تلك ؟ يقول محمد النويهي محاولاً الإجابة عن هذا التساؤل : إنّ الشاعر ما أتى بهذا التشبيه

---

[١] ينظر : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الركن ، الهند ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩ ، ج١ ، ص٣٧ ، و ص ٢٧٩ – ٢٨٠ . حديث عن تصليم آذان النعام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا حيلة للتخلص إلى المشبّه به الذي كان مقصوداً لذاته [١] ، وكان برهانه على ذلك ينبع من موقف انطباعي خالص ، فقال : بأنّ لعلقمة تجربة حيّة ، راقب فيها ذكر النعام مراقبة دقيقة . عرف من خلالها أسرار حياته ، فأراد أن يمتّع السامع بهذه القصّة التي تفرّد في تفاصيلها كثيراً ، كما تمتّع لها هو ، فأثارت قريحته بالشعر [٢] .

وقال غيره من الباحثين بأنّ الظليم يخدم موقف الشاعر ويمثله ، فجاء في صورة هذا الطائر الذي يرعى ، فإذا دعي لنجدة القوم ، ترك المكان الخصيب ، ونبذ السعادة والهناء ، وسار لا يلوى على شيء إلا حماية العشيرة ، وحماية حياته مع أسرته [٣] ، وهو بهذا يعطي هذه القصّة صفة الرمزيّة ؛ فهي لا تتناول – بمنظوره – هذا المشهد لأن الشاعر كان معجباً به ، بل لأنّ هذه القصّة تمثّل نمط حياته الذي يحياه ، ويتمسك به .

وقد فسّر أنور أبو سويلم قصّة الظليم عند عنترة بما يلتقي مع القول السابق بقوله : (وتتبدى صورة عنترة الحبشي الرجل ، في صورة الظليم الأسود " والتصليم رمز من رموز العبودية في المجتمع الجاهلي " الذي يحتاجه قومه ، لكنهم لا يستمعون لنداء روحه ، ولا يقدرون على فهم ما يدعو إليه من مبادئ ، لأنّه في منظورهم غريب أعجمي) [٤] ، لذا فإن الشاعر – وفق هذا المنظور – يبحث عن الحياة الآمنة المستقرّة ، والعيش الهادي ، ينشد السلام ، ويبتعد عن الحروب ، ويسعى للاستقرار ، فعبرّ عن كل ذلك بحكاية الظليم والنعامة [٥] .

ويلوح للباحث أنّ الشاعر قد يكون اتخذ من التشبيه وسيلة انتقال إلى موضوع آخر ، فكان التشبيه عنده من أفضل تلك الوسائل لربط أجزاء القصيدة بما تحويه من

---

[١] محمد النويهي – الشعر الجاهلي ، ص ٣٦٢ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٣٤٥ .

[٣] ينظر مثلاً : سيد نوفل – شعر الطبيعة في الأدب العربي ، ص ٦٣ .

[٤] أنور أبو سويلم – دراسات في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ١٩٨٧ ، ص ٢٢ ، ص ٢٢ .

[٥] أنور أبو سويلم – الأبل في الشعر الجاهلي ، ص ١٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواضـــيع متعددة ؛ ولكن هذا القول يبدو غير دقيق إلى درجة تدخله في دائرة من الشك ؛ إذ لـــو كان الشاعر يسعى لإيراد قصّة الظليم والنعامة في شعره لما كان لزاماً عليه أن يقـــرنها دائماً في حديثه عن النّاقة ، فلم لم ترد في حديثهم عن الخيل أو غيرها ؟ ! وهو ما يؤكد أن الشاعر لم يورد هذه القصّة لذاتها ، بل لارتباطها بالنّاقة ارتباطاً وثيقاً .

ويتـــبدى ذلـــك الارتـــباط ، فـــي التشـــابه بيـــن النّاقة والنعام في الشكل ، يقول الجـــاحظ [١] : (إنهـــا لا طائـــر ، ولا بعير ، وفيها من جهة المنسم والوظيف والخزمة والشـــق الذي في أنفه ما للبعير ، وفيها من الرّيش والجناحين والذنب والمنقار ما للطائر ، وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر : حذقها ونقلها إلى البيض ، وما كان فيها من شكل الـــبعير لا يخرجها ، ولم ينقلها إلى الولد ...) ، وهذا التشابه كما يبدو يشكّل في تصور الشعراء ، أول مدعاة لتشبيه النّاقة بالنعامة .

وبمـــا أن الشاعر كان في طور حديثه عن سرعة ناقته ، وتفوقها على بقية النوق فـــي الســـرعة ، وهو على معرفة تامّة بسرعة النعامة في الجري ، إذا أفزعت وأصابها الذعـــر والنفور ، فإن الشاعر يربط بين النّاقة والنعامة كي يبرز عنصر السرعة كأكثر مـــا يميز هذه النّاقة من خلال ربطها بسرعة النعامة ، وقد بدا واضحاً في تلك القصص أن الشـــاعر كان يلاحق ببصره وألفاظه كلُّ ما يحفز النعامة على الإسراع ؛ فقد وصفها وهـــي تجـــري مســـرعة إلى بيضها أو رئالها ، ووضع الظليم في سباق مع النعامة في كـــثير مـــن تـــلك القصص ، فهما يتجاريان ويتسابقان في الوصول إلى مكان البيض ، فـــتفوته طوراً وطوراً يفوتها ، وهو ما ينعكس في سرعة النّاقة التي تجري بسرعة ظليم يباري نعامة ، يدفعهما الخوف والشوق إلى البيض والفراخ والوطن .

وقـــد كانت صورة الظليم أو النعامة متشابهة في خطوطها العريضة عند الشعراء الجاهـــليين – رغـــم قصـــرها عند بعضهم ، وطولها عند بعضهم الآخر – فقد وصفوا شـــكلها وفـــزعها وأحوالهـــا ... ورجوعهـــا بسرعة إلى بيضها ورئالها ، وأشاروا إلى العلاقة التي تجمع هذه الأسرة ، والرباط الوثيق الذي يجمعها ؛ فالظليم أو النعامة تشتاق

---

[١] الحيوان ، ج ٤ ، ص ٣٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى بيضـــها ورئالهـــا ، وتظهـــر الأنـــثى دلالها للظليم ، فينشب بينهما نوع من الغزل اللطيف بالأصوات والحركات .

فـــلأي شيء يرمز ذلك في النّاقة ؟ . وذاك هو ما يحتاج إلى تفسير ، وقد يكون بـــالمقدور تـــلمس بعض الأشياء مما ورد في تلك القصّة ، وكل ذلك الغموض قد ينجلي إذا أســـلمنا أن الـــنّاقة تمثّل المعادل الموضوعي للشاعر [١] ، وأنه في كلامه عنها وعن المخاطـــر الـــتي تواجهها – ناقته أو نعامته – كان يتحدث عن نفسه هو وعن المتاعب الـــتي يتعرّض لها ، وأنّ هذا المشهد يمثّل آمال الشاعر في التخلص من الشرور ، فهو ينشـــد السلام والأمان والاطمئنان ؛ فقد تشرّب البؤس واليأس والملل إلى نفسه من حياة الحـــرب والغـــارات والثارات ، حتى رأى أخيراً أنه يريد أن يحيا حياة كتلك الحياة ، لا أعـــداء فيها ، ولا ترصّد ، ولا غدر ، يعيش مطمئناً مع اسرته تلفهما السعادة والأمان ، ويظهـــر هـــذا المشـــهد عادة حين يمهّد الشاعر لقصائده التي تحمل طابعاً انسانياً رقيقاً مملوءً بالمشاعر الإنسانية الخالصة [٢] .

---

[١] وهب رومية – شعرنا القديم والنقد الجديد ، ص ٣٢٢ ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٩٦ .

[٢] محمـــود عـــبد الله الجـــادر ، عناصـــر الوحدة الثقافية في الشعر العربي ، مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٣٣ ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، رجب ١٤٠٢ هـــ – نيسان ١٩٨٢ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الفرس والتشبيه الملحمي

أولاً : تشبيه الفرس بالعقاب

ثانياً : تشبيه الفرس بالقطاة

ثالثاً : تشبيه الفرس بالظبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث
الفرس والتشبيه الملحمي

اهـتمَّ الشعراء الجاهليون بخيلهم اهتماماً كبيراً ، فوصفوا كل شيءٍ فيها ؛ وصفوا سـرعتها ، وهيأتها ، وأعضاء أجسامها ، وجمالها ، وعبوسها ، وإشراقها ، فلم يتركوا شـيئاً يخصُّ خيولهم إلا قالوا فيه وأطالوا ، ونوّعوا في ذلك ، وكان أكثر ما يشدّهم فيها سـرعتها ، لـم لا وهـي الوسيلة الأولى في الكرّ والفرّ ، وسرعتها هي ما ينجيهم إذا تكاثرت الخطوب فأحاطت بهم ، وهي التي تعلي هاماتهم إذا فازت في المسابقات .

وكـانوا يلاحقـون سرعتها فيما أحاط بهم من أشياء اشتهرت وعرفت بسرعتها الكـبيرة ، وتمثّل انطلاقها في العدو ، وانقضاضها على الأعداء وإحجامها منجية فارسها من الشدائد ، فشبهوها كما يقول أبو هلال العسكري [1] :

(بـالكوكب ، والبرق ، والحريق ، والغيث ، والسيل ، وانفجار الماء الحوض ، والدلو يـنقطع رشاؤها ، ويد السابح ، وغليان المرجل ، والقمقم ، والقطا ، والحمام ، والجراد ، وأنـواع الوحـش ، كالوعل ، والظبي ، والذئب ، والتتفل ، ويشبّه بالخذروف ولمعان الثوب ، وبالسهم ، والريح وبالحسي) .

تـلك الأشـياء وردت مشـبهاً بـه للفرس ، مؤكدة صفة السرعة في كل منها ، ومظهـرة إلى جـانب السرعة ، قوة الانطلاق والصوت الذي يصدر عن ذلك ، وتبين هيئة العدو ، أو سرعتها بعد الانطلاق .

ولعلَّ مأرب الشاعر من التشبيه بهذه الأشياء هو أن يجسّد كل ما أراد أن يتحدث عـنه ، بما تأصل في ذاكرة الآخرين ، فأراد أن يقرّب الصورة التي يريد إلى أذهانهم ، فـربط ذلـك بأشياء من واقعهم ، فتحقق له ما كان يسعى إلى تحقيقه بكلام غير مباشر عـن سرعة الفرس بهذه الأشياء ، التي تتصف بقوة الانطلاق أو الانقضاض أو السرعة ، فـتفجّر فـي ذهن السامع أو القارئ دهشة جرّاء ربط هذه الأشياء التي تبدو بعيدة عن

---

[1] العسـكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) – كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب المصرية ، ١٩٥٢ م ، ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضـــها فـــي الواقـــع ، ولكنّ مخيلة الشاعر ربطت بينها ، فبدت قريبة وثيقة الصلة ، فتكررت عند كثير من الشعراء لدلالتها التي باتت واضحة .

ولكـــنّ الغالب على هذه التشبيهات ، أنها جاءت قصيرة ؛ ينهيها الشاعر في بيت أو بيـــتين عـــلى الأكثر ، فلا تحمل تلك التشبيهات أحداثاً وصراعاً يكوّن منها حكاية إلا في القليل المحدود عند بعض الشعراء .

أولاً : تشبيه الفرس بالعقاب

ومـــن هذه التشبيهات الملحمية التي كوّنت قصّة ذات أبعاد كثيرة ، تشبيه الفرس بالعقـــاب ، فقد شبّه الشعراء أفراسهم بالعقبان ، فقصوا قصّة تلك العقبان ، بعد أن تركوا حديثهم عن المشبه (الخيل) ، إلى المشبه به موجهين أنظارهم وأحاسيسهم إلى العقبان .

وقـــد وردت قصّـــة هـــذا التشبيه أول مرّة عند امرئ القيس باختصار شديد دون تفصـــيل ، لكـــنّه رغـــم إيجازه وقصره ، شكل الخطوط الأولى لهذه القصّة ، حتى جاء الشعراء فزادوا فيها ، يقول امرؤ القيس [١] :

فعادى عداءً بين ثور ونعجـــة ... وكان عداء الوحش منّي على بالي

كأني بفتخـــاء الجنـــاحين لقوة ... صيود من العقبان طأطأت شملال

تخطّف خزّان الشربّة بالضّحى ... وقد حجرت منهـــا ثعـــالب أورال

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وتظهـــر فرس امرئ القيس كأنها عقاب ليّنة الجناحين [٢] ، سريعة ، تكثر الصيد لأن لهـــا أفراخ لا بد من إطعامها ، هذه العقاب خفيفة ماهرة في الطيران تختطف ذكور الأرانـــب من (الشربّة) ، واختفت الثعالب خوفاً منها ، كثيرة الصيد ترى في أوكارها قـــلوب الطير الرطبة (حديثة الصيد) كأنها العنّاب ، وترى قلوباً يابسة تقادم العهد بها في الوكـــر ، كأنها نوى التمر اليابس ، (قال الأصمعي : إن الجارح يأتي بالصيد إلى وكره ، فيأكل لحمه ، ويترك قلبه ، فما يبرح في وكره من قلوب الطير رطب ويابس ، لهذه العلّة خصّ قلوب الطير دون غيرها) [٣] .

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ٣٨ .

[٢] ينظر : ابن قتيبة – المعاني الكبير ، ج١ ، ص٣٧ ، و ص ٢٧٩– ٢٨٠ .

[٣] نضرة الأغريض في نصرة القريض ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـــرب من هذا المعنى ما ورد عند المثقّب العبدي في تشبيه الفرس بالصقر في قوله [١] :

كالأجدل الطالب رهو القطا ... مستنشطاً في العنق الأصيد
يجمع في الوكر وزيماً كما ... يجمع ذو الوفضة في المذود

ففرســـه تشبه الصقر [٢] ، الذي يلاحق القطا السريع ، نشيطاً يرفع عنقه ، ويجمع في وكره قطعاً من اللحم اليابس ، مثلما يجمع الرامي سهامه في جعبته .

وقد ورد هذا التشبيه عند عبيد بن الأبرص ، حين شبه فرسه بالعقاب ، فقصّ لنا قصّـــة العقاب وافتراسها ثعلباً ، في نموذج فريد في الشعر الجاهلي ، حيث أطال الشاعر أكثر من غيره ممن تناولوا هذه القصّة ، يقول عبيدٌ [٣] :

كأنّهـــا لـــقـــوة طلـــوب ... تخرُّ في وكرهـــا القلـــوب
باتت علـــى إرم رابئـــة ... كـــأنّهـــا شيخـــة رقـــوب
فأصبحت فـــي غداة قرّة ... يسقط عن ريشها الضّريب
فأبصرت ثعلباً من ساعة ... ودونـــه سبســـب جديـــب
فنفّضت ريشها وانتفضت ... وهي من نهضـــة قريـــب
فاشتال وارتاع من حسيسها ... وفعلـــه يفعـــل المـــذؤوب
فنهّضت نحـــوه حثيثـــة ... وحـــرّدت حردةً تسيـــب
فدبَّ من رأيهـــا دبيبـــاً ... والعين حملاقهـــا مقلـــوب
فأدركتـــه ... فطرّحتـــه ... والصّيد من تحتها مكروب
فرنّحتـــه ... ووضّعتـــه ... فكدّحـــت وجهـــة الجبوب

---

[١] ديوان المثقّب العبدي ، ص ٥٣ – ٥٥ .

[٢] ينظر أيضاً : ديوان الأعشى ، ص ٢١ ، والمفضليّات ، ص ٢٥٦ (الحارث بن حلّزة اليشكري) .

[٣] ديـــوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٨ – ٢٠ . وفي الشرح : اللقوة : العقاب ، الضريب : الثلج ، السبسب : الأرض الـــتي لا نـــبات فيهـــا ، الحملاق : الحمرة التي في باطن الجفن ، أشتال : رفع ذنبه ، الحسيس : صـــوت العقـــاب ، المذؤوب : الذي أصابه النئب ، كدحت : خدشت ، الجبوب : الأرض الغليظة ، يصغو : يصيح وهو صوت الثعلب ، الدف : الجنب ، الحيزوم : الصدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعـــاودتـــه ... فرفّعتـــه فأرســـلته وهـــو مكروب
يصغـــو ومخلبها في دفّه لا بدّ حيزومـــه منقـــوب

يقـــول عـــبيد بـــأن فرسه كانت كأنها عقاب خفيفة ، سريعة الاختطاف ، تطلب الصـــيد دائماً ، لا يُرى في وكرها إلاّ قلوب الطير ، متّفقاً مع ما ورد عند امرئ القيس فـــي ذلك ، باتت هذه العقاب ليلتها الطويلة على ربوة مرتفعة ، لا تأكل شيئاً ولا تشرب ، فـــبدت كأنهـــا عجـــوز ثكلى ، فقدت ولدها الوحيد ، فلا تأكل ولا تشرب ، حزناً عليه وجزعاً ، تراقب بعينيها الاتجاهات كلها .

فـــلّما طلع عليها الصباح ببردهِ القارس ، وكان الجليد يسقط عن ريشها ، لاح لها ثعـــلب ، ســـريع العدو ، في أرض واسعة لا نبات فيها ، فلمّا عاينته انتفضت ، فتطاير الجـــليد عن ريشها ، فانقضّت عليه ، فرفع الثعلب ذنبه خائفاً فزعاً – كأنه محاط بالذئاب – عـــندما سمع صوت هويّ العقاب ، فأسرعت نحوه ، مجتهدة في طلبه ، تنساب خلفه انسياباً مخيفاً .

فيشـــتدُّ الثعلب في سرعته خائفاً منها ، يدبُّ دبيباً ، حتى إن عينه انقلبت عروقها وهو ينظر نحوها من فوق كتفه إلى أعلى ، فتدركه العقاب ، وتطرحه بمخالبها أرضاً ، فيصـــبح صـــيداً ســـهلاً لأنه تحتها ، فتعاود الكرّة عليه ، فتجدّله أرضاً ، فيتدحرج على الأرض ، وتهشم وجهه الحجارة .

ثـــم تـــنقضُّ عليه فترفعه بمخالبها القويّة فتتركه يسقط ، فلا تسمع منه إلا صغاءً بعد أن انغرس مخلبها في جنبه ، فثقبت صدره ، فخرّ صريعاً مقتولاً .

هـــذه هـــي فرس عبيد ، في عدوها ، وكرّها وفرّها ، تماماً مثل هذه العقاب التي ظهرت في هذه القصّة ، لا نجاة للأعداء منها ومنه ، فهي سريعة لا تجاريها الخيل .

ويـــلحُّ عبيد في تلك القصّة على وصف العقاب ، لأنها المشبه به لفرسه ، فيصفها ، ويصـــف مكانهـــا ، ويتحدث عن مبيتها في الليل وجوعها ، ويجعل الشتاء زمناً لهذه القصّـــة ، مبرزاً بذلك الصفات العامة لتلك العقاب ، ولكنه يضفي على كل ذلك نوعاً من قسوة الظروف التي تواجهها العقاب ؛ فقد أمضت ليلتها تكابد الجوع ، والبرد ، وتساقط الجـــليد في ليلة طويلة لا تنقضي ، فبدا المشهد بطيئاً في عبور الزمن ، كما بدت الأفعال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطيـــئة في سيرها وحركتها ، فالمبيت طويل ، مداه الليل ، وتساقط الجليد وحده ، يكشف عـــن ذلك البطء وسكون الحركة كما تحتاج المراقبة إلى زمن طويل ، وهو الشيء الذي يمـــثّل صراعها مع قسوة الطبيعة ، ونواميس الحياة . فوظّف الشاعر كل ذلك في خدمة المشـــهد الثاني الذي يشهد تحولاً في الحركة ، بل كان ذلك سبباً في العنف الذي ورد في ملحمة العقاب مع الثعلب .

ويتفـــتّح المشـــهد الـــثاني على صورة الفريسة ، فيصف حركة الثعلب فقط غير ناظـــر إلى تفاصيل جسمه إلاّ قليلاً ، فهو سريع سيجبر العقاب على أن تجدّ في طيرانها ، فـــي موضـــع واســـع منبسط ، لا حياة فيه إلا لمن تخرجه أرجله بسرعة كبيرة ، فلا مكان للاختفاء .

ويـــبدأ الشـــاعر بتصـــوير مطاردة العقاب للثعلب بدقّة متناهية ، فتتابع عينا عبيد حـــركة العقـــاب ، وحركة الثعلب ، منذ أن رأته فاستعدت للانقضاض عليه ، فأكثر من اســـتخدام الأفعـــال التي تدلُ على الحركة والفتك في مشهد متحركٍ منذ أن نفضت الجليد عـــن ريشـــها ، وهـــي ألفاظ كثيرة ، تظهر أن العقاب كانت تهاجم بضراوة وشجاعة ، فليســـت هناك مشاعر للخوف أو التردد على الإطلاق ، (فنفضت ، وولّت ، من نهضة قـــريب ، حسيسها ، فنهّضت ، حثيثة ، وحرّدت ، تسيب ، فأدركته ، فطرّحته ، فرنّحته ، ووضّـــعته ، فكدّحـــت ، فعاودتـــه ، فرفّعته ،فأرسلته...) ، ويلحظ على عبيد في هذه الأفعـــال بأنه ضعّف الحرف الثاني في كثير من تلك الأفعال ، وهذا يزيد في المبالغة في الفعل ، ودليل على القوة واشتداد الحركة ، والعنف والسرعة .

جاء هذا المشهد ، يغاير المشهد الأول في مقدمة القصّة ؛ حيث البطء في الترقّب والمـــبيت والجوع ، وانتظار الصباح ، وهو ما أشعل في العقاب طاقةً تفجرّت مع مرآها للثعـــلب ، الذي كان مرتبكاً في حركته لا يدري إلى أي الجهات يفرّ ؛ فالعقاب تأتيه من اتجاهـــات كـــثيرة لا يعـــرف أيهـــا سيتّقي (ثعلب سريع ، فاشتال ، وارتاع وفعله يفعل المـــذؤوب ، حـــرده ، فدبّ دبيباً ، والعين حملاقها مقلوب ، مكروب ، يصفو) ، حيث تفـــوح من هذه الألفاظ رائحة الخوف الشديد ، فأربكت حركته حتى أصبح لا يعرف ماذا يفعل ، وإلى أين يهرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي الصراع بين العقاب والثعلب بانتصار العقاب ، وفتكها بالثعلب فتكاً مخيفاً ، فلم يصدر عنه إلا صراخ من الألم ، فيموت بعد أن ثقبت مخالبها صدره .

ويرد هذا التشبيه بشكل مفصل عند دريد بن الصمّة فقد شبه فرسه بالعقاب التي ظهر لها فرخ ترعاه في وكرها [١] :

كأنّي وبزّتي فوق فتخاء لقوة ... لها ناهض في وكرها لا تجانبه
فباتت عليه ينفض الطلّ ريشها ... تراقب ليلاً ما تغور كواكبه
فلمّا تجلّى الليل عنها وأسفرت ... تنفّض حسرى عن أحصّ مناكبه
رأت ثعلباً من حرّة فهوت له ... إلى حرّةٍ والموت عجلان كاربه
فخرّ قتيلاً واستمرّ بسحره ... وبالقلب يدمى أنفه وترائبه

وقصّة هذا التشبيه تقرب – رغم أنها أقصر – ممّا ورد عند عبيد ، فقد ظهرت والندى يتساقط على ريشها ، وهي تراقب زوال الليل الذي بدا أن كواكبه لن تختفي ؛ لإحساس العقاب بطول تلك الليلة وبطئها ، فلمّا طلع الفجر ، راحت تبحث عن طعام لها ولصغيرها ، فرأت ثعلباً ، فانقضت عليه ، فأحاطته بالموت من كل جانب ، فأنشبت أظافرها في جنبه فخرّ قليلاً .

ويلحظ أنّ الشاعر حين كان يتحدث عن ناقته ، كان يشبهها بحيوانات ليست مفترسة ، وغير عدوانية ، فلم تكن تهاجم الصائد والكلاب ، بل كانت دائماً تدفعهما عن نفسها ، فتكون مجبرة على القتال حفاظاً على حياتها ، وهو ما يأتي على نقيض مما يرد مع الفرس ، الذي يظهر فيه الصقر أو العقاب وهي تشنّ هجوماً عنيفاً على الحيوانات الأخرى ، ولعلّ سبب ذلك أن ذكر النّاقة يأتي في حديث الشاعر عن الرحلة التي تتشد الوصول بسلام وأمان إلى حيث يقصد الشاعر ، أما هذه الخيل فموقعها ساحات القتال ، حيث الكرّ والفرّ ، والدوران والطعان ... ، لذلك كان الشاعر يشبه فرسه بالعقاب التي تفترس الثعالب أو الأرانب أو الحمائم ، أو القطا (وحتى حمار

---

[١] ديوان دريد بن الصمّة ، تقديم شاكر الفحام ، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م ، ص ٣٨ ، ص ٣٨ . وبزّي: البز من الثياب الأمتعة، مختار الصحاح (ب ز ز) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوحـــش ، إن لم تجد فريسة فتنقضّ عليه انقضاض الصخرة فتقدُّ بدابرتها ما بين عجب ذنبه إلى منسجه)[١] .

ويظهـــر مـــن النصوص السابقة أنَّ الشاعر كان أكثر ما يسعى إلى تصويره هو عمـــلية انقضـــاض العقساب على فريستها ، وهي عملية تنعكس في صورة الفرس حين تـــنقضُّ أو تنطـــلق فـــي سباق أو معركة ، فيتحقق للشاعر هدفان من ذلك ، أولهما : إظهـــار أصـــالة فرســـه وقوّتها وسرعتها ، وثانيهما أنها ربّما تمثّل الشاعر نفسه وفتكه بـــالأعداء كمـــا تفـــتك هذه العقاب بفرائسها ، فيظهر من خلال هذه الصورة شجاعته ، وبراعته في النزال والقتال .

ثانياً : تشبيه الفرس بالقطاة

يمـــرُّ تشبيه الفرس بالقطاة كثيراً في الشعر الجاهلي ، إلا أن أغلب هذه التشبيهات جـــاءت قصـــيرة ، لا يشكل الامتداد والتفصيل ظاهرة مميزة لها ، لذا فإن ما ورد منها على سبيل التشبيه الملحمي ، لا يعدو أن يكون إلا نادرة عند بعض الشعراء الجاهليين ، فقد ورد هذا التشبيه عند زهير بن أبي سلمى [٢] ، وعند النابغة الذبياني [٣] ، وفيه فصّل الشـــاعران في هذا التشبيه ، فتركوا المشبّه ، وتعلقوا بالمشبّه به ، فقصّوا قصّته بتفصيل شديد مظهرين ما غمض في هذه القصّة .

ويظهـــر القطـــا بأنه بطل هذه القصّة ، لأنه المشبه به للفرس ، فقد نسب الشاعر هـــذا القطـــا إلى الأجباب [٤] ، أو مرّان [٥] ، فكانت إمّا جونيّة [٦] أو كدرية [٧] ، وتدور

---

[١] الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣١٢ .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ – ١٧٨ ، و ص ٢٣٩ – ٢٤٥ .

[٣] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٦ – ١٧٨ .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ (كأنها من قطا الأجباب ...) .

[٥] يـــنظر : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٣٩ (كأنها من قطا مرّان ...) وديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٦ (... برد الشرائع من مرّان أو شرب) .

[٦] يـــنظر : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ (جونيّة ...) ، و ص ٢٤٣ (جونيّة ...) وهي أكبر من الكدريّة بمرتين سود البطون والأجنحة .

[٧] ديـــوان الـــنابغة الذبيـــاني ، ص ١٧٦ (أو مرّ كدريّة ...) والكدري : (قصار الأذناب ، فصيحة تنادي باسمها وهي ألطف من الجوني) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصّـــة هـــذا التشـــبيه ، حول مطاردة الصقر أو العقاب لهذه القطاة ، وكيف أن سرعة القطـــاة وذكاءهـــا قد مكناها من الانتصار على الصقر أو العقاب ، بعد أن كان منتصراً حيـــن كـــان مشـــبهاً بـــه لـــلفرس ، ولكنه هنا مقتول لأنه عدوّ للقطاة التي تمثل الفرس والشاعر .

وحـــتى يكـــون الأمـــر واضـــحاً ، لا بـــدَّ من النظر في هذه النماذج ، وتحليلها وتفسيرها ، ولنأخذ أولاً تشبيهاً لزهير يقول فيه [1] :

كأنّها من قطا الأجباب حـــان لهـــا ... ورد وأفرد عنهـــا أختها الشبـــك
جونيّة كحصاة القســـم مرتعهـــا ... بالسِّـــيّ ما تنبت القفعاء والحسك
أهوى لها أسفـــع الخدّين مُطـــرِق ... ريش القوادم لم تنصب له الشرك
لا شيء أجود منها وهـــي طيّبـــة ... نفساً بمـــا سوف ينجيهـــا وتتّرك
دون السماء وفوق الأرض قدرهما ... عند الذنابـــى فلا فوت ولا درك
عند الذنابـــى لـــه صوت وأزملـــة ... يكـــاد يخطفهـــا طوراً وتهتلـــك
حتى إذا ما هوت كفُّ الغلام لهـــا ... طارت وفي كفّه من ريشها بتـــك
ثم استمرت إلـــى الوادى فألجأهـــا ... منه وقد طمـــع الأظفار والحنـــك
حتى استغاثت بماء لا رشـــاء لـــه ... من الأباطـــح في حافاتـــه البُرك
مكلل بأصول النجم تنسحه ... ريح خريق لضـــاحي مائـــه حُبُك
كما استغـــاثت بســـيّ فزغيطلـــةٍ ... خاف العيون فلم ينظر به الحشـــك
فزلَّ عنهـــا ووافى رأس مرقبـــة ... كمنصب العتر دمّى رأسه النُسُـــك

---

[1] ديـــوان زهيـــر بـــن أبي سلمى ، ص ١٧١ – ١٧٨ . وبهامشه معاني الكلمات : الأجباب : مواضع فيها ركايـــا واحدهـــا جب ، الجونيّة : ضرب من القطا ، وهي أضخمها تعدل جونية بكدرتين ، وهن سود بطون الأجـــنحة والقـــوادم ، قصـــار الأذناب وأرجلها أطول من أرجل الكدري ، السي : ما استوى من الأرض ، القعفـــاء : بقـــلة مـــن أحـــرار البقل ، أهوى : انقضَّ ، السفع : سواد تعلوه حمرة ، تهتلك : تجتهد وتسرع ، أزمـــلة : اخـــتلاط الصـــوت ، بتك : قطع واحدها بتكة ، لا رشاء له : يجري على وجه الأرض ، البرك ، طيـــر يسمّى الشيّق والواحدة بركة وقيل الحقائر ، النجم : النبت الذي يقال له الثيل ، خريق : إذا هبّت هبوباً شـــديداً ، حـــبك : طـــرائق الماء السي : اللين الذي يكون في الضرع قبل نزول الدرّة ، القز : ولد البقرة ، الغيطلة : شجر ملتف ، المنصب : الحجر ، العنز : الذي يذبح في رجب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول زهير بأن فرسه شبيهة بقطاة [١] ترد الأبار عادة ، وينطلق زهير بعدها في إكمال هذه القصّة إلى نهايتها ، فهي لم تستطع الورود على تلك الآبار ، لكثرة الورّاد عليها ففزعت منهم ، وزاد في خوفها ونفورها ، أن أختها وقعت في شباك الصائدين ، فبقيت وحيدة فزعة ، لاذت إلى الفرار بسرعة شديدة ، وهي قطاة جونيّة سوداء البطن والجناحين ، كأنها حصاة القسم في استوائها .

في أثناء ذلك المشهد ، انقض عليها صقر في خدّيه سواد تعلوه حمرة ، تبدو قوادمه مجمعة وكثيفة لم يسقط منها الريش ، فهو فتيّ قوي ، لم يُنصب له شرك فهو غير مفزع ، لكنّ القطاة واثقة من نفسها ومن مهارتها في الطيران ، فلا تستخدم كلّ سرعتها في الافلات من مطاردها (الصقر) ، إلا بمقدار ما ينجيها منه .

وتشتدُّ ملاحقة الصقر لها ، فيكون كظلها ، فويق الأرض على علوٍّ منخفض ، فلا يستطيع اللحاق بها ، ولا تريد هي أن تفوته بمسافة طويلة بينها وبينه ، فلا ييأس من ذلك ، فيقترب منها ، ملتصقاً بذناباها ، فتصدر أصواتاً مرتبكة ، مختلطة لشدة خوفها ، حتى إنه كاد أن يمسك بها ، فتقرّر أن تفوته ، فتزيد في سرعتها فتسبقه ، فتفاجأ بيد غلام تمتدُّ إليها ، فتفلت من يده بسرعة كبيرة ، فلا يبقى في كفّه إلا بعض ريشها .

لكن الصقر لا يتركها ، فتجتهد في طيرانها نحو وادٍ مليء بالأشجار ، ملتجئة إليه ، خوفاً من مخالب الصقر ومنقاره الحاد ، فلا يتركها ، فتلوذ – أخيراً – إلى ماء ضحل يجري على وجه الأرض ، في حافاته طيور البرك ، أو حفائر يكمن فيها الماء ، تظهر فيه أصول الأشجار مشتبكة ببعضها ، وتهب عليه رياح شديدة ، فترى طرائق الماء واضحة ، استغاثت هذه القطاة بهذا الماء ، كما يستغيث الفرقد الجائع بضرع أمه (البقرة) ، ذلك الضرع الذي لم يدرر بعد ، فخاف أن يراه الراعي فيمنعه من الرضاعة .

---

[١] ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ج١، ص٣٠٨ – ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوقعـــت في الماء ، فلم يزل يلاحقها حتى ناله التعب والإجهاد ، فأراد أن يستقر عـــلى صخرة قريبة ، لكنّه زلّ عنها ، وسقط على رأسه من ذلك المكان العالي ، تسيل مـــنه الدماء ، كأنه الحجر الذي يذبح الجاهليون قرابينهم عليه في شهر رجب ، هكذا خرّ صـــريعاً ، وتنـــتهي القصّة إلى هنا ، وتظهر النهاية سعيدة للقطاة حين نجت وانتصرت على الصقر الذي خسر حياته فكانت نهايته تعيسة مأساوية .

ويقول النابغة في تشبيه فرسه بالقطاة [١] :

أو مـــرّ كدريّـــة حذّاء هيّجهـــا ... برد الشرائع من مـــرّان أو شربُ
أهوى لها أمغر الساقين مختضع ... خرطومه من دماء الطّير مختضب
حتى إذا قبضـــت أظفاره زغبـــاً ... من الذنـــابى لها أو كاد يقتـــرب
نحت بضرب كرجع العين أبطؤه ... تعلو بجؤجئهـــا طوراً وتنقلـــب
تدعو القطا بقصير الخطم ليس له ... أمام منخرهـــا ريش ولا زغـــب
حـــذّاء مدبـــرة سكّـــاء مقبـــلـــة ... للماء في النحر منها نوطة عجب
تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت ... يا صدقهـــا حين تلقاها فتنتســـب
تسقي أزيغب ترويـــه مجاجتهـــا ... وذاك من ضمنها في ضمنه شُرُب
مهرّت الشّدق لم تنبت قوادمـــه ... في جانب العين من تسبيـــده زبب

تمـــرُّ فـــرس الـــنابغة – في هذا التشبيه – كأنها قطاة كدريّة خفيفة سريعة [٢] ، قصيرة الذنب ، تمرُّ مسرعة – بعد أن أحست بالظمأ – نحو مكان الماء ، فانقض عليها فـــي الطـــريق صـــقر أحمر الساقين ، يميل برأسه نحو الأرض ، ويمدّ عنقه إلى الأمام باحثاً عن فريسة ، منقاره أحمر من دماء فرائسه .

---

[١] ديـــوان الـــنابغة الذبيـــاني ، ص ١٧٦ – ١٧٨ . الكدريّة : ما كان أكدر الظهر اسود باطن الجناح مصفر الحـــلق قصـــير الرجلين في ذنبه ريشتان أطول من سائر الذنب ، لسان العرب ، مادة (كدر) ، وفي هامش الديـــوان : حـــذّاء : خفيفـــة ســـريعة قصيرة الذنب ، الشرائع : شرائع المياه ، المواضع التي تورد ، أمغر الســـاقين : الصـــقر أو الـــباز ، خرطومه : منقاره ، مختضع : مائل برأسه إلى الأرض ، نحت : قصدت ، الجؤجـــؤ : الصـــدر ، قصير الخطم : منقارها ، سكّاء : لا أذن لها ، النوطة : الحوصلة ، أزيغب : تصغير أزغـــب وهو فرخ ، المجاجة : ما مجّت في فيه ، والظمء : وقت الشرب ، مهرّت : واسع ، والتسبيد : حين يطلع الريش بعد حلقه في موضع آخر .

[٢] ينظر ابن قتيبة الدينوري ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ج١ ، ص٣١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلاحـــق الصـــقر تـــلك القطاة ، ويبقى على مقربة منها ، حتى كاد يأخذ بأظفاره بعـــض ريشها . فأوشك أن يمسك بها ، فتضرب بجناحيها بسرعة شديدة ، فيعلو صدرها مـــرّة وينقـــلب إلى أســـفل مرّة أخرى ، مصوّتة بمنقارها القصير ، الذي لا ينبت عليه الرّيش .

هذه القطاة كما يصفها النابغة : قصيرة الذنب في إدبارها ، فلا تظهر أذناها حين تقـــبل ، حوصلتها منتفخة مليئة بالماء ، صوتها هو (القطا) وحملت اسمها من صوتها ذاك ، وتـــتيقن مـــن ذلك حين تسمع صوتها ، فتعرف منه بأنها من القطا ، هذه الكدريّة تســـقي فرخها ماءً بوساطة منقارها فتمجّه في فيه ، فتطفئ ظمأ ذلك الصغير ، الذي لم تنـــبت قوادمـــه بعد ، ويظهر على رأسه ريش كثير عند عينيه من التسبيد ، وينتهي هنا تشبيه النابغة .

ويـــلحظ على هذين التشبيهين أن الشاعرين كانا يسعيان إلى تصوير القطاة فزعة خائفـــة ، فإمـــا أن تكون ظمأى تبحث عن الماء لها ولفراخها ، فترى القوم يردون الماء فـــتفزع منهم ، أو أن تختطف الشباك أختاً لها ، أو تكون كفُّ الغلام بانتظارها ، فتسرع في الطيران مبتعدة عن ذلك المكان .

ولكـــن الشـــاعر لا يـــتركها عند ذلك الحدّ من الفزع ، بل يجعل الخطر يلاحقها كظـــلّها ، ولا يتأتى ذلك له ، إلا إذا كانت هناك مطاردة لها من سباع الطير كما أسماها الجـــاحظ [1] ، فتظهر عند ذلك صورة الصقر أو العقاب الذي يلاحق تلك القطاة ، وهو صـــقر مفـــترس ، ماهـــر في الصيد ، يبدو منقاره أحمرَ من دماء قتلاه ، إلى هنا يكون الشاعر قد حقق ما أراد من إفزاع تلك القطاة .

وتكون محنتها الكبرى في هذه القصّة – عند الشاعرين – هي ملاحقة الصقر لها ، وكـــل مآرب الشاعر من ذلك هو إظهار سرعة القطاة ، بل استخراج أقصى سرعتها جـــرّاء خوفهـــا ممـــا تعرضت له ، وتبلغ أقصى سرعة حين ينبري لها ذلك الصقر أو العقـــاب فـــتعجزه مـــن الـــلحاق بها ، لكنها – كما ورد في الشعر – رغم كل ذلك ، لا

---

[1] الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستخرج كل طاقتها في الإفلات منه ، بل تستخدم ما ينجيها من الصقر فتصبح في مأمن منه ، حتى إذا اقترب منها ، وكاد يمسك بها ، زادت في سرعتها ، فجعلت مسافة بينها وبينه ، بحيث لا يتسرّب اليأس إلى قلبه من اللحاق بها ، وكأنها تريد منه أن يلاحقها .

وتستمر المطاردة ، إلى أن يصاب الصقر بالتعب والإجهاد ، فتصيب بذلك مقتلاً من الصقر ، فيخرّ صريعاً على رأسه ، مضرجاً بدمائه ، بعد أن حاول الثبات على صخرة ملساء ، فزلّ عنها ، معلناً بذلك انتصار القطاة عليه ، وخسرانه تلك المعركة .

وتشيع الحركة في قصّة هذا التشبيه ، وليس ذاك بغريب ، فقد كان هدف الشعراء من وراء ذلك ، هو تصوير سرعة أفراسهم ، فشبهوها بالقطاة ، فالقطاة إذن هي فرس الشاعر ، وقد جاءت الحركة سريعة ، تمثّلت في سرعة القطاة ، في سباقها مع الصقر من أجل البقاء ، فتسبقه .

وقد تجلّى اهتمام الشاعر ، بإيراد السرعة في كثير من تعابيره وألفاظه ، كما ورد عند زهير : (أهوى لها ، بما سوف ينجيها وتترك ، فلا فوت ولا درك ، يكاد يخطفها طوراً وتهتلك ، إذا ما هوت ، طارت ، ثم استمرّت ، حتى استغاثت ، فزلّ عنها) ، وتظهر هذه التعابير في تشبيهه الآخر [١] : (فالجدّ منها أمام السرب والسَّرع ، تهوى كذلك ، منصلت ، يدنو من الأرض طوراً ثم يرتفع ، أهوى لها ، فانتحت كالطرف جانحة ، ثمَّ استمرّ عليها ، بما سوف توليه وتتدّع ، ما الطرف أسرع منها ، حت عليها بصكّ ليس مؤتلياً) .

وترد هذه العبارات في تشبيه النابغة أيضاً : (أو مرٌّ كدريّة حذّاء هيجها ، أهوى لها ، تحت بضرب كرجع العين أبطؤه ، تعلو بجؤجئها طوراً وتنقلب) ، وهي ألفاظ تظهر عنصر الحركة ، المتجلّي في السرعة الهائلة ، التي كان يلاحقها الشاعر ، بحيث تنعكس في سرعة فرسه ، وأنّ تلك القطاة ، تمثّل فرسه ، في سرعتها ، وإقبالها وإدبارها ، وروغانها ، وإفلاتها من الملمات والخطوب .

---

[١] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٣٩ – ٢٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو – كذلك – أنّ الشاعر الجاهلي ، كان معجباً بمشهد المطاردة ذاك ، ووجد فيـــه مجالاً رحباً للإبداع الفنيّ ، الذي يستطيع من خلاله التفوّق على أقرانه من الشعراء [١] ، فاسترسل في سرد تلك القصة التي يتضح عنها ، أن انتصار القطاة – رغم ضعفها – على الصقر ، إنما يمثّل انتصار فرسه ، وبالتالي انتصار الشاعر على أعدائه .

ويتّضـــح أن ســـرعة القطاة الهائلة ، في روغانها من الصقر ، تصب في إظهار ســـرعة الفـــرس وأصـــالتها ، وسبقها لبقية الخيل ، لذلك كانت عين الشاعر ترصد ذلك المشـــهد بدقّـــة متناهية ، مصوراً ذلك المشهد المتحرك بسرعة كبيرة ، غير غافل آنذاك عـــن وصـــف مشـــاعر القطـــاة ، وإحساســـها بالرعب والخوف ، وهو إحساس يدفعها للإســـراع أكثر فأكثر ، ولا ينسى تصوير طمع الصقر فيها ، فكلّما اقترب منها ، لاحت لـــه بوارق الأمل لإمساكها أمام عينيه ، فيجدّ وراءها ، فلا يتسرّب اليأس إليه ، فيستمر بذلك حتى يَخِرُّ صريعاً .

ثالثاً : تشبيه الفرس بالظبي

ورد ذلك عند عبيد بن الأبرص ، باختصار حين شبه فرسه بالظبي يقول فيه[٢] :

إذا حرّكته الســـاق قلت مجنّب غضيض غذته عهدة وسروح

مرابضة القيعـــان فرد كأنّـــه إذا ما تماشيه الظّبـــاء تطيح

فهـــاج لـــه حي غـــداةٌ فأسدوا كلابـــاً فكل الضّاريات شحيح

إذا خاف منهنّ اللحاق نمت به قوائم حمشات الأســـافل روح

يقـــول عبيد : بأنّ فرسه إذا سار ، فإنّه كالظبي الشديد الخلق ، ذي القوائم الصلبة المتماســـكة ، ســـمين ، فقد تغذّى على نبت الربيع في مراع كثيرة الأعشاب ، يعيش في

---

[١] ينظر مثلاً : كامل سلامة الدقس ، وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، ص ٤٣٣ .

[٢] ديـــوان عبيد بن الأبرص ، ص ٣٢ . وبهامشه معاني الكلمات : المجنّب : الظبي الشديد الخلق ذو القوائم غيـــر المنبسطة ، غضيض ، سمين أملس أو طري ناعم ، العهدة : أول مطر الربيع ، السروح : المراعي ، جمـــع سرح ، مرابضه : جمع مربض وهو مأوى الحيوان ، فرد : متفرّد ، تطيح : تتيه في الأرض وتذهب أو تهـــلك ، حي : يريد الصيادين ، فأسدوا : أغروا كلابهم ، الضاريات : كلاب الصيد التي تعودت الصيد ، شحيح: حريص على اقتناص هذا الظبي ، نمت أسرعت ، حمشات: دقيقة، روح : متسعة ما بين الرجلين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأودية وحده ، منفرداً عن قطيعه . لا تستطيع الظباء مرافقته ، لأنها ستتيه في الأرض ، لسرعته فتهلك ، لذلك هو وحده .

فاجـــأه الصـــائدون في الصباح،فاغروا كلابهم به، فانطلقت وراءه حريصة على اقتناصـــه ، فهـــي متعودة على الصيد ، فيجري بسرعة كبيرة ، حتى إذا خاف أن تلحق الكلاب به ، أسرعت به قوائم دقيقة صلبة ، واسعة الخطوات ، فانجته من أنيابها .

ذاك هـــو فرس عبيد ، مثل هذا الظبي السريع ، الذي ظهر وحيداً منفرداً لقصور الظـــباء عن مجاراته في الجري ، فلم تستطع الكلاب الضاريات اللحاق به ، فهو أسرع منهنّ ، معتمدٌ على ما حباه الله من متانةٍ في الجسم .

ولـــم يرد تشبيه الفرس بالظبي في طول هذا التشبيه في حدود علم الباحث ، رغم أن الشـــعراء شبهوا أفراسهم به كثيراً ، إلا أنهم لم يمتدوا فيه امتداد عبيد في تشبيهه هذا ، فجـــاء عندهم عابراً يؤكد صفة السرعة التي تهم الشاعر ، فقد قال امرؤ القيس مشيراً إلى ذلك[١] :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال أيضاً [٢] :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرحب

---

[١] ديـــوان امـــرئ القيـــس ، ص ٢١ . وبهامشـــه : أيطلان : خاصرتان ، السرحان : الذئب ، التتفل : ولد الثعلب .

[٢] المصدر ذاته ، ص ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الرابع

التشبيه الملحمي والحواس

أولاً : البصر

ثانياً : السمع

ثالثاً : الذوق

رابعاً : الشّم

خامساً : اللمس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

التشبيه الملحمي والحواس

أولاً : البصر

تنتشـــر الصـــورة البصريّة في التشبيه الملحمي انتشاراً واسعاً ومكثّفاً ، فقد اعتمد الشـــعراء الجاهـــليون اعـــتماداً كبيراً على ما يرونه من أشياء معتمدين على ما ترصده أبصارهم من مظاهر الطبيعة المتنوعة والكثيرة .

فجـــاءت أشعارهم – في الغالب – مبنيّة على الرؤية التي تتجسد أمام العين بدقّة متناهية .

لعـــلّ أبـــرز مظاهر الصورة البصرية هي الحركة التي يلحظ – للوهلة الأولى – أن الشاعر كان يسعى إلى تحقيقها بشتىّ وسائله في التعبير والتصوير .

فقـــد صـــوّر الشـــعراء حركة الأمواج المضطربة في الأنهار وما ينتج عنها من تموجات تحدث للسفينة ، وصوّروا الذئاب وهي تعسل في الشعاب ، كما صوّروا حركة الحـــوت وهـــو يشق ماء البحر بسلاسة وانزلاق ، كما صوروا حركة ارتجاف الراهب وارتعـــاده وصـــوروا الســـانية وهي تدور على البئر لتستخرج الماء ، وصوروا دوران البكرة ولفيف الحبل عليها .

وصـــوروا حـــركة المشتار حين يجمع العسل فيمشي متلطفاً ببطء ، ويتدلى على بيـــت الـــنحل بحبل طويل ، وصوروا حركة النحل الدائبة في جلب الرحيق ، وصوروا الأبـــل وهي تقطع البيد محملة بالخمر والعطور ، وصوروا الغائص وهو يجري بسفينة بعـــرض البحر وغوصه لاستخراج الدرّة ، وصوروا الملاحيين وهم يسجدون لها ، وهو يضمها لنحره بحركة معبّرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصوروا حركة الغزال وهي تحنو على جؤذرها فتلف رقبتها عليه ، وصوّروها وهي تعبث بالأغصان بروقيها الأملسين ، وصوروا تدفق ماء المطر وسيلانه من الجبال حين يصيب الروضة الخضراء ، وصوروا الذباب وهو يحكّ ذراعه بالأخرى .

وصوروا عراك الثور مع الكلاب من مطاردة ومطاعنة في مشهد متحرك كانت عين الشاعر ترصد فيها أدقّ الأشياء ، ثم يصورون هرب الكلاب وانقضاض الثور بسرعة عالية كالكوكب المنقض .

وصوروه وهو يحفر التراب بأظلافه ليسوي التراب ، وصوروا حركة انهياره ، ويشبه حركات الثور ما ورد في البقرة .

أمّا الحمار فصوروه وهو يسوق الأتن وصوروا سرعة حركته ، وتقدمه القطيع وتخلفه عنه ، وانطلاقه السريع بالأتن ، الانطلاق الذي ينتج عنه الغبار الساطع ، فصوروا السهم الذي ينطلق لقتله ، وقد كان هذ التشبيه مبنياً على حركة الحمار في الصيف والشتاء ، وصوّروا سرعة حركة الظليم ، في سرعة جريه مع أنثاه ورئاله ، وحركات النعامة تجاهه .

أمّا الحركة في صورة العقاب فكانت قصّة هذ التشبيه مبنيّة في الأساس على تصوير الحركة بدقّة متناهية ، فظهر فيها حركة الملاحقة والمطاردة ، والارتفاع والانخفاض ، وضرب الأجنحة ببعضها ، وصوروا عملية الصيد ببراعة واقتدار .

أمّا في قصّة القطاة فلم تختلف كثيراً عن سابقتها ، فقد كانت المطاردة نفسها ، والحركات نفسها ، إلا أن القطاة كانت ذات حركة مرنة وصعبة ، فكان الفوز حليفها .

ولا يريد الباحث الخوض في موضوع الحركة كثيراً (رغم أهميته) ، لأنه موضوع واسع ، يحتاج إلى دراسة متعمقّة ، ولكنّه سيكتفي بجانب واحد من مظاهر الصورة البصرية وهي اللون ، وقياس مقدار تصوير الشعراء لهذه الناحية الدقيقة في التصوير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللون الأبيض

لعلّ أكثر الألوان وروداً في التشبيه الملحمي بشكل عام هو اللون الأبيض[١] ، فقد ظهر اللون الأبيض في حيّة النابغة (ذات الصفا) وهي مرقّشة بالبياض والسواد [٢] ، وكان نهر الفرات أبيض اللون عند بشر [٣] .

وحين شبّه الشعراء المرأة بالدرّة ، كانوا يسعون إلى تصوير بياضها وإشراقها إضافة لندرتها وصعوبة نيلها [٤] ، كقول أبي ذؤيب الهذلي [٥] .

كأنّ ابنة السهمي درّة قامس لها بعد تقطيع النبوح وهيج

وكانت المرأة في تشبيهاتهم أيضاً كالغزالة الخالصة البياض [٦] ، أو يكون في جسمها بياض [٧] ، وقد يكون البياض في خديّها [٨] .

---

[١] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص ١٨٧ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٣ (... من الرقّش في أنيابها السم ناقع) .

[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٦٩ (ولو جاراك أبيض مثلثبٌ ...) .

[٤] ينظر : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٠ (كجمانة البحري ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٦٧ (كأنّها درّة زهراء ...) وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٧٢ (رأى درّة بيضاء ...)، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٧٥ (كدّرة الغايص ...) لعدي بن وداع ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ١٣٣ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٥] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٥ (بجيد مغزلة أدماء خاذلة ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ (أو الأدم ...) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص٧٣ (... فهي أدماء سارها) لأبي ذؤيب الهذلي .

[٧] ينظر مثلاً : ديوان طرفة بن العبد ، ص ٨ (وفي الحي أحوى ...) ، وديوان طفيل الغنوي ، ص ٥٥ (وإذا هي أحوى ...) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٤٣ (أدمانة ترد البرير بغيلها ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ (أو الأدم الموشّحة العواطي ...) ، و ص ٢٠٣ (وصاحبها غضيض الطرف أحوى ...) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٧١ (موشّحة بالطرتين ...) وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص١٧٣ (ابن غدايتين موشي أكارعه ...) .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨ (خذول من البيض الخدود ...) ، و ص ١٤٣ (من البيض الخدود ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّـا حيـن يتكلّم الشاعر عن نشر المرأة ، فإنّه يورد أسماء بعض النباتات ذوات الزّهرة البيضاء ، كالياسمين [١] ، والأقحوان [٢] .

أمّـا حيـن يتكـلّم عن الخمر التي تشبه بها ريق المرأة ، فقد يكون لون بعضها بيضاء كماء النيء [٣] وكان ساقي الخمر يضع على أنفه وفمه خرقة بيضاء [٤] ، وكانت الـنحل بيضـاء عـند أبـي ذؤيب [٥] ، وكانت ظعائن النساء تسير على طريق كالثوب الأبيض [٦] .

ويظهـر الـلون الأبيض في قصّة الثور ظهوراً واضحاً في كثير من أبيات تلك التشـبيهات وقصصـها ، وهـو مـا يـدلّ على إشراقه ونقائه وصفائه ، فقد صرحّوا بوصـف بياضـه [٧] وشـبهوه بأشياء يشكّل فيها البياض عنصراً أساسياً ، كالنّار [٨] ، والسـيف [٩] ، والكوكب الدريّ [١٠] ، والنجم الثاقب [١١] ، والبرق اللامع [١٢] ، والثوب الأبيض [١٣] ، والعاج الأبيض [١٤] ، وكان الصقيع على ظهره كحبّات الجمان البيضاء .

---

[١] المصدر ذاته ، ص ٢٨٨ (كأنّ الياسمين ونفح مسك ...) .
[٢] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (تباهى النور فيها والعرار) .
[٣] ينظر : شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٥ (عقار كماء النيء ...) لأبي ذؤيب الهذلي .
[٤] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٣ (... خفيف ذفيف ما يزال مقدّما) .
[٥] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ١٤٢ (وما ضرب بيضاء ...) .
[٦] شعر المسيّب بن علس ، ص ١٢٣ (... ريع كأنّ متونه سحل) .
[٧] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٢ (... كسوتهنّ مشباً ناشطاً لبقا) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٨٥ (كأنّها خاضب أظلافه لبق قهد الإهاب تربته الزّتائير) .
[٨] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ (... كأنّه على الصمد والأكام جذوة مقبس) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٤ (... كما رفع المنير بكفّه لهبا) .
[٩] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧ (... كسيف الصّيقل الفرد) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٣ (... كنصل السيف جرّده المنيح) .
[١٠] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٤ (وانقضّ كالكوكب الدرّي منصلتاً ...) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٤٤ (كالكوكب الدريّ يشرق متنه ...) .
[١١] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ (... كالنجم يختار الكثيب أبل) ، وديوان المثقّب العبدي ، ص ٤٩ (... كما ينحسر النجم عن الفرقد) .
[١٢] ينظر مثلاً : ديوان المتلمس الضبعي، ص٢٣٢ (... كأن سراته كبرق نزيع والسحابة ترجس) .
[١٣] ينظر مثلاً : المفضليات ، ص ٢٣٠ (كأنّه نصع يمان ...) للمرقش الأكبر ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٦ (كأنه نصع جلته الشمس بعد صوان) .
[١٤] ينظر مثلاً : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٣ (... كوقف العاج طرته تلوح) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (كما تهزهز وقف العاجة السلس) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول بشر بن أبي خازم [١] :

فأضحى وصئبان الصقيع كأنّها جمان بضاحي متنه يتحدّر

أمّا بقرة الوحش فشبهها الشعراء بالسحابة لبياضها [٢] ، وبالقميص الأبيض المخطط بالسواد[٣] ، وبصحيفة من الجلد الأبيض[٤] ، وبجمانة البحري لإشراقها[٥] .

ويبدو حمار الوحش في تصوير الشعراء أبيض اللون فيه سواد أي من الجون [٦] ، فقد وصفوا بطنه وعجيزته بالبياض [٧] ، كما وصفوا عجيزة الأتان بالبياض أيضاً [٨] ، وهم في كلّ ذلك يتحرّون الصدق الوصفي في تناولهم الأشياء ، كما رأوها ، يقول زهير في وصف بياض ظهر الحمار [٩] :

كأنّ بريقه برقان سحل جلا عن متنه حرض وماء

اللون الأسود

ينتشر اللون الأسود في التشبيه الملحمي انتشاراً يقرب من انتشار اللون الأبيض فيه ، فقد كان الشاعر الجاهلي يصوّر المشهد الذي يتعرّض له بدقّة متناهية غير متناس اللون الذي تتشكل منه كثير من تفاصيلها (الصورة) ، وكان السواد يدخل في كثير من الأشياء التي تناولها .

---

[١] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٣ .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٥ (... وكأنها غرّاء من قطع السحاب الأقهد) .

[٣] المصدر ذاته ، ص ٢٢٨ (وكأنها مسربلة في رازقيّ معضّد) .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٢٣١ (... أطبّه صرف في قضيم مسرّد) .

[٥] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣٠٩(وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سلّ نظامها) .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٠ (أذلك أم جون يطارد أتناً) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٦ (... تضمنه جون السراة عنوم) .

[٧] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ (... كأن بياض لبته سنين) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ (كأني كسوت الرحل أحقب قارباً ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٦ (كأني كسوت الرحل أحقب ناشطاً ...) .

[٨] ينظر مثلاً ديوان امرئ القيس ، ص ٧٩ (أرنّ على حقب حيال ...) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ (يقلّب حقباء العجيزة ...) .

[٩] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففـــي تشـــبيهات الـــرجل الملحميّة ، ظهر الجحفل أسودَ كالليل في قصّة السموأل عـــند الأعشى [١] ، وتمثّل في الكحل المعروف بالسواد [٢] ، وكانت النّاقة السانية سوداء اللون حين تكلّم الشعراء عن أحزانهم ودموعهـــم [٣] نتيجة طليهـــا بالقطـــران الأسود [٤] حمايـــة لها من الأمراض ، وكان لون الحوت أسودَ كلون الماء عند عبيد بن الأبرص الذي شبّه نفسه به [٥] .

وكـــانت الســـفن ســـوداً في تشبيه الظعائن بها [٦] ، وبانت عيون الغزلان سوداء كأنّها مكحولة [٧] ، ولاح على ظهورها خطّان أسودان [٨] ، وكان لون الغائص أسودَ في قصّة الدرّة عند عدي بن وداع [٩] .

---

[١] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان الأعشى ، ص ٢٩٣ (... في جحفل كسواد الليل جرّار) ، ورد شديد السواد في قصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٢ (... وليل حالك النقبة غربيب) .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٤ (... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد) .

[٣] يـــنظر مثلاً : ديوان علقمة الفحل ، ص ٥٣ (... دهماء حاركها بالقتب مخزوم) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٢ (دهماء قد دجنت ...) .

[٤] يـــنظر : ديـــوان عـــلقمة الفحـــل ، ص ٥٥ (قد أدبر العرُّ عنها وهي شاملها من ناصع القطران الصرف تدسيم) وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٢ (بكرت به جرشيّة مقطورة ...) .

[٥] ديـــوان عـــبيد بن الأبرص ، ص ٧٧ (... وحوت البحر أسود ذو ملاص) ، و ص ٧٨ (كلون الماء أسود ذو قشور ...) .

[٦] ديوان امرئ القيس ، ص ٥٧ (... أو سفيناً مقيرّا) .

[٧] يـــنظر : ديـــوان طفيل الغنوي ، ص ٥٥ (... والعين بالأثمد الحادي مكحول) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٥ (... شادن أكحل ... وأحمّ المقلتين ...) .

[٨] يـــنظر مـــثلاً : ديوان طفيل الغنوي ، ص ٥٥ (وإذا هي أحوى من الربعي حاجبه) ، وديوان طرفة بن العـــبد ، ص ٨ (وفـــي الحـــيّ أحوى ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ (أو الأدم الموشحة العواطـــي ...) ، و ص ٢٠٣ (وصـــاحبها غضيض الطرف أحوى ...) ، وشرح اشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٧١ (موشـــحة بالطـــرتين ...) لأبـــي ذؤيب الهذلي ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ١٧٣ (ابن غدايتين موشيّ أكارعه ...) ، و ص ٢٦٩ (مقلّد قضب الريحان ذو جدد .

[٩] ينظر : قصائد جاهلية نادرة ، ص ٥٧ (جاء بها آدم صلب ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتمثّل السواد في المسك عند حديث الشعراء عن ريق المرأة ونشرها وتشبيهه بريح الروضة وبالخمر [١] التي توضع في دنّ أسود اللون حين يفتح من الداخل [٢] .
وكانت رؤوس النحل سوداء [٣] ، تسكن جبلاً أسودَ [٤] عند الأعشى .
ويظهر اللون الأسود في قصّة الثور ، في خديه [٥] ، وفي ظهره [٦] ، وفي قوائمه [٧] ، وفي قرنيه [٨] ، كقول المتلمّس الضبعي [٩] :

له جدد سود كأنّ أرندجاً بأكرعه وبالذراعين سندسُ

وقول زهير بن مسعود الضبيّ [١٠] :

وكأنّ رحلي فوق ذي جدد بشواه والخدّين كالنقس

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ (... صهباء صافية بالمسك مختومة) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (وكأن الياسمين ونفح مسك ...) .

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٣ (... وقد أخرجت من أسود الجوف أدهما) .

[٣] ينظر : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٣ (سود الرؤوس ...) .

[٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ (في يافع جون تلفّع بالصحرى ...) .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٢ (فبات على خد أحم ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ (... على ظهر طاو أسفع الخدّ أخثما) ، وديوان لبيد بن ربيعة : ص ١٤٣ (... أو أسفع الخدّين شاة إران) .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٩ (أفذاك أم ذو جدّتين مولّع ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (وكأنّما الرحل منها فوق ذي جدد) ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٤٢ (كأنّها ذو وشوم ...) .

[٧] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧ (من وحش وجرة موشي أكارعه ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٢ (كأنّها بحربة موشي القوائم مقفر) ، والمفضليات ، ص ٢٣٠ (وبالأكرع تخنيف كلون الحمم) للمرقّش الأكبر .

[٨] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٥٢ (... بسحماوين ليطهما صحيح) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٩٥ (... بأضما من فرع النؤابة أسحما) ، وديوان المتلمس الضبعي ، ص ٢٣٠ (... والروق أسحم أملس) .

[٩] ديوان المتلمّس الضبعي ، ص ٢٢٨ . وبهامشه : الجدد : جمع جدّة ، الطريقة والعلامة والخطّة في ظهر الحمار تخالف لونه ، السندس ، ضرب من الديباج أو ضرب من رقيق الديباج .

[١٠] قصائد جاهلية نادرة ، ص ٨٧ . وفي الهامش : ذو جدد : ثور فيه خطوط تخالف لونه ، شواه : قوائمه ، النقس : المداد الذي يكتب به .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــان قرن الثور أسودَ كقضيب الشواء الأسود [١] ، وانقلب لون الكلب بعد طعنة الثور حالك السواد [٢] ، وتنفّس الثور كالحدّاد الذي ينفخ الفحم الأسود [٣] .

ويـــلوح الـــنعام في قصّته أسودَ كالعبد الحبشي [٤] أو كالليل [٥] وظهرت القطاة الـــتي شبّهت بها الفرس جونية اللون ، سوداء البطن والأجنحة [٦] ، والقطاة الكدرية [٧] والكدري ما كان أكدر الظهر أسود الجناح [٨] .

ويكون اللون الأسود مختلطاً مع الأبيض في قصة حمار الوحش ، أي من الجون [٩] ، فيظهـــر على ظهره خطّان أسودان [١٠] ويصوّر الشمّاخ الذبياني السواد الذي يكون على حمار الوحش بدقّة وتفصيل فيقول [١١] :

في عانة حقب علت أصلابها جدد وحان سوادها الأعناقا
سالت على أذنابـــها وتخالها برداً على أكـــتافها أخـــلاقا

وكـــانت حوافر الحمار سمراء [١٢] ، وكان الغبار الذي تثيره جرّاء جريها السريع معتماً كالضباب [١٣] .

---

[١] ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٩ (... سفود شرب نسوه عند مفتأد) .
[٢] المصدر ذاته ، ص ٢٠ (فظلّ يعجم أعلى الروق منقبضاً في حالك اللون ...) .
[٣] المصدر ذاته ، ص ٦٦ (كالهبرقي تنحىّ ينفخ الفحما) .
[٤] يـــنظر مثلاً : ديوان عنترة العبسي : ص١٩٩ (... كالعبد ذي الغرو الطويل الأصلم) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ (كأنه حبشي حازقة عليه القرطف) .
[٥] ينظر : ديوان علقمة الفحل ، ص ٦١ (... كأنه بتناهي الروض علجوم) ، والعلجوم : الليل الأسود .
[٦] يـــنظر : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ (جونيّة كحصاة القسم مرتعها ...) ، و ص ٢٤٣ (جونية كقرىّ السلم واقة ...) .
[٧] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٦ (أو مرّ كدريّة ...) .
[٨] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧١ .
[٩] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص١٨٠ (أذلك أم جون ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص٢١٨ (... من الجوني ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٣٦ (جون أضرّ بملمع ...) .
[١٠] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ١٦٥ (تراها كأحقب ذي جدتين ...) .
[١١] ديوان الشمّاخ ، ص ٢٦٧ .
[١٢] يـــنظر مـــثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ (تلثُ الحصى بسمر رزينة ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٩١ (... بأسمر لام لا أرحٌ ولا وجي) .
[١٣] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٧ (... وأنشأ جوناً كالضبابة جائلا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللون الأخضر

يكثر اللون الأخضر حين يتكلّم الشعراء في تشبيهاتهم عن الأشجار والربيع والنباتات الصغيرة ، وغيرها فتكون الخضرة حول الماء عادة . حين يتحدث الشعراء عن السانية من الأبل في وصفهم لنماء وجدوله [١] وفي تشبيههم الرجل الكريم بالنهر الذي يجرف معه الأشجار الخضراء [٢] وكانت النباتات التي ترعاها الغزلان خضراء نبتت في خصب [٣] ويرد الأخضرار في حديثهم عن الروضة الغناء حين يشبّهون نشر المرأة بها [٤] .

وكانت مسارب خليّة النحل خضراء في شعر المسيب بن علس [٥] ، ويرد اللون الأخضر في قصّة الظعائن وتشبيهها بأشجار الدوم [٦] ، والنخيل [٧] ، وما يرافق ذلك من تفصيل في تنوع الألوان يكون الأخضر هو الغالب عليها .
أمّا الظليم فإنه يرعى في روضة خضراء [٨] ، حيث يأكل الحنظل المخطط باللون الأصفر والأخضر [٩] .

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٠ (يخرجن من شربات ماؤها طحل ...) .
[٢] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٧ (... فيه ركام من الينبوت والخضد) ، وديوان الأعشى ، ص ٥١ (... ويصرع بالعبر إثلاً وزارا) ، وشعر المسيب بن علس ، ص ١٢٩ (... ويصرع بالعبر إثلا وضالا) .
[٣] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ٢٧٥ (يرعى الأراك والكباث وذا المرد نبتهنّ خضل) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، و ص ٨ (خذول من البيض الخدود دنالها أراك بروضات الخزامى وحلّب) ص ١٤٣ (... ينشن الغصن من ضالّ قضاف) .
[٤] ينظر مثلاً : ديوان عنترة ، ص ١٩٦ – ١٩٨ (أو روضة أنفا تضمّن نبتها ...) ، وديوان قيس بن الخطيم ، ص ٦٧ – ٦٨ (فما روضة من رياض القطا كأنّ المصابيح حوذانها) ، وديوان الأعشى ، ص ٥٧ (ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (فليست روضة ...) .
[٥] ينظر مثلاً : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٣ (... محفوفة بمسارب خضر) .
[٦] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٥٧ (... حدائق دوم ...) .
[٧] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (أو المكرعات من نخيل ابن يامن ... سوامق جبّار أثيث فروعه ...) .
[٨] ديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ (أمسى بذي العجلان يقرو روضة خضراء أنضر نبتها فترأدا) .
[٩] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٨ (... ونوادراً من حنظل الخطبان) ، والمفضليات ، ص ٢٣٠ (... بالأء والحدج الرواء الحادر) لثعلبة بن صعير المازني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكثر الشعراء من ذكر النباتات الخضراء في قصّة حمار الوحش فذكروا : الأستن [١] ، والبارض [٢] والسبقل [٣] ، والسبهمى [٤] ، والحديق [٥] ، والحلى [٦] ، والخلي [٧] ، والسربة [٨] . السّفا [٩] ، والضّال [١٠] ، والطحلب [١١] ، والعرفج [١٢] ، والعرمض [١٣] . والعلقم [١٤] ، والغرقد [١٥] ، والغمير [١٦] ، والقصيص [١٧] ، والقلاّم [١٨] ، واللعاع [١٩] واليراع [٢٠] .

---

[١] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ .

[٢] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٤٧ .

[٣] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ ، وديوان الشمّاخ ، ص٨٦ .

[٤] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ ، وديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٢ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٩ ، و ص ١٥٤ .

[٥] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ٢٤٥ .

[٦] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[٧] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١١٧ .

[٨] ينظر : ديوان أمرئ القيس ، ص ٨١ .

[٩] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٤ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٦٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٨٩ .

[١٠] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ .

[١١] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٥ .

[١٢] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٦ .

[١٣] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٨ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٨٣ ، و ص ٣٠١ .

[١٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ١١٩ .

[١٥] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٣ .

[١٦] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٦٦ .

[١٧] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[١٨] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٧ .

[١٩] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[٢٠] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشـــبه الشـــعراء ما يتساقط من شعره بالطيلسان الأخضر المغبر ، كقول امرئ القيس [١] :

يطير عفاءً من نسيل كأنّه سدوس أطارته الرياح وخوص

وقد يكون لون الماء أخضرَ لكثرة الطحلب عليه [٢] .

اللون الأحمر

يأخذ اللون الأحمر في التشبيه الملحمي مساحات غير قليلة ، فقد وصف الشعراء الأسد بتورّد الجبين [٣] وجاء في تشبيه الظعائن بالنخيل في قول امرئ القيس [٤] :

سوامـــق جبـــار أثيث فروعـــه وعالين قنواناً من البسر أحمرا

وأرضى بني الربّداء وأعتم زهوه وأكمامه حتى إذا مـــا تهصّرا

وكـــانوا يستعيضـــون عنه بما يدل على الاحمرار كزهاء النخل الأحمر [٥] ، ودم الرّعاف [٦] ، وكانت الدرّة كالجمر المتوقّد [٧] في قصّة تشبيه المرأة بالدرّة .

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[٢] يـــنظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٢ (... بلائق خضراً ماؤهنّ قليص) ، وديوان زهير بن أبي ســـلمى ، ص ٣٧٥ (يزخـــرف فوق جمامهنّ الطحلب) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٨٢ (... وشاح لها من عرمض وبريم) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٨٣ (... من عرمض كوخيف الغسل تحجيل) .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ٣٤١ .

[٤] ديوان امرئ القيس ، ص ٥٧ – ٥٨ .

[٥] ينظر مثلاً : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٢٢ (... تخدي كأنّ زهاءها نخل) .

[٦] المصدر ذاته ، ص ١٢٣ (... كدم الرعاف على مآزرها) .

[٧] المصدر ذاته ، ص ١٠٢ (... صدفيّة كمضيئة الجمر) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــان ريق المرأة كالخمر الصهباء حيث يميل لونها إلى الحمرة والصفرة وكذلك بائعهـــا [١] ، خمـــرة حمراء كالدم [٢] صافية حمراء كعين الدّيك [٣] وكالياقوت [٤] خمرة مخلوطة مع جني الرمّان الأحمر [٥] يُرى شاربها أحمر العينين لشدّة تأثيرها [٦] .

وكـــانت الخمر حمراء كلون دم الغزال [٧] كأنها عصارة شجر العندم الأحمر [٨] كأنّهـــا مـــزجت بعصـــارة شجرة البقّم الحمراء [٩] صافيـــة كحدق الجراد [١٠] ، وكان النحل أحمرَ في قصّة جني العسل [١١] .

وتـــبرز في قصّة ثور الوحش صورة الدم الأحمر، حين يفتك الثور بالكلاب عند مهاجمـــتها إيّـــاه ، فتسيل الدّماء الحمراء من صفحاتها [١٢] ، ويظهر الإحمرار في عيون

---

[١] يـــنظر : ديـــوان عـــبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ (... صهباء صافية بالمسك مختومة) و (ذو شارب أصـــهب) ، والمفضـــليات ، ص ٢٤٢ (مـــا قهوة صهباء ...) للمرقش الأصغر ، وديوان الأسود بن يعفر النهشـــلي : ص ٦٠ (حـــتى تـــناولها صـــهباء صافية ...) ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ٢٦٨ (مالت بشاربها صهباء خرطوم) .

[٢] يـــنظر مـــثلاً : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ (... كميتاً لونها لون الرّعاف) ، وديوان عدي بن زيـــد العبادي ، ص ٧٧ (باكرتهن قرقف كدم الجوف تريك القذى كميت رحيق) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ١٧٢ (... يقال لها دمُ الودج الذبيح) ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٣] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان عـــدي بن زيد العبادي ، ص ٧٨ (قدمته على سُلاف كعين الديك صفّى سلافها الـــراووق) ، وشـــرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص١٧١ (... كعين الدّيك أحصنها الصروح) ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٤] ديوان عدي بن زيد العبادي ، ص ٧٨ (وطفا فوقها فقاقيع كالياقوت حمرٌ يزينها التصفيق) .

[٥] ينظر:ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٤٤(كأن الشمول خالطت في كلامها جنياً من الرمان لدنا وذابلا) .

[٦] ينظر شرح أشعار الهذليين ، ص ٧٥ (ترى شربها حمر الحداق ...) .

[٧] ينظر ديوان امرئ القيس ، ص ١١٥ (... حمراء كلون دم الغزال ...) .

[٨] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٢٩٣ (... سخامية حمراء تحسب عندما) .

[٩] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (... إذا صبّ في المصحاة خالط بقمّا) .

[١٠] ينظر : ديوان المتلمّس الضبعي ، ص ١٦٦ (... كأنّ حبابها حدق الجراد) .

[١١] ينظر : المصدر ذاته ، ص ٥٥١ (... مراضيع صهب الريش زغب رقابها) .

[١٢] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان زهيـــر بـــن أبـــي سلمى ، ص ٣٨٠ (فتركنه خضل الجبين ...) ، و ص٤٨ (... نجـــلاء تتـــبع روقيـــة دماً دفقا) ، وديوان أوس بن حجر : ص ٣ (ينحى الدماء على ترائبها ...) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (... حمراء يخرج من حاقاتها النفس) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكـــلاب عـــندما يغـــريها الصائد ويحثها على الثور فتكون حمراء كنوّار العضرس [١] وحيـــنما يكـــون الثور في الربيع تبدو أظلافه حمراء من الخزامى ، كقول أبي الطمحان القيني [٢] :

لكا لنابئ الفرد الأرحّ ظلوفه قوانئ حمر من خزامى الخمائل

وكانت الغيوم في قصّة الثور تميل إلى الحمرة [٣] .

وتـــبدو السهام التي تُرمى بها الحمر الوحشية حمراء كالجمر عند السكوني [٤] ، أمّـــا دمـــاء الحمر الوحشيّة فتظهر نادراً حين تصيبها السهام [٥] المضرّجة بالدماء التي تشبه ظعائن النساء الحمراء [٦] .

ويكـــون فـــي خـــدّ العقـــاب أو الصـــقر حمـــرة كقول زهير (أهوى لها أسفع الخدين) [٧] ، وقوله [٨] :

من عاقص أمغر السّاقين منصلت في الخدّ منه إذا استقبلته سفع

---

[١] ينظر ديوان امرئ القيس ، ص١٠٣ (مغرثة زرقاً كأنّ عيونها من الذّمر والإيحاء نوّار عضرس) .

[٢] قصـــائد جاهـــليّة نـــادرة ،ص٢١٣، ويرد الخزامى كدليل على اللون الأحمر عند أمرئ القيس، ص ١٥٧(... وريح الخزامى ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٨(... أراك بروضات الخزامى وحلّب) .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢١٣ (أخرجته قهباء مسبلة الودق ...) .

[٤] قصـــائد جاهـــلية نـــادرة ، ص ١٤٢ (... كأنّ نصالها بعيجة جمر أو دبال مفتّل ...) لامرئ القيس بن جبلة السكوني .

[٥] ينظر:قصائد جاهلية نادرة ، ص١٤٢(ومارعبيط من نجيع كأنّه على مستوى الإطلين نير مرجّل) .

[٦] ديوان الشمّاخ ، ص ١٨٢ (ولو ثقفاها ضرجت بدمائها كما جللت فيها القرام الرجائز) .

[٧] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧٢ .

[٨] المصدر ذاته ، ص ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو أحمر الساقين [١] أو أن يكون منقاره أحمرَ من دماء فرائسه [٢] التي تبدو قلوبها الرطبة كالعنّاب [٣] ولكنّه حين تهزمه القطاة يقع فتسيل دماؤه الحمراء[٤] ،أما في قصّة النعامة والظليم فيظهر أنّ أرجلها حمراء من أزهار الربيع[٥] .

اللون الأصفر

لم يكن انتشار اللون الأصفر واسعاً كبقية الألوان في التشبيه الملحمي ، فقد جاء في مواقع محدودة من التشبيهات .

وأول ما يطالعنا هذا اللون في تشبيه الرجل بالأسد عند الأعشى في قوله[٦] :

ما مخدر ورد كأنّ جبينه يطلى بورس أويطان بمجسد [٧]

وورد شبيه بهذا الوصف عنده أيضاً حين وصف الأسد بأنه ذو جبين أحمر ضارباً إلى الصفرة [٨] ، وقد ورد اللون الأصفر في تشبيه الظعائن بالنخيل الذي بدت

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٠ (من عاقص أمغر الساقين منصلت ...) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٧ (أهوى لها أمغر الساقين ...) .

[٢] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٧ (... خرطومه من دماء الطير مختضبُ) .

[٣] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٣٨ (كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي) .

[٤] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٢٤٨ (... فزلّ عنها ووافى رأس مرقبه كمنصب العتردمى النسك) وديوان دريد بن الصمة ، ص٣٨ (وبالقلب يدمى أنفه وترائبه) .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٨ (... على خاضب الساقين أزعر نقنق) ، و ص ٢٤٩ (... سماوة قشراء الوظيفين عوهق) ، و ص ٣١٦ (تخدي كوخذ ظليم خاضب زعر) ، وديوان بشر بن ابي خازم ، ص ١٥٤ (... في جيد خاضبة إذا ما أوجفوا) ، وديوان علقمة الفحل ، ص ٥٨ (كأنّها خاضب زعر قوادمه ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٧٧ (... ورجلا خاضب سنق) ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٨٤ (... في مبسب مقفر حمر به اللعط) .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ١٩١ .

[٧] الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصنع به ، والمجسد : الزعفران ، ديوان الأعشى ، ص ١٩١ .

[٨] المصدر ذاته ، ص ٣٤١ (ما مثيل ورد الجبين ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثماره صفراء وحمراء[١]، وفي أزهار الحوذان في الروضة التي شبّهت بها المرأة [٢] .

ويبدو اللون الأصفر في قصّة الظليم والنعامة حين يذكر الشعراء نبات الحنظل المخطّط بالأخضر والأصفر [٣] .

ويكثر اللون الأصفر حين يتحدّث الشعراء عن ريق المحبوبة لمّا يشبهونه بالخمر الصهباء [٤] (الشقراء) ، وحين يشبّهون الريق لطعمه اللذيذ بالعسل الأصفر الصافي [٥] ، ويكون قرص الشمس أصفرَ حين تعود النحل إلى خليّتها [٦] .

ويكون اللون الأصفر في قصّة حمار الوحش خطّاً أصفرَ كلون الذهب في قول امرئ القيس [٧] :

كأنّ سراته وجدّة ظهره كنائن يجري بينهنّ دليص

وكالنحاس الأصفر في قول النابغة [٨]

كأنّ شواظهن بجانبيه نحاس الصفر تضربه القيون

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٥٨ (وأرضى بني الربداء واعتمّ زهو وأكمامه حتى إذا ما تهصّرا) ، وشعر المسيّب بن علس ، ص ١٢٢ (... تخدي كأنّ زهاءها نخل) .

[٢] ينظر : ديوان قيس بن الخطيم ، ص ٦٧ (... كأنّ المصابيح حوذانها) والحوذان : نبت يرتفع قدر ذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقته مدوّرة ... اللسان ، مادة (حوذ) .

[٣] ينظر ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٤٨ (... ونوادراً من حنظل الخطبان) .

[٤] ينظر مثلاً : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ ، والمفضليات ، ص ٢٤٢ للمرقّش الأصغر ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٦٠ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٥٤ (... معتّقة صهباء وهي شبابها) لأبي ذؤيب الهذلي .

[٥] ينظر : شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٤ (فهراق في طرف العسيب إلى متقبل لنواطف صفر) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ (... وتفاحاً على أري الدبّور نزل) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٩٦ (هو الضحك إلا أنه عمل النحل) لأبي ذؤيب الهذلي .

[٦] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٨ (بأري التي تأرى لدى كل مغرب إذا أصفرّ ليط الشمس حان انقلابها) .

[٧] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨١ .

[٨] ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكـــون شـــعر عشـــنون الأتان الوحشيّة أشقرَ [١] ، ولون القوس الذي يرمي به الرامي السهام إلى حمر الوحش أصفرَ [٢] .

اللون الأزرق

يكـــثر ورود اللون الأزرق في التشبيهات التي يكثر فيها ذكر المياه [٣] من أنهار وبحار كتشبيه الرجل الكريم بالنهر الفيّاض ... وغيره .

ويلحظ أن هذا اللون يدلُّ على بعد الرؤية ودقتها ،لذلك أطلقوا اسم زرقاء اليمامة عـــلى تـــلك المرأة التي ترى الأشياء من مسافات بعيدة برؤية ثاقبة كما ورد عند النابغة حيـــن أراد مـــن النعمان أن يحكم كحكم زرقاء اليمامة [٤] ، وكما ورد عند الأعشى حين أراد أن تكون ابنته متفائلة بقدومه تنتظره بشوق كما انتظرت زرقاء اليمامة أخيها [٥] .

ويـــلحُ الشعراء على وصف عيون كلاب الصيّد بالزرقة في قصة الثور [٦] ، كقول زهير بن أبي سلمى [٧] :

زرق العيون طواها حسن صنعته مجوّعات كما تطوى بها الخرقا

وكـــان مخـــلب الـــباز أزرقَ عند الأعشى [٨] ، كما كانوا يطلقون اللون الأزرق كصفة قاتلة على السهام التي يوجهها الصائدون إلى الحمار [٩] .

---

[١] يـــنظر مـــثلاً : قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤١ (صهابية العثنون مخطوفة الحشا ...) لامرئ القيس بن جبلة السكوني .

[٢] ينظر : قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ (وصفراء من نبع رنين خواتها تجـــود بـــأيدي الـــنازعين وتـــبخل) لامرئ القيس بن جبلة السكوني ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٨٣ (... وصفراء من نبع عليها الجلائز) ، و ص ١٩٣ (كأن عليها زعفراناً تميره) .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٨ (فبيّت زرقاً من سرار بسحرة ...) .

[٤] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٣ – ٢٥ (واحكم كحكم فتاة الحي ...) .

[٥] ينظر : ديوان الأعشى ، ص١٠٣(كوني كمثل التي إذ غاب وافدها أهدت إليه من بعيد نظرة جزعا) .

[٦] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ (مغرثة زرقاً كأنّ عيونها ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٢١ (بأكلبة زرق ضوار ...) .

[٧] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٧ .

[٨] ديوان الأعشى ، ص ٢١ .

[٩] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٩ (وزرق قد تنحلها لقضب ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٩٥ ، (بزرق النواحي مرهفات ...) ، و ص ١٨٣ (مطلاً بزرق ما يداوى رميّها ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللون الرمادي

يـــرد الـــلون الرمادي في تشبيه المرأة بالغزال ، حين يذكر الشاعر لون الذباب الـــرمادي [١] ، وكـــان الرمادي لون حيوان " الوبر " الذي ورد مشبهاً به لمشتار العسل عند المسيّب بن علس [٢] وقد شبه الشنفرى الأزدي نفسه بذئب رمادي اللون [٣] .

أمّـــا في قصة ثور الوحش فيرد اللون الرمادي في وصف الشعراء للصائد الذي عـــادة مـــا يشبه بذئب رمادي في لونه ونحوله [٤] ، وتظير النعامة والظليم بلون رمادي أيضاً [٥] .

ثانياً : السمع

يكـــثر الشـــعراء من وصف أصوات معظم الأشياء التي تحيط بهم في تشبيهاتهم المـــلحميّة المتنوّعة ، وقد كانوا يبرزون عنصر الصوت باعتباره عنصراً يضفي على صـــورهم الشـــعرية حيـــاة تزيد من تجسيد المنظر في أذن السامع بدقّة متناهية ، وهي صـــور غير قليلة ؛ بل إنها مبثوثة في التشبيه الملحمي بشكل يجعل من بعضها هدفاً كان يقصـــد إليه الشعراء قصداً ، وفي فهمه وتفسيره حلّ لبعض غموض تلك التشبيهات كما في قصّة حمار الوحش .

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ٢٦٥ (تخرجه إلى الكناس إذا التج ذباب الأيكة الأطحل) .

[٢] يـــنظر : شـــعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٣ (... فوق الهضاب بمعقل الوبر) ، و ص ١٠٤ (متلطّفاً كتلطّف الوبر) .

[٣] شرح لامية العرب ، ص ٣٥ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري .

[٤] يـــنظر مـــثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٨ (من حسّ أطلس ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٤ (أزلُ كســـرحان القصيمة أغبر) ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٤٨ (فأوردها على طمل يمان ...) ، وديـــوان الأعشـــى ، ص ٣١٥ (أحـــسّ بالســـمار عجل طمل ... أطلس طلاع النجاد يسعى بهنّ مغاور أطحل) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤١ (يقدمن أشعث في مارته طلس) .

[٥] يـــنظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ (أو صعله بالقارتين تروّحت ربداء تتبع الظليم الأربدا) ، و ص ٢٢٩ (وكأنّه هقل يباري هقلة رمداء في خيط نقانق أرمدا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونسمع في تشبيهات الرجل الملحميّة صريف البكرات في قصّة السانية [١] ، ونسمع سائقها وهو يحدو ويتغنى [٢] ، ويعلو صوت جيشان الأمواج واضطراب الماء ، في تشبيه الرجل الكريم بالنهر الفيّاض [٣] ، ونسمع حليف ذات الصفا وهو يسنّ غراب الفأس [٤] .

ونسمع وحوحة الأم وولولتها حين نسيها ابنها [٥] ، ويحسب الملدوغ وساوس حلي النساء قعقعة الأسنة [٦] ، وها هو عدي بن زيد كالراهب يصلي ويجأر [٧] ، وحين يتكاثر البعوض على الأسد فإنّه يصدر أصوات الغضب [٨] ، وما من مجيب لصرخات الاستغاثة التي أطلقها ضحيته [٩] .

ونسمع أيضاً في تشبيهات الرجل الملحمية عويل العجوز الشمطاء [١٠] ، وصوت انقضاض العقاب [١١]، وكان صوت هجوم الأعداء كصوت تفجّر الحوض المليء بالماء [١٢] ، وكان صوت الطعنة كصوت تمزيق القماش [١٣] ، وتسمع تراتيل الساقي

---

[١] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٨ (... من المحالة ثقباً رائداً قلقا) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤ (... محالة خطّاف تصرُّ ثقوبها) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٢٣ (... قلق المحالة جارن مسلوم) .

[٢] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٩ (وخلفها سائق يحدو إذا خشيت ...) ، و ص ٤٠ (وقابل يتغنّى كلما قدرت ...) .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٦ – ٢٧ (فما الفرات إذا جاشت غواربه) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٩ (... جون غواربه تلتطم) ، و ص ١٠٩ (يجيش طوفانه إذ عبَّ محتفلاً ...) .

[٤] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٥٤ – ١٥٦ (أكبّ على فأس يحدُّ غرابها ...) .

[٥] ينظر : ديوان عروة بن الورد ، ص ٢١١ (فباتت بحدّ المرفقين مكبّة توحوح مما نابها وتولول) .

[٦] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص٣٣ – ٣٤ (... لحلي النساء في يديه قعاقع) .

[٧] ينظر : ديوان عدي بن زيد العبادي ، ص ٦١ (... لأبيل كلما صلى جأر) .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ١٩١ (متى ما تنل من جلده يتزند) .

[٩] المصدر ذاته ، ص ١٩٣ (فأسمع أولى الدعوتين صحابه وكان التي لا يسمعون لها قد) .

[١٠] ينظر : شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ١٨٤ (فما إن وجد معولة رقوب ...) .

[١١] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ١٨٥ (... من العقبان خائفة دفوف) .

[١٢] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ١٨٦ (... كما يتفجر الحوض اللقيف) .

[١٣] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ١٨٧ (فراغ وزوّدوه ذات فرغ لها نفذ كما قدَّ النصيف) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزمزمته على الخمر [١] ، كما نسمع أصوات بعض الآلات الموسيقية [٢] ، وكان الصوت مهماً في قصّة الذئب عند الشنفرى الأزدي فالعواء كان لغة التفاهم والتواصل بينه وبقيّة الذئاب :

فلمّا لواه القوت من حيث أمّهُ دعا فأجابته نظائر نحّل [٣]

فلما اجتمعت الذئاب ، أصبح العواء بمثابة لغة للشكوى والتذمر ، فيبدأوا بالصياح كأنّهم نساء ثكل اجتمعن فوق مكان عالٍ :

فضجُّ وضجّت بالبراح كأنّها وإيّاه نوح فوق علياء ثكل [٤]

لكنّ العواء يتحوّل إلى ضرب من المواساة ، فتحث الذئاب بعضها بعضاً على الصبر والتجلّد في مواجهة الجوع ، فيبدأ صوتها بالتناقص حتى تطلق صرخة أخيرة ، تدعو إلى أن السكوت والصبر أفضل من الشكوى التي لا تفيد .

وأغضى وأغضت واتّسى واتّست به مراميل عزّاها وعزته مرمل

شكا وشكت ثم أرعوى بعد وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل [٥]

أمّا في تشبيهات المرأة الملحميّة ، فنسمع بغام الغزلان [٦] ، ونباح الكلاب [٧] ، وضجّة الماء في البحر [٨] ، وصياح الديك [٩] وسحّ المطر وتسكابه [١٠] وأزيز الذباب

---

[١] ينظر : ديوان الأعشى ، ص٢٩٣ (... إذا ذبحت صلّى عليها وزمزما) .

[٢] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (ومستق سيفين وونٌ وبربط يجاوبه صنج إذا ما ترنّما) .

[٣] ينظر : شرح لامية العرب ، ص ٣٧ ، للعكبري .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٣٩ .

[٥] ينظر : شرح لامية العرب ، ص ٤٠ – ٤١ ، العكبري .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٣١ (... على جيداء فاترة البغام) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٥ (... مسروق البغام) ، وبشر بن أبي خازم ، ص ٢٠٣ (... يضوع فوادها منه بغام) ، وقيس بن الخطيم ، ص ٢١٢ (... عيطاء تسمع منها بغاما) .

[٧] ينظر مثلاً : شرح أشعار الهذليين ج ١ ، ص ١٣٣ (... لها بعد تقطيع النبوح وهيج) لأبي ذؤيب الهذلي .

[٨] ينظر مثلاً : قصائد جاهلية نادرة ، ص ٥٨ (تختصم اللجّة في العوطب ذي التيار والجلجل) لعدي بن وداع .

[٩] ينظر مثلاً : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (... إذا ما الديك حان له استحار) .

[١٠] ينظر مثلاً : ديوان عنترة العبسي ، ص ١٩٧ (سحاً وتسكاباً فكلُّ عشيّة ...) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغـناءه الذي يشبه ترنمّ شارب الخمر [١] ونسمع زجل النحل [٢] وصوت صقل الصفاح [٣] ، وزعزعة الريح [٤] .

امّـا فـي قصّـة الـثور ، فنسـمع صـوت الريح والأمطار المحملة بالحصى وهـي تعصـف بـه فـي ليلتـه الماطـرة [٥] فيلمـع البـرق ويسمـع هزيـم الرعد [٦] ، وتسمع صوت صقل السيوف حين يشبّه الثور بالصيقل [٧] أو بالسيف [٨].

ونتسـمع بإصـغاء شديد مع الثور حين يشنف أسماعه ؛ فيسمع صوتاً خفياً خافتاً هـو صـوت الصائد الكلاّب [٩] الذي يحض الكلاب ويحثها بشدّة للفتك بالثور [١٠] فيفتك

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٩٧ – ١٩٨ ، (فترى الذباب بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم) .

[٢] يـنظر مـثلاً : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٤ (سود الرؤوس لصوتها زجل) ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ (نحلاً له حول الوقود زجل) .

[٣] يـنظر مـثلاً : شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٩٧ (فما إن هما في صفحة بارقية جديد أرقت بالقدوم وبالصقل) .

[٤] المصدر ذاته ، ج١ ، ص ١١٥ (... تزعزعه الريح بعد المطر) .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (باتت له ليلة شهباء تسفعه بحاصب ذات شفّان وأمطار) ، وديـوان أوس بـن حجر ، ص ٢ (... حرجاً يعالج مظلماً صخباً) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ٩٣ (... فبات مقروراً مكباً على روقيه والماء شأبيب) لزهير بن مسعود الضبيّ .

[٦] يـنظر مثلاً : ديوان المتلمّس الضبعي ، ص ٢٣٢ (... كبرق نزيع والسحابة ترجس) ، وقصائد جاهليّة نادرة ، ص ٨٨ (... راحت عليه بوابل رجس) لزهير بن مسعود الضبيّ .

[٧] يـنظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ٢٧٩ (... كما أحنى على شماله الصيقل) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٨ (... جنوح الهالكي على يديه مكباً يجتلي نقب النصال) .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٠ (... كنصل السيف حودث بالصقال) .

[٩] يـنظر مـثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٨ (فارتاع من صوت كلاّب ...) ، و ص ١٥٨ (أصاخ مـن نـباة أصغى لها أذناً) ، و ص ١٥٩ (من حس أطلس ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٨٣ (فـأدى إليه مطلع الشمس نبأة ...) ، و ص ١٢٠ (له كل يوم نبأة من مكلّب ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٣٦٣ (... أحـس من ثعل بالفجر كلاّبا) ، و ص ٢٧٩ (أحس بالسمار عجل طمل ...) ، وديوان المثقّب العـبدي ، ص ٤١ (يصـيخ للنبأة أسماعه) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٤٠ (... خوف على أنفه والسمع محترس) .

[١٠] يـنظر مـثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٣ (... كأن عيونها من النمر والايحاء نوّار عضرس) ، وديـوان أوس بـن حجـر ، ص ٣ (حـتى إذا الكـلاّب قال لها كاليوم مطلوباً ولا طلبا) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (أشلى وأرسل غضفاً كلّها ضاري) ، و ص ٢١٥ (... وكلاّباً يعن بهنّ شاحا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــثور بـــالكلاب التي لا يسمع منها إلا العويل [١] وشكوى الألم [٢] فيكون صوت أنفاس الـــثور كصـــوت أنفـــاس كير الحداد الذي ينفخ به على الفحم ليشتعل [٣] فلا نسمع بعد المعـــركة إلا صـــوت إحضاره وتقريبه حين ينطلق منتصراً [٤] ، قصة الثور هذه تحدث في مكان ناءٍ خالٍ لا يسمع فيه إلاّ عزيف الجنّ [٥].

امّـــا بقـــرة الوحش ، فيصف الشعراء أذنيها [٦] ونسمعها وهي تقدّ أجواز الصريم مســـرعة صوتها كصوت شفرة الحذّاء حين يقدُّ الجلد [٧] ، ونسمع بكاءها وبغامها وهي تـــبحث عـــن فرقدها [٨] ، ونسمع صوت المطر الذي يعصف بها [٩] وهزيم الرعد الذي يقصفها [١٠] .

أمّـــا حمار الوحش فكثيراً ما ذكره الشعراء منسوباً إلى صوته [١١] ، حيث تغصّ هـــذه القصة بشحيج الحمر الوحشيّة، ويظهر أنّ في صوته صحلةً (بحوحة) [١٢] ، فيبدو كأنّـــه مخـــنوق الأنفـــاس [١٣] ، ويـــبدو أن الصوت كان يشكّل الأهمية الأولى في قصة

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان بشر بن أبي خازم ، ٥٣ (تواكلن العواء ...) .

[٢] المصدر ذاته ، ص ١٠٤ (فلمّا رأى ربُّ الكلاب عذيرها أصاب بها من غائط متنفس) .

[٣] ينظر ديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٦ (... كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما) .

[٤] المصدر ذاته ، ص ٢٠٤ (... يهوى ويخلط تقريباً بإحضار) .

[٥] ينظر ديوان المثقّب العبدي ، ص ٥٠ (في بلدة تعزف جنانها ...) .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٢٦ (... وسامعتين تعرف العتق فيهما ...) .

[٧] ينظر : ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٣ (تقدُّ أجواز الصريم كما قد بإزميل المعين كبر) .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣٠٨ (... عرض الشقائق طوفها وبغامها) .

[٩] المصدر ذاته ، ص ٣٠٩ (باتت وأسبل واكف من ديمة يروي الخمائل دائماً تسجامها) .

[١٠] ينظر مثلاً : ديوان الشماخ ، ص ٢٦٣ (... نكباء تبجس وابلاً غيداقا) ، و ص ٢٦٤ (... نكباء تمري مزنها أوداقها) .

[١١] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٧٠ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٢٠ ، وديوان الأعشى ، ص ٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٩٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٨ .

[١٢] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٢ (وكأنها صحل الشحيج مطرّد ...) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٦ (... صحل يرجّع خلفها التنهاقا) .

[١٣] ينظر مثلاً : ديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٣ (... مما يغرّد موهنا بخناق) وديوان الشمّاخ ، ص ٢٤٧ (... لما ردّ لحياه السحيل خنيق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحمار ؛ إذ إنّ الشعراء أولوه عناية خاصة تختلف عن القصص الأخريات ، وربما كان السبب في أن الصوت كان سلاحاً من أسلحة الحمار التي يستطيع به النجاة بقطيع الأتن من الأخطار الكثيرة ، وربما انعكس ذلك على الشاعر الذي كانت الكلمات سلاحه الفتّاك على الأعداء .

فقد كان الحمار يستخدم صوته في تجميع الأتن وسوقها والتحكّم بها فيصبح ، بها بأعلى صوته [١] كقول امرئ القيس :

أرنّ عليها قارباً وانتحت له طوالة أرساغ اليدين نحوص [٢]

وقد يطلب الحمار بصوته التواصل العاطفي من الأتان ، كقول الشمّاخ [٣] :

له زجل تقول أصوت حاد إذا طلب الوسيقة أوزمير

ويظهر في هذا البيت حنين الحمار وشوقه لأنثاه ، ومناداتها بلطف حتى غدا كأنّه سائق الأبل الذي يتغنى طرباً ، أو كأنّه صوت مزمار عذب ، وهنا يظهر صوت الحادي والمزمار ، ويستخدم صوته في الردّ على أصوات الحمر الأخرى ، كقول سلامة بن جندل [٤] :

متخرّق سلب الربيع رداءه صخب الظلام يجيب كل نهاق

ويبدو أن الحمار يتحكم بطبقات صوته تحكماً تامّاً ، فيلحظ بأنّ صوته يبدأ قويّاً سحيلاً ، وآخره لا يكاد يظهر ، أي كالشهيق :

بعيد مدى التطريب أولى نهاقه سحيل وأخراه خفيّ المحشرج [٥]

وقد يبدأ بالشحيج قويّاً من فمه ثم يحوّله إلى أنفه :

يجدّ سحيله ويثير فيه ويتبعها خنافاً في زمال [٦]

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٧٩ ، وديوان عمرو بن قميئة ، ص١٤٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٨١ ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٩٩ .

[٢] ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٢ .

[٣] ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٥ .

[٤] ديوان سلامة بن جندل ، ص ١٤٤ .

[٥] ديوان الشمّاخ ، ص ٨٨ .

[٦] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يسمع الصوت في داخل صدره بصيغة همهمة ، لا تخرج من فمه لإخافة الأتن :

بهمهمة يردّدها حشاه وتأبى أن تتمّ إلى اللهاة [١]

ويكون من أسباب شحيجه أنه حين يشمُّ أبوال الحمر والأتن فإنه يستعدُّ للنهيق[٢] .

ويبدو صوت حمار الوحش كصوت الكير [٣]، أو المزمار [٤]، أو كصوت الراجز [٥] ، وحين يكون طرباً يتغنّى بصوته كما يتغنّى شارب الخمر [٦]، أو كأنّه رجل ينادي آخر من بعيد [٧]، وإذا كان في خطر يصوّت منبهاً القطيع كما ينبه على ذلك رئيس القوم لقومه [٨] .

ونسمع في قصة الحمار صوت وقع حوافره على الصخور والحصى مثيرة الغبار الساطع [٩]، فكان صوت جريه كصوت غليان القدر [١٠] أو جَيَشان كجيشان الماء حين يتدفّق [١١].

---

[١] ديوان الشمّاخ ، ص٦٩ .

[٢] ينظر مثلاً : المصدر ذاته ، ص ٩٣ ، و ص ٢٤٧ .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان الشمّاخ ، ص ١٥٥ .

[٤] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[٥] المصدر ذاته ، ص١٥٥ ، ص١٩٩ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٤٥ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٥ ، و ص ٩٦-٩٧ ، وديوان الشمّاخ ، ص ٢٢٨ .

[٧] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٧٠ .

[٨] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٨٤ .

[٩] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ (... تلتُّ الحصى لتّا بسمر رزينة ...) ، وديوان الأعشى ، ص ١٢١ (... بشدٍّ كإلهاب الحريق المضرّم) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٣٨ (يفلُّ الصفيح الصم تحت ظلاله من الواقع لا صحلاً ولا متصايلاً) ، وديوان الشمّاخ ، ص٩٢ .

[١٠] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ١٢١ (... وما بعده على قمقم) ، وديوان الشمّاخ ، ص١٦٦ (... له فور قدر ما تبوخ سعيرها) .

[١١] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ص ٣٠١ (... وانقضّ قارباً عليهنّ جيّاش الجراء أزوم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونسمع فصيص الجنادب [١]، وصوت الذباب المطرّب [٢]، ونقيق الضفادع [٣]، وهديل الحمام [٤].

كما نسمع رنين قوس الصائد [٥]، الذي يشبه نواح النساء الثكلى [٦] أو يشبه صوت العازف [٧] وقد لا تصدر القوس أصواتا [٨].

وفي قصّة السنعام، نسمع نقنقته وعراره [٩]، كما نسمع الظليم وهو يوحي للنعامة بصوته، كأنّه رومي يتكلّم إلى واحد من بني جنسه كقول علقمة [١٠]:

يوحي إليها بإنقاض ونقنقة كما تراطن في أفدانها الرومّ

وقول عنترة [١١]:

يأوي إلى حزق النعام كما أوت حزق يمانية لأعجم طمطم

---

[١] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٢ (... جنادبها صرعى لهنّ فصيص) .

[٢] ينظر مثلاً : ديوان زهير زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٣ (... بمكانه هزج العشيّة أصهب) ، وديوان أوس بن حجر ، ٦٩ (... تستنُّ فيها الزخارف) .

[٣] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ١٣٠ (... يستنُّ فوق سراتها العلجوم) ، (... غرقى ضفادعه لهن نئيم) .

[٤] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ص٢٨٢ (... تدعو هديلاً به الورق المثاكيل) .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٧ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٧١ (على ضالة فرع كأن نذيرها) ، وديوان الأعشى ، ص ١٢١ (... أمين القوى في صلبه المترنّم) ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٩١ (إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٣ (وصفراء من نبع رنين خواتها ...) .

[٦] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٧ (... نوّاحة نعت الكرام مشبب) ، وديوان الشمّاخ ، ص ١٩١ ، (... ترنّم ثكلى أوجعتها الجنائز) .

[٧] ينظر : ديوان أوس بن حجر ، ص ٧١ (... كأن نذيرها إذا لم تخفظه عن الوحش عازف) .

[٨] ينظر : ديوان الشمّاخ ، ص ٣٠٢ (... وبالكفّ طوع المركضين كتوم) .

[٩] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص١٧٠ (... على يرفئي ذي زوائد نقنق) ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٤٨ (... على خاضب السّاقين أزعر نقنق) ، وديوان الأعشى ، ص٢٢٩ (... رمداء في خيط نقانق أرمدا) ، وديوان قيس بن الخطيم ، ص ٢١٤ (كأن قتودي على نقنق ...) .

[١٠] ديوان علقمة الفحل ، ص ٦٢ .

[١١] ديوان عنترة العبسي ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتحبيه النعامة بصوتها (الزمار) بدلال أنثوي واضح :

تحفّه هقلة سطعاء خاضعة تجيبه بزمار فيه ترنيم [١]

وقد تصدر مجموعات النعام أصواتاً شديدة حين تثب عاليا [٢]، وحين تسمع صوتاً خفياً ، تسرع فيسمع صوت رجع أقدامها ووقعها [٣]، كأنه صوت دفعة المطر الغزيرة [٤].

أمّا في تشبيهات الفرس الملحميّة ، فنسمع صوت ضرب أجنحة القطاة ببعضها [٥]، وصوتها حين تدعو [٦]، وصوتها وهي خائفة [٧]، وصوت ضرب جناحي الصقر الذي يلاحقها [٨].

ونسمع في قصّة العقاب حسيسها وراء الثعلب [٩] الذي يسرع في هربه فلا نسمع منه إلاّ الدبيب [١٠] لكنّها تلحق به ، فتغرس مخالبها في دفّة ، فلا يصدر عنه إلا الصغاء ؛ وهو صوت يخرج من شدّة الألم [١١].

وكانت مشاهد الشعراء الجاهليين تجمع في معظمها بين الصوت والصورة بحيث يُجعل شعرهم قريباً من الحياة ، والمنظر الطبيعي .

---

[١] ديوان علقمة الفحل ، ص٦٣ ، وانظر ديوان الشمّاخ ، ص٢٨٠ (ثمّ استمرّا بحفان له زجل ...) .

[٢] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٨٤ (ترى لهنّ عزيفاً في مواثبة ...) .

[٣] ينظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ص٤٤٣ (الحارث بن حلّزة اليشكري) .

[٤] المفضليات ، ص ١٣٠ (فتروّحا أصلاً بشد مهذّب ثـر كشـؤبوب العشيّ الماطر) ، لثعلبة بن صغير المازني .

[٥] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٧ (نحت بضرب كرجع العين أبطؤه ...) .

[٦] المصدر ذاته ، ص ١٧٧ (تدعو القطا بقصير الخطم ...) ، (تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت يا صدقها حين تلقاها فتنتسب) .

[٧] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٤٧ (عند الذنابى لها صوت وأزملة ...) .

[٨] المصدر ذاته ، ص ٢٤٥ (حتّ عليها بصكّ ليس مؤتلياً ...) .

[٩] ينظر ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٩ .

[١٠] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .

[١١] المصدر ذاته ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : الذوق

تظهر الصورة الذوقية أكثر ما تظهر حين يصف الشعراء ريق المحبوبة بلذاذته[١] وعذوبته وحلاوته وتأثيره ، فشبهوه بأشياء اشتهرت – بينهم – بمذاقها اللذيذ .

فقد كان ريقها لذيذا كماء السحابة العذب النظيف [٢]، وكان الشعراء يؤكدون دائما على أنّ الماء نظيف غير متسخ ، وأنّه شديد الصفاء (... وشجّت بماء غير طرق ولا كدر) [٣]، (... من ماء لينة لا طرقاً ولا رنقا) [٤] .

وكان مذاق ريقها كالخمر وحدها [٥]، أو ممزوجة بالماء [٦]، أو الخمر الممزوجة بالعسل [٧]، أو أن ريقها كالعسل وحده [٨] .

وقد تأتي الخمر في غير تشبيه ريق المرأة بها ، كان يتخيل الشاعر نفسه – لظرف ما – بأنّه شارب خمر فعلت فيه فعلها ، فيأخذ الشعراء ببيان صفاتها ومذاقها وتأثيرها [٩].

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان الحادرة ، ص٣٠٦ (... حسناً تبسّمها لذيذ المكرع) .

[٢] ينظر مثلاً : ديوان الحادرة ، ص ٢٨٨ ، و ص ٣٠٦ – ٣١٠ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ١٧٢ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٣] ديوان امرئ القيس ، ص ١٥٧ .

[٤] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٦ .

[٥] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ ، والمفضليات ، ص ٢٤٢ (للمرقش الأصغر) ، وديوان عدي بن زيد العبادي ، ص ٧٧ – ٧٨ ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٦٠ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٧٣ – ٧٥ ، و ص ١٧١ – ١٧٢ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٦] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١١١ ، وديوان زهير بن ابي سلمى ، ص ٣٥ – ٣٦ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٤٣ ، والمفضليات ، ص ٢٤٨ (للمرقش الأصغر) ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٤٣ – ٢٤٥ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص١١٥ – ١١٧ ، ص ١٤٢ – ١٤٥ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٧] ينظر : شعر المسيّب بن علس ، ص ١٠٣ – ١٠٥ ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ٤٤ – ٥٤ ، و ص ٩٣ – ٩٧ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[٨] ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ٥٠ .

[٩] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ١١٥ ، وديوان الأعشى ، ص ٢٩٣ ،وديوان المتلمس الضبعي ، ص ١٦٥ – ١٧١ ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضع أبو ذؤيب مقياسا لذوقها المثالي – الخمر – حين يقول [١]

عقار كماء النيء ليست بخطمة ولا خلّة يكوي الشّروب شهابها

فلونها كلون الماء الذي يخرج من اللحم عند شوائه في صفائه وفورانه ، أُخذت من ثمر في أوّل نضوجه ، فهي مدركة ناضجة لم تزد على الإدراك والنضوج فتفسد ، ولم تنقص عن ذلك فتؤخذ من ثمر غضّ قبل أن ينضج فتصيبها الحموضة التي تكوي شاربها .

أمّا العسل ، فقد وصفوا النحل وكدّه في الحصول على رحيق الأزهار ، ووصفوا المشقّة التي يكابدها المشتار ، وتعرضه للأخطار في سبيل نيل العسل .

ولكن الشعراء رغم وصفهم الدقيق للخمر ، ورحلة المشتار وما واجههم من أخطار وروعة المذاق للخمر والعسل ، إلا أنهم يرون بأنّ مذاق ريق المحبوبة يفوق مذاق الخمر والعسل بكثير ؛ وليس في أيّ وقت ؛ بل بعد النوم حيث تكون رائحة الفم وطعمه سيئة في الغالب [٢].

هذه الخمر وهذا العسل يظهر فيه مذاق الزنجبيل [٣] وطعم التفاح [٤] ، والرمان [٥] وهو ما يزيد في طيب نكهة الخمر والعسل ، فمزجوا كلّ ذلك ببعضه وصولاً إلى الطّعم المثالي الطيّب .

ويُرى النخيل مغموراً في الماء البارد يتلذّذ فيه [٦] ، ويرى الثور يتلذّذ بأكل النباتات [٧] ، وكذلك الحمار الذي يأكل الأعشاب ، ويشرب الماء البارد العذب كقول

---

[١] شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٤٥ .

[٢] ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٣١ (تلذ لطعمه وتخال فيه إذا نبهتها بعد المنام) ، والمفضليات ، ص٢٤٢ (وما قهوة صهباء ... إذا جئت طارقا من الليل بل فوها ألذ وأنصع) ، وشرح أشعار الهذليين ج ١ ، ص٩٣ – ٩٧ (فما فصله من أذرعات بأطيب من فيها ...) ، و ص ١٧١ – ١٧٢ (وما إن فضله من أذرعات ... بأطيب من مقبلها إذا دنا العيون وأكتتم النبوح) .

[٣] ينظر : شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٣ ، وديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٤] ينظر : ديوان الأعشى ، ص ٢٧٧ .

[٥] ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٤٤ ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص ٢٦٨ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٦٠ (بشرين رفهاً عراكاً غير صادرة فكلها كارع في الماء مغتمر) .

[٧] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٠٣ (مجرّس وحد جأب أطاع له نبات غيث من الوسمي مبكار) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امرئ القيس [١] :

ويأكلن بيمى جعدة حبشية ويشربن برد الماء في السبرات

وقول زهير بن أبي سلمى [٢] :

عزم الورود فآب عذبا باردا من فوقه سدٌّ يسيل وأليب

ويورد الشعراء المذاق المرّ في الأعشاب التي يرعاها الحمار ، كقول الأعشى [٣] :

رعى الرّوض والوسمي حتى كأنمّا يرى بيبيس الدوّ إمرار علقم

رابعاً : الشّم

لقد أكثر الشاعر الجاهلي من استخدام الصورة الشميّة حين كان يتكلم عن نشر محبوبته ورائحتها الذكية الفوّاحة ، ويلحظ ميله إلى الأرواح الفاعمة الحادّة [٤] ، التي تنتشر دون عناء في شمّها لأنّها تملأ المكان ، وقد جاءت بعض التشبيهات معتمدة على حاسّة الشم إعتماداً يكاد يكون كلياً ، الغرض منه توضيح رائحة المحبوبة ووصفها بالطّيب ، فجاءوا بمشبّه به يخدم أغراضهم التي يسعون إلى تحقيقها .

ولعلّ أبرز هذه الصورة الشميّة ، هي تشبيه رائحة المرأة ونشرها بريح الروضة الزكيّة [٥] ، كقول الأعشى [٦] :

---

[١] ديوان امرئ القيس ، ص ٨٠ .

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٠ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص١١٩ .

[٤] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص ١٨٩ .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان عنترة العبسي ، ص١٩٦ – ١٩٧ (أو روضة أنفاً تضمن نبتها ...) ، وديوان قيس بن الخطيم ، ص ٦٧ (فما روضة من رياض القطا بأحسن منها ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (فليست روضة ... بأطيب نفحة منها ...) ، وديوان الأعشى ، ص ٥٧ ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص٥٤ (ما روضة وسميّة ... بأحسن من سلمى ...) .

[٦] ديوان الأعشى ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما روضة من رياض الحزن معشبّةً خضراء جاد عليها مسبل هطلْ
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزّر بعميم النبت مكتهلْ
يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

من الواضح تماما في هذه الصورة أنّ طرفي التشبيه (المشبّه والمشبه به) قاما في الأساس على الرائحة الزكية الفوّاحة ، في مقارنة الشاعر بين رائحة الروضة ورائحة المحبوبة ، فكل طرف من طرفي التشبيه – في منظور الشاعر – يحاول جذب وجه الشبه الذي يشكّل أساساً متيناً في المشبّه به ، ولكن رائحة المحبوبة – رغم كل ما وصفت به الروضة – تتفوّق بإعلان صريح من الشاعر .

وقد يمزج الشاعر الجاهلي بين أكثر من نوع من العطور في بيت من الشعر فجاءت تلك الأنواع نبعاً لما يورده الشاعر من أنواع النباتات الطيبة الرائحة التي شُبهت بها رائحة المرأة ، كالخزامى [١] ، والقطر [٢] ، والياسمين [٣] ، والمسك [٤] ، والنّور [٥] ، والعرار [٦] ، والحوذان [٧] ، والقرنفل ، والزنجبيل [٨] ، وهي من النباتات المعروفة بطيب نشرها وأصالته .

وقد يصف الشعراء رائحة المحبوبة ، بأنّه حين شمّ رائحتها ، كانت كأنّها رائحة وعاء مليء بالعطور المحمّلة على ظهور العير [٩] ، كقول أبي ذؤيب الهذلي [١٠] :

---

[١] ينظر ديوان امرئ القيس ، ص ١٥٧ (... وريح الخزامى ...) .
[٢] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (... ونشر القطر) .
[٣] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (كأن الياسمين ...) .
[٤] المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها (... ونفح مسك ذكي الريح ...) .
[٥] ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (... تباهي النور ...) ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٥٤ (... بزاهر نور مثل وشي النمارق) .
[٦] ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٢٨٨ (... تباهي النّور فيها والعرار) .
[٧] ديوان قيس بن الخطيم ، ص ٦٧ (... كأن المصابيح حوذانها ...) .
[٨] المصدر ذاته ، ص ١٣٥ (كأن القرنفل والزنجبيل ...) .
[٩] ينظر : ديوان عنترة العبسي ، ص ١٩٥ (كأن فارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٤٤ (وأقسم ما إن باله لطميّة يفوح بباب الفارسيين بابها) لأبي ذئيب الهذلي .
[١٠] شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنّ عليها بالة لطميّة لها من خلال الدأيتين أريج

وتكـون رائحة الخمر – التي تشبه ريق المرأة – قوية فوّاحة [١]، كرائحة الغفو والريحان [٢] أو كرائحة المسك [٣] أو أن يكون الدن مختوما به [٤].

وتستخدم الذئاب حاسة الشمّ حينما تبحث عن الفرائس والطعام ، فتشتم الروائح من مسافات بعيدة ، فتمشي بعكس اتجاه الريح ، كما في قول الشنفرى الأزدي [٥] :

غدا طاوياً يعارض الريح هافياً يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

وتبرز حاسة الشمّ عند حمار الوحش حين يشمُ بول الأتن وأكفالها[٦].

خامساً : اللمس

تنتشـر الصورة اللمسية انتشاراً واسعاً في التشبيه الملحمي يصعب حصره ، فهي تـلي الصورة البصريّة من حيث الكثرة والانتشار [٧]، واللمس يبيّن إلى درجة كبيرة جداً تعـايش الشاعر مع الأشياء التي يصفها في أشعاره إلى درجة تجعله يتلمس أدقّ الأشياء ، ليعـرف ماهيـة كل شيء يستطيع ايصالها إلى الآخرين بيسر وسهولة ؛ فقد تكلّم عن الـنعومة ، والملاسـة والخشونة ، والحرارة والبرودة ، والملمس العنيف ... ، ممّا يؤكد أن الشـاعر لـم يطـلق أحكاماً اعتباطياً انفعالية ، وإنما كان ذلك حصيلة تجارب وقعت معه في تعامله اليومي المباشر مع هذه الأشياء .

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص ٢٩٣ (إذا بزلت من دنها فاح ريحها ...) .

[٢] ينظر : ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص ٦٠ (... مقلّد الغفو والريحان مختوما) .

[٣] ينظر : المفضليات ، ص ٢٤٢ .

[٤] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ .

[٥] شرح لامية العرب ، ص ٣٦ ، للعكبري .

[٦] يـنظر مـثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص ٦٧ (... له بجنوب الشيطين مساوف) ، و ص ٧٣ (كلا مـنخريه سـائفاً أو معشراً ...) ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٣٦ (فتصك محجره إذا ما استافها ...) ، وديـوان عمـرو بن قميئة ، ص ١٤٣ (... فساف لها أديماً أد لصيّا) ، وديوان الشمّاخ ، ص ٩٣ (متى ما يسف خيشومه فوق تلعة مصامة أعيار من الصيف ينشج) .

[٧] الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي : ص١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّـا الملمس الناعم الليّن ، فقد حاول الشعراء تصويره في كثير من الأشياء ، فقد كـان الحوت ليّن الجلد ناعماً زلقاً [١] ، وكانت الثياب المخملية ناعمة الملمس [٢] ، وبدت بقـرة الوحـش ناعمـة حيـن شـبهت بها المرأة [٣]، وكذلك كانت أظلاف الجؤذر ليّنة ناعمة [٤] ، والنباتات التي تأكلها الظباء غضّة وطرية [٥] .

وانهـارت الـرمال التي أثارها الثور والبقرة لأنّها رطبة ناعمة [٦]، وكذلك كانت قـلوب الطير الحديثة الصيد رطبة كالعنّاب الغض في وكر العقاب [٧] ، وداعبت الظباء أغصان المرد والكباث بلطافة جميلة [٨] .

وكـانت الـدرّة ملساء كالصـدفة [٩] ، وكان الروق أملس [١٠]، والخرز مجلياً مصـقولاً [١١] ، ووصـفوا القـوس بأنها ملساء [١٢] ، وكذلك ظهر الأتان الوحشيّة [١٣] ،

---

[١] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٧٧ .

[٢] يـنظر : ديـوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ ، وديوان الأعشى ، ص ١٩١ ، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، ص٥٤ .

[٣] ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٨ (فإنها كمهاة الجو ناعمة ...) .

[٤] يـنظر مـثلاً : ديـوان طـرفة بن العبد ، ص٥٤ (... تحنو لرخص الظلف حر ...) ، وديوان لبيد بن ربيعـة ، ص ٢٤٦ (... رخصـاً ظلوفه ...) ، وديوان الأعشى ، ص٢١٠ (وهي تتلو رخص العظام ...) ، و ص ٢٧٥ (... رخـص أحسم المقلـتين ...) ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل ، ص١٧٢ (... رخص ظلوفته ...) .

[٥] يـنظر مـثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٣١ (تسفُ بريره ...) ، وديوان طرفة بن العبد ، ص ٩ (... تناول أطراف البرير ...) .

[٦] يـنظر مـثلاً : ديـوان امرئ القيس ، ص١٠٢ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٤٦ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص ٦٥ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٦٨ ، و ص ١٤٤ ، و ص ٣٠٩ .

[٧] ينظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٣٨ .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص٢٠٩ .

[٩] ينظر مثلاً : شعر المسيب بن علس ، ص ١٠٢ .

[١٠] ينظر مثلاً : ديوان المتلمس الضبعي ، ص٢٣٠ (... والروق أسحم أملس) .

[١١] ينظر : ديوان أوس بن حجر ، ص٢ .

[١٢] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧٧ (... ملساء مجدلة ...) .

[١٣] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــانت الصخور ملساء زلقة تزلُّ عنها الأقدام والمخالب [١]، وجاء ذكر المساحل الزلقة أيضا [٢].

أمّـــا الخشونة فتمثّلت في أصابع الصائد الخشنة [٣]. وملابـــه البالية [٤]، وبراثن الأسد [٥].

وجـــاء الملمس المتّصف بالتيبّس : في التراب أو الرمل الذي يبحث عنه الثور – أو الـــبقرة – حيـــن يحفـــر تحت الأرطاة كناساً [٦]، وفي ظهر ساعد الصائد الذي يبدو يابســـاً ذا وجـــه ناشـــف [٧]، وكذلك في ضرع البقرة الذي جفّ بعد مقتل الصغير [٨]، وفـــي قلوب الطيّر التي اصطادتها العقاب منذ زمن حتى نشفت في الوكر فبدت كالنوى اليابس [٩]، وفي الأعشاب [١٠].

وقـــد تـــلمّس الشعراء البرودة فيما حولهم من مظاهرها ، في الماء [١١] ، ومطر الســـماء [١٢] ، والرياح [١٣]، والظلال الوارفة [١٤]، والندى [١٥]، والرذاذ [١٦]، وحبات البرَد [١٧] والجليد [١٨].

---

[١] يـــنظر مـــثلاً : زهير بن أبي سلمى ، ص١٧٨ (فزلّ عنها ...) ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٥٣ (بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها) ، و ص١٤٢ (تهال العقاب أن تمرّ بريده ...) .

[٢] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص١١٦ ، وديوان أوس بن حجر ، ص٦٧ .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٧٠ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٩٦ .

[٤] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص٢٠٣ .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان عمرو بن معد يكرب ، ص ٨٤ ، و ص ٨٥ .

[٦] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان زهيـــر بـــن أبي سلمى ، ص٤٦ (... حتى إذا بلغت يبس الكثيب ...) ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص٨٨ (يحفرّها بظلوفه عن ذي ثرى يبس) ، زهير بن مسعود الضبيّ .

[٧] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٧٠ .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٣١٠ .

[٩] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص٣٨ .

[١٠] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٦٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣٠٦ .

[١١] ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص٨٠ ، والمفضليات ، ص٢٤٨ (المرقّش الأصغر) .

[١٢] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان زهير بن أبي سلمى ، ص (٤٥ – ٤٦) ، وديوان النابغة الذبياني ، ص٢٠٣ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٤٤ .

[١٣] يـــنظر مـــثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٧١ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٨ ، وديوان علقمة الفحل ، ص٥٩ .

[١٤] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص١٧٦ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٣٠ .

[١٥] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٢٧٣ ، وديوان دريد بن الصمة ، ص٣٨ .

[١٦] ينظر مثلاً : ديوان ديوان علقمة الفحل ، ص٥٩ .

[١٧] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص١٨ .

[١٨] ينظر مثلاً : ديوان عبيد بن الأبرص ، ص١٩ ، وديوان الأعشى ، ص٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتذمّـر الشـعراء من الحرارة المرتفعة ، وضاقوا بها ذرعاً لأنها تحيط بهم في غـالب أيـام حيـاتهم ، وعبروا عن أكثر ذلك في قصّة حمار الوحش الذي تبدأ تعاسته بحـلول الصـيف حيـث الجفاف والحرارة المرتفعة ، فوصفوا شدّة حرارة الشمس [١]، وتوقّـد الحجارة والحصى نتيجة لذلك [٢] ، في أرض سوداء تزيد في التوقد لأنها تمتصّ الحـرارة [٣] ، تلك الأرض تعصف بها ريح السموم الشديدة الحرارة ، التي تلفح الأوجه وتحـرق الجـلود [٤] ، وتناولوا توقّد النار واضطرامها واستعارها [٥] ، وأعجبهم غليان القمقم [٦]وفوران القدر [٧] ، فشبهوا به ما يحيط بهم .

أمّـا المـلمس الحـاد القـاطع ، فقـد أكدّ الشعراء على أن قرون البقر والثيران حـادة ملساء كالرماح [٨] ، وأن السهام التي ترمي بها حمر الوحش قاتلة إذا أصابتها [٩] ، وأعجـب الشـعراء بمشـهد الصـيقل الـذي يشـحذ السيوف تأكيداً على حدّة القطع والـلمعان [١٠] ، وكذلك شحذ الفأس حتى تصبح قاطعة [١١] ، كما أعجبتهم الطعنة القاتلة النافذة النجلاء [١٢] .

---

[١] يـنظر مـثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص١٠٢ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٣٧٤ ، وديوان الأعشى ، ص١٢١ ، وديوان الشمّاخ ، ص١٥٢ ، وص٣٠٠ .

[٢] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٦٨ ، وديوان الأعشى ، ص١٢١ .

[٣] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص٢٩٧ .

[٤] يـنظر مـثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٧٠ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٢٦ ، و ص٣٠٦ ، وديوان الشمّاخ ، ص٣٠٠ .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٦٩ ، وديوان الأعشى ، ص١٢١ ، وديوان الشمّاخ ، ص٩٣ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص١٢١.

[٧] ينظر مثلاً : ديوان الشمّاخ ، ص١٦٦.

٥٤٥٤٣٧

[٨] يـنظر مـثلاً : ديوان ديوان النابغة الذبياني ، ص٢١٦ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص١٤٦ ، و ص٢٤٠ ، و ص ٣١٢ .

[٩] يـنظر مـثلاً : ديـوان زهيـر بـن أبي سلمى ، ص ٣٧٨ ، وديوان أوس بن حجر ، ص٧٢ ، وديوان الأعشـى ، ص ٣٦٣ ، وديـوان الشمّاخ ، ص ١٨٢ ، وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١٤٢ ، لأمرئ القيس بن جبلة السكوني .

[١٠] يـنظر مـثلاً : ديـوان عنـترة العبسـي ، ص ١٩٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٧٨ ، و ص ٨٠ ، و ص ٢٣٨ .

[١١] ينظر مثلاً : ديوان النابغة الذبياني ، ص ٧٠ .

[١٢] يـنظر مـثلاً : ديـوان زهيـر بن أبي سلمى ، ص ٤٨ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٩ ، ص٢٠٤ ، وديـوان بشـر بـن أبـي خـازم ، ص ١٠٤ ، وديـوان الأعشى ، ص١٨١ ، و ص ٢٩٧ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص ١٨٧ ، وص ١٨٨ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كمـــا وصـــفوا ، يـــد الأنســـان حين تقبض على شيء ما [١] ، وخطفة يد الأسد للفريســـة [٢] ، وصوروا المخالب الحادة للعقاب وللصقر وهي تنغرس في دفّ الفريسة أو تكـــاد [٣] ، وقـــد تـــزلُّ تلك المخالب القويّة عن تلك الصخرة الملساء [٤] ، وكانت أنياب الأســـد حـــادة شديدة المضاء [٥] ، وكذلك كانت أنياب الكلاب لمّا لاحقت الثور فأصابته بـــبعض الجراح [٦] ، كما ظهرت آثار العضّ على ظهور الأتن وأكفالها من أسنان حمار الوحـــش القويّـــة [٧] ، ويظلّ الظليم ينقف الحنظل حتـــى يكسّره [٨] ، ويظهر الشعـــراء تأثيـــر لسع النحل أو ما يشبه لسع النحل [٩] ، والبعوض [١٠] وما ينتج عنه من ردود فعل نتيجة الألم والانزعاج .

---

[١] ينظر مثلاً : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١٧٥ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٧٧.

[٢] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان بشـــر بـــن أبـــي خـــازم ، ص ١٦٩ ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، ص٨٤ ، و ص ٨٥ .

[٣] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان امرئ القيس ، ص٣٨ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٢٤٤ ، وديوان النابغة الذبياني ، ص١٧٦ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، ص٢٠ .

[٤] ينظر مثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٤٨ .

[٥] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان أوس بـــن حجر ، ص٨٢ ، وديوان الأعشى ، ص١١٧ ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، ص٨٤ .

[٦] يـــنظر مـــثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص١٠٤ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٤٧ ، وديوان أوس بن حجر ، ص٤٣ ، وديوان الأعشى ، ص٢١٣ .

[٧] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان الـــنابغة الذبيـــاني ، ص١١٧ ، وديـــوان الأعشى ، ص١١٩ ، وديوان الشمّاخ ، ص٣٠١ .

[٨] ينظر مثلاً : ديوان علقمة الفحل ، ص٥٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة ، ١٤٨ .

[٩] يـــنظر مـــثلاً : ديوان أوس بن حجر ، ص٤٣ ، وديوان الأعشى ، ص١١٧ ، وشرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص١٤٤ ، لأبي ذؤيب الهذلي .

[١٠] ينظر مثلاً : ديوان الأعشى ، ص١٩١ ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، ص٨٤ ، وص ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــان الســـوط مؤلمـــاً حيـــن لامس جلد النّاقة أو كاد [١] ، وأبقت حوافر الأتن الوحشـــية آثـــار كدماتهـــا على وجه الحمار ورأسه وصدره [٢] ، ويمضي حمار الوحش مســـرعاً يضرب الأرض بحوافره بعنف فينفتت الحصى ويتدحرج ، ويتطاير الشرر منه ، ويـــثور الغـــبار في الفضاء [٣] ، ونرى المشهد ذاته في صورة الثور [٤] ، والبقرة [٥] ، والـــنعام [٦] ، وتـــلحظ الأمواج المضطربة الهائجة حين تلامس الصخور فتضربها بعنف شـــديد حـــتى يتفـــتت بعضها ، وتكاد السفن تتحطّم أيضاً ، وتقتلع الأشجار من جذورها فتحطمها[٧] .

وهكـــذا كـــان الشاعر الجاهلي يستخدم حواسه استخداماً واضحاً وضوحاً جلياً في تشـــبيهاته الملحميّة ، حتى إن بعض – التشبيهات – تعتمد في الأساس على الحواس في اكتشـــافها وتذوقهـــا ، فكانت تعينه على دقّة التصوير وتحرّي الحقيقة التي يريد إيصالها إلى الآخرين ، وقد حاول الباحث أن يجمع الشواهد عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

---

[١] ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٣٩ .

[٢] يـــنظر مـــثلاً : ديوان امرئ القيس ، ص ١٨٠ ، وديوان أوس بن حجر ، ص ٧٣ ، وديوان بشر بن أبي خازم ، ص٣٦ ، وديوان الأعشى ، ص١١٩ ، و ص ٣٢٥ .

[٣] يـــنظر مـــثلاً :ديوان امرئ القيس ، ص٨٠،وديوان زهير بن أبي سلمى ،ص٢٧١ ، و ص٣٧٣ ، وديوان أوس بن حجر ،ص٧٣،وديوان الأعشى،ص١٢١،وديوان لبيد بن ربيعة ،ص٢٣٨، وديوان الشمّاخ،ص٩٢ .

[٤] ينظر مثلاً :ديوان امرئ القيس ، ص١٠٣ ،وديوان أوس بن حجر ، ص٣ ،وديوان الأعشى، ص٣٦٣ .

[٥] ينظر مثلاً : ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣١٠ .

[٦] ينظر مثلاً : ديوان علقمة الفحل ، ص٦٠ ، وديوان الأعشى ، ص٢٢٩ ، وديوان الشمّاخ ، ص٢٧٩ .

[٧] يـــنظر مـــثلاً : ديـــوان الـــنابغة الذبياني ، ص٢٦ – ٢٧ ، وشعر المسيّب بن علس ، ص١٢٩ ، وديوان الأعشى ، ص٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

وقد خلص الباحث إلى أن التشبيه الملحمي شكّل في حقيقة الأمر – ظاهرة مميّزة تحتل مكاناً واسعاً من الشعر الجاهلي ، وذلك واضح شديد الوضوح من مراجعة أي ديوان من دواوين الشعر الجاهلي الواردة ذكرها في البحث .

وقد لاحظ الباحث أنّ هذا النوع من التشبيه لم يكن حكراً على شاعر جاهلي بعينه ، بل كان يتردد على أفواه الغالبيّة من الشعراء الجاهليين الفحول ، وقد يكون هذا التشبيه – بما يحمله من ابداعات شعريّة مميّزة في القصّة والفنّ والتجربة المثالية في الحياة – قد يكون هذا التشبيه سبباً كبيراً في ظهور أولئك الشعراء على الآخرين ظهوراً واضحاً وبيّناً في المنزلة التي حظوا بها في تلك الأزمان الزاخرة بالشعر والشعراء .

التشبيه الملحمي الجاهلي له سمات مميّزة عن غيره من الموضوعات ولعل أولّ سمة يحملها التشبيه الملحمي هي الطول والامتداد الكمي في الأبيات الشعرية ، وقد يوصف بالاستطراد عند بعض الباحثين والأدباء ، فقد لاحظ الباحث – كما لاحظ كثير من الباحثين – أن الشاعر الجاهلي كان يعقد التشبيه بين شيئين فيترك المشبّه ويطلب المشبه به حتى تظن أنه نسي المشبه ، أو أنه ما أتى بالتشبيه إلا ليدخل غرضاً جديداً في القصيدة الجاهلية فيكون غرض التشبيه – آنئذ – هو إقامة الوحدة الموضوعية في القصيدة من خلال عنصر من عناصر الربط وهو أداة التشبيه ، وغير ذلك من التفسيرات .

والسمة الثانية التي لا تقل في أهميتها عن الأولى هي الاختصاص – إذا صحّ القول – فقد كان الشاعر الجاهلي – بقصد منه كما يبدو – يخصُّ كل مشبه بمشبه به لا يرد مع غيره من الأشياء ، فقد كانت صورة ثور الوحش وصورة حمار الوحش والبقرة الوحشية والظليم والنعامة تختص بالنّاقة فلا تفارقها فلم يحدث أن أورد الشاعر الجاهلي – مثلاً – تشبيه الفرس بحمار الوحش أو الظليم فامتدّ في صورة المشبه به ، ولكنّ ذلك قد يحدث في بيت واحد لا غير ، أمّا على سبيل التشبيه الملحمي فلم يرد ذلك ، وكذلك فقد اختصت الفرس بمشبه به لا يرد على الإطلاق مع النّاقة فقد كانت صورته مرتبطةً بصورة العقاب ، والصقر ، والقطاة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا السمة الثالثة من سمات التشبيه الملحمي فهي (النمطية) ، فقد لاحظ الباحث أن كـــثيراً من هذه التشبيهات يتكرّر الواحد منها عند عدد كبير من الشعراء الجاهليين ، فقـــد ورد تشبيه النّاقة بالثور ما يزيد عن ثلاثين مرّة عند الشعراء الجاهليين ، وأكثر من ذلـــك العدد في تشبيه النّاقة بالحمار ... وغيره ، وهذا التكرار هو ما أعطى هذا التشبيه صـــفة الـــنمطيّة تلك ، فقد أصبح تشبيه النّاقة بالثور – مثلاً – نمطاً أو منهاجاً يسير عليه الشـــعراء الجاهـــليون ، وصفة النمطية هذه هي ما زادت في غموض الأسباب التي عقد مـــن أجـــلها التشبيه بين المشبه والمشبه به ، فما الإبداع عند شاعر متأخر نوعاً ما كلبيد حيـــن يـــأخذ صـــورة من الصور التي سبقه الشعراء إليها إلاّ إذا كانت هذه الأنماط التي نســـج عـــليها الشـــعراء تشبيهاتهم تحمل من المغازي ما يحتاج إلى تفسيرات عميقة وقد حاول الباحث ذلك .

فقـــد كـــانت تـــلك التشـــبيهات وكأنهـــا تصدر عن معينٍ واحد عبَّ منه الشعراء صـــورهم ، وليس ذلك فقط ، فقد كان الشعراء داخل صورة المشبّه به يتناولون تصويره بشكل متقارب كثيراً إلى درجة أن التشبيهات الداخلية القصيرة كانت متشابهة أيضاً .

والقصصـّـية هـــي السمة الرابعة من سمات التشبيه الملحمي ، فقد جاء المشبّه به عـــند كـــثير من الشعراء الجاهليين يحمل قصّة لها أبعاد ومغازٍ كان يقصد الشعراء إليها قصـــداً ، وكـــان المشبه به بطل تلك القصّة ، حيث يقوم الشاعر بسرد القصّة على لسانه هـــو مصـــوراً قصّة ذلك البطل تصويراً دقيقاً حتى أنك تتخيّل نفسك أمام مشهد يعرض أمـــامك فتراه بعينك ، ويبدو الصراع فيها متأججاً في النفس فيكون الصراع الداخلي في الـــذات ، وصـــراعه مع الخارج فيكون الصراع دموياً عنيفاً ، ويتسلسل الشعراء – في تشـــابه واضـــح – في سرد تلك القصص وعرضها ، فالبداية معروفة كما هي النهاية ، مما يشكّل النواة الأولى للقصّة في الشعر العربي .

وقـــد ورد هناك نوع آخر من القصصية ، كأن يكون التشبيه مبنيّاً بين مشبّه معين وبيـــن مشبه به آخر يكون هذا المشبه به مشهوراً بقصّة مثيرة ، فيأتي الشاعر بها مشبهاً بـــه لدعـــم موقفه من الأمور ، وهناك أمثلة كثيرة كتشبيه الرجل بزرقاء اليمامة وتشبيهه أيضـــاً بالنـــبي ســـليمان ... إلى غيـــره من الأمثلة ، وعادة ما يكون هذا المشبّه به من القصص التي ذهبت مثلاً لندرتها وغرابتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امّـا السـمة الخامسـة ، فقـد قصر الشعراء الجاهليون تشبيهاتهم الملحمية على موضـوعات محـددة لـم يـتجاوزوها ، وهي ما يتعلق بالانسان (الرجل والمرأة) ، والحيـوان (الـنّاقة والفـرس) وكل التشبيهات الملحميّة التي عثر عليها الباحث تندرج تحـت هاتين التسميتين ، امّا فيما عداها من الموضوعات الأخرى كالطبيعة مثلاً فلم يرد ذلـك في تشبيه ملحمي واحد ، رغم أن الشعراء تعرضوا لها في طرائق ليس التشبيه من ضمنها .

كان الشـاعر الجاهـلي أكثر تحديدا ، فوضع قواعده بعفوية تامّة – كما يظنّ الباحث – نـتيجة لظروف العيش والبيئة والمكان والحياة ، ولوتعامل الشاعر الجاهلي مع الأشياء فحـاول تشـبيه كـل شيء بوضع صورة مقابلة له ، كما فعل هوميروس ، لكانت هناك قصـائد جاهلية أكثر طولاً وتفصيلاً ، فالتشبيه الملحمي هو عملية إطالة الصورة ومدّها مـدّاً كـبيراً تنفتح من خلالها آفاق رحبة للشعراء تساعدهم في تحمّل الطاقات التعبيرية المتأججة في صدورهم .

أمّـا السـمة السادسـة فإن بعض هذه التشبيهات جاء على سبيل المقارنة ، فمن المعـروف أن التشـبيه في الأساس عمليّة موازنة بين تشابه المشبه والمشبه به في صفة أو أكـثر ، والتشـبيه المـلحمي ، خاصّـة مـا جاء منه على سبيل التشبيه الدائري أو الاسـتدارة أو التضمين ، يقوم في الأساس على المقارنة الواضحة بين المشبه والمشبّه به ، فيـبدأ الشعراء برسم صورة المشبه به – بعكس التشبيهات الأخرى – أولاً ، بصورة دقيقـة حتى أنّه ليضفي عليه كل صفات الكمال والقوة ، أو الصفة التي يريدها ، ثم يأتي بالمشـبه فـي نهاية التشبيه ، مؤكداً أن المشبه به رغم كل هذه الصفات لا يرقى إلى ما وصـل إليه المشبه ، فكان التشبيه مبني على المقارنة ، فالمشبه والمشبّه به يدوران حول محـور واحـد هو وجه الشبه وكل واحد منهما ، يحاول جذبه لجهته تبعاً لإبداع الشاعر فـي التصوير ، لكن المشبه يفوز في النهاية بعد أن حقق المشبّه به الأغراض التي كان يهدف إليها الشاعر بما ينعكس في صورة المشبه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- الأســود بن يعفر – ديوان الأسود بن يعفر ، صنعة نوري حمودي القيسي ، ط١ ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م .
- الأصــفهاني ، أبــو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هــ) – الأغاني ، ٢٥م ، تحقيق عبد الستار فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩م .
- الأعشــى ، ميمون بن قيس – ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، مصر ، ١٩٥٠م .
- القيــروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧) – القاموس المحيط ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢م.
- امــرؤ القيــس ، امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث – ديوان امرئ القيس ، ط٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .
- إبــن الانباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هــ) – شرح القصائد السبع الطــوال الجاهــليات ، ط٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- أوس بــن حجر – ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٣٨٠ هــ / ١٩٦٠م .
- إبــن أبــي الإصــبع – تحريــر التحبير ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٣٨٣ هــ / ١٩٦٣م .
- بشــر بــن أبــي خازم – ديوان بشر بن أبي خازم ، ط٢ ، تحقيق عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢ هــ / ١٩٧٢م .
- التــبريزي ، أبــو زكــريا يــحيى بن علي (ت ٥٠٢) – شرح القصائد العشر المذهــبات ، ط ٤، ضــبط وشرح وتقديم عمرو فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- تميم بن أبي مقبل – ديوان تميم بن أبي مقبل ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجـاحظ ، أبـو عـثمان عمـرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) – الحيوان ، ٦م ، تحقيـق عـبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠ م .
- الجـرجاني ، أبـو بكـر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧٧ هـ) – أسرار البلاغة ، ط٢ ، تحقيق هلموت ريتر ، استنبول ، ١٩٥٤م .
- حـاتم الطائي ، أبو عدي حاتم بن عبد الله الطائي – ديوان حاتم الطائي ، دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (– ١٩) .
- الحـادرة ، قطـبة بـن أوس بن محصن – ديوان شعر الحادرة ، ط٢ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .
- الخطيـب القزويـني ، أبو المعالي جلال الدين محمد بن سعد الدين عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) – الإيضاح في علوم البلاغة ، ط٦ ، تحقيق محمد عبد المنعم خفّـاجي وعـبد العزيـز شرف ، دار الكتاب المصري ، القاهرة – دار اكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- دريـد بـن الصمّة – ديوان دريد بن الصمّة الجشمي ، تقديم شاكر الفحّام ، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .
- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ) – حياة الحيوان الكبرى ، ط١ ، وضـع هوامشه وقدّم له ، أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ١٩٩٤م .
- ابـن رشـيق ، أبـو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦) – العمدة في محاسـن الشـعر وآدابـه ونقده ، ط٢ ، تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ؛ القاهرة ، ١٩٥٥م .
- الزمخشـري ، جـار الله أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) – أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م .
- زهيـر بن أبي سلمى – ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأمام أحمد بن يحيى بـن زيـد الشيباني ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- السـكّاكي ، أبـو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي(ت ٦٢٦هـ) – مفـتاح العـلوم ، تحقيـق عـبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- سـلامة بـن جندل – ديوان سلامة بن جندل ، ط١ – تحقيق فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية محمد تلاويني ، حلب باب النصر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨ .
- السـموأل بـن عادياء – ديوان السموأل بن عادياء ، ط١ ، تحقيق عمرو فاروق الطبّاع ١٤١٧ هـ / ١٩٧٧ م.
- الشـمّاخ بن ضرار الذبياني – ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .
- الصـوفي ، أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر (ت ٣٧٦ هـ) – صور الكواكب الـثمانية والأربعين ، ط١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٥٤م .
- ابـن طباطبا ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢ هـ)، عيار الشعر ، تحقيـق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- طـرفة بن العبد – ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري (٤١٠ هـ – ٤٧٦ هـ) ، تحقيـق دريّـة الخطيب ولطفي الصقّال ، مجمع اللغة العربيّة ، دمشق ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- طفيل الغنوي – ديوان طفيل الغنوي ، ط١ ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- عـبيد بـن الأبـرص – ديوان عبيد بن الأبرص ، ط١ ، تحقيق حسين نصّار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
- عـدي بن زيد – ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبّار المعيبد ، دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، ١٩٦٥م .
- عـروة بـن الـورد – ديـوان عروة بن الورد ، ط١ ، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه ، سعدي ضنّاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عـلقمة الفحـل ، عـلقمة بن عبدة التميمي – ديوان علقمة الفحل ، شرح الأعلم الشـنتمري ، ط١ ، تحقيـق لطفي الصقال ودريّة الخطيب ، مراجعة فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي ، حلب ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- العـلوي ، المظفّـر بن الفضل (٥٨٤ هـ – ٦٥٦هـ) – نضرة الإغريق في نصـرة القـريض ، ط٢ ، تحقيـق نهى عارف الحسن ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- عمـرو بن قميئة – ديوان عمرو بن قميئة ، ط١ ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- عمـرو بن معد يكرب الزبيدي ، ديوان عمرو بن معد يكرب ، تحقيق محمد جبّر العبيد ، دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، ١٩٦٥م .
- عنـترة بـن شداد – ديوان عنترة بن شداد العبسي ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ابـن قتيـبة ، أبـو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت ٢٧٦ هـ) – كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٩٧١م .
- قدامـة بن جعفر – نقد الشعر ، ط٣ ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .
- القرشـي ، أبـو زيد محمد بن أبي الخطّاب – جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسـلام ، ط١ ، حققـه وظـبطه علي محمد البجاوي ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- قيـس بـن الخطيم – ديوان قيس بن الخطيم ، ط٢ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- لـبيد بـن ربيعـة – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ط١ ، حققه وقدّم له إحسان عبّاس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، ١٩٦٢م .
- لقيـط بني يعمر الإيادي – ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، ط٢ ، مزيدة ومنقحة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- المـبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) – الكامل في اللغة والنحو والتصـريف ، تحقيـق زكي مبارك ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المتـــلمس الضـــبعي ، جرير بن عبد المسيح – ديوان المتلمّس الضبعي ، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- المـــتنّب العـــبدي – ديوان المتنّب العبدي ، ط٢ ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربيّة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- المســـيب بـــن علَس – شعر المسيّب بن علس ، ط١ ، جمعه وحققه ودرسه أنور أبو سويلم ، منشورات جامعة مؤتة ، عمادة البحث العلمي ، الأردن ، ١٩٩٤م .
- المفضّـــل الضـــبيّ ، المفضّل بن محمد بن يعلي (ت ١٧٨هـ) – المفضليّات ، ط٣ ، تحقيـــق وشـــرح أحمـــد محمـــد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- إبـــن مـــنظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، ١٥م ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- الـــنابغة الذبياني – ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- الـــنمر بـــن تولب ، شعر النمر بن تولب ، صنعة نوري حمودي القيسي ، مكتبة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩م .
- الهذليـــون ، ديـــوان الهذليـــين ، ٣م ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القسم الأول ، ١٩٤٥ ، القسم الثاني ، ١٩٤٨ ، القسم الثالث ، ١٩٥٠ .
- الهذليـــون – شـــرح أشعار الهذليين ، صنعة السكري ، ٣م ، تحقيق عبد الستّار فرّاج ، مراجعة محمود محمد شاكر ،مكتبة دار العروبة ، القاهرة ،١٩٦٥م .
- الهمدانـــي ، أبـــو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤) – صفة جزيرة العـــرب ، تحقيـــق محمـــد بـــن علي الأكوع ، أشرف علي طبعه حمد جاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، السعودية ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- يـــاقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـــ) – معجم البلدان ، ط١ ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ، لبنان ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : المراجع :

- إبراهيم عبد الرحمن محمد – الشعر الجاهلي : قضاياه الفنيّة والموضوعية ، ط٢ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، (– ١٩٩) .
- أحمد محمود خليل – في النقد الجمالي : رؤية في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م .
- أحمد عتمان – الشعر الإغريقي : تراثاً إنسانيّاً عالمياً ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- أحمد مطلوب ، وكامل حسن البصير – البلاغة والتطبيق ، ط١ ، العراق ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- أحمد الهاشمي – جواهر البلاغة ، ط١٠ ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٠م .
- أنور أبو سويلم – الإبل في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٣م .
- أنور أبو سويلم – المطر في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار عمّار ، عمّان ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- أنور أبو سويلم – دراسات في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمّار ، عمّان ، ١٩٨٧م .
- باركر ، برتاموريس باركر – ما وراء المجموعة الشمسية ، ترجمة ادوارد رياض ، دار المعارف ، القاهرة ، (– ١٩) .
- بدوي طبانة – البيان العربي ، ط٤ ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- جواد علي – المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- جورج غيرستر – الصحراء الكبرى ، ترجمة خيري حمّاد ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- جيمس فريزر – أدونيس ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، بيروت ، ١٩٥٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسن البنا عز الدين – الكلمات والأشياء : بحث في التقاليد الفنيّة للقصيدة الجاهلية ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٨م .
- حسين عطوان – بيئات الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- حفني محمد شرف – التصوير البياني ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- خزعل الماجدي – ميثولوجيا الأردن القديم ، ط١ ، تقديم زليخة أبو ريشة ، منشورات وزارة السياحة والآثار ، عمان ، ١٩٩٧م .
- خليل ابراهيم أبو ذياب – الصورة الاستدارية في الشعر العربي ، ، ط ١ ، دار عمّار ، الأردن ، ١٩٩٩م .
- ديتلف نيسلن – التاريخ العربي القديم ، ترجمة فؤاد حسلين ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨م ، ومطبعة لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، ط١ ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ريتا عوض – بنية القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة : دراسة وتحليل ونقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- سعدي ضنّاوي – أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- سعيد الأيوبي – عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٦م .
- سيد نوفل – شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مكتبة الخانجي،القاهرة ،١٩٤٥م .
- شوقي ضيف – العصر الجاهلي ، ط١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- عبد الإله الصائغ – الزمن عند الشعراء قبل الإسلام ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢م .
- عبد الجبّار المطلبي – مواقف في الأدب والنقد ، ط١ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عــبد الحــليم حــنفي – شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- عــبد العزيــز نبوي – دراسات في الأدب الجاهلي ، ط٢ مزيدة ومنقحة ، الناشر الصدر لخدمات الطباعة (سيكو) ، ١٩٨٩م .
- عــبد الفتّاح محمد أحمد – المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي : دراسة نقدية ، ط١ ، دار المناهل ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- عــبد القادر الربّاعي – الطير في الشعر الجاهلي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- علي الجندي – فن التشبيه ، ط٢ ، القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٦٦م .
- غوســتاف فــون غرنــباوم – دراســات في الأدب العربي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م .
- كــامل ســلامة الدقس – وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، دار الكتب الثقافية – الكويت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
- محمــد صــادق حســن عبد الله – خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجدّدة : دراسة وتحليل ونقد ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- محمــد عــبد المطّلب – قراءة ثانية في شعر امرئ القيس ، ط١ ، مكتبة لبنان ، الشركة المصريّة العالميّة للنشر لونجمان ، مصر ، ١٩٩٦م .
- محمــد عــلي أبــو حمدة – في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢ م .
- محمــد محمــد حسين – أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، ط١ ، دار النهضة العربيّة ، بيروت ، ١٩٧٢م .
- محمــد الــنويهي – الشــعر الجاهلي : منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القوميّة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- مصــطفى الصــاوي الجويــني – الــبيان فن الصورة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مصطفى ناصيف – قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس ، بيروت ، (– ١٩٧) .
- نصرت عبد الرحمن – الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ط٢ ، مكتبة الأقصى ، عمان – الأردن ، ١٩٨٢م .
- نصرت عبد الرحمن – الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي ، ط١، دار الفكر ، عمّان – الأردن ، ١٩٨٥م .
- نوري حمودي القيسي – الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ط٢ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
- نوري حمودي القيسي – وحدة الموضوع في القصيدة الجاهليّة ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
- نوري حمودي القيسي– دراسات في الشعر الجاهلي ، المؤلف ،بغداد ،١٩٧٤م .
- نوري حمودي القيسي وآخرون – تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، مطبعة التعليم العالي ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- وهب روميّة – الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- وهب روميّة – شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد رقم (٢٠٧) ، ١٩٩٦م .
- وهب روميّة – بنيّة القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي : قصيدة المدح نموذجاً ، دار سعد الدين ، دمشق ، ١٤١٨ – ١٩٩٧م .
- يحيى الجبوري – الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ، دار التربيّة ، بغداد ، ١٩٧٢م .
- يحيى الجبوري – قصائد جاهليّة نادرة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص باللغة الانجليزية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Extended Simile in The Pre – Islamic Poetry

By
Naser Salameh Kreem Almsa'fa

Supervisor
Doctor Mohammad Ali Abu Hamdah

This thesis deals with the extended simile in the Pre – Islamic poetry .
It traces the different citations where the poets used to clarify their attitudes in terms of similes .

The thesis is constituted of four chapters . The first chapter discussed the extended similes where man and women where the center of interest .

The second chapter dealt with the animals involved in similes .

The third chapter concentrated on the she-camel , the Zebra , the ostrich , the eagle and the falcon .

The fourth chapter dealt with the similes where sight , sound , taste , smell and touch were involved , It benefited from all accessible means to reach the hearts and the minds of the listeners and the audience .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit